

سَجَرُ الْبِلَاجَةِ

وَسَجَرُ الْبِرَاعَةِ

تأليف

إلى أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

الطبعة الأولى 2009 م

دار الكتب والعلوم

بمدينة الكويت

سُرُّ الْبَلَاغَةِ وَسُرُّ الْبَرَاغَةِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُور عَبْدَ الْمَلِكِ الشَّعَالِي النِّسَابُورِي
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

صَحَّحَهُ وَضَبَطَهُ

الْأُسَيْتَاذ عَبْدَ السَّلَامِ الْحَوْفِي

دار الكتب العلمية
ببيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

يطلب من : دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
هاتف : ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٥٦٠٤ - ٨٠٠٨٤٢
صرب ٩٤٢٤-١١ - تلکس : NASHER 41245 Le

بسم الله الرحمن الرحيم

رب سهل ويسر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على النبي محمد وآله أجمعين^(١).
أما بعد فإن هذا الكتاب أخرجتُ بعضه من غرر نجوم الأرض، ونكت
أعيان الفضل من بُلغَاء العصر في النثر، وحللتُ بعضه من نظم أمراء الشعر،
الذين أوردتُ مُلَح أشعارهم في كتابي المترجم بيتمة الدهر، فلفقتُ جميع
ذلك ونسقتُهُ، وسردتُهُ وسقته وأنفقت عليه جميع ما رزقته، وعملتُهُ بجهد الخاطر،
وكذ الناظر، وعرق الجبين، وتعب اليمين، وبؤبؤه وربّته وتعمّدت فيه لذّة الجدّة،
ورؤنق الحداثة، وملاحة الطراوة، ولم أشبه بشيء سوى كلام أهل العصر،
اللّهم إلّا قلائد قلائل من ألفاظ الجاحظ وابن المعتزّ، تخللتُ أثناءه
وتوسّطتُ تضاعيفه. ولم أُخل كلمة من كلماته التي هي وسائط الآداب،
وصياقل الألباب، وما تشتهي أنفس الأدباء وتلذّ أعين الكتّاب، من لفظٍ
فصيح، أو معنى بديع، أو تجنيس، أنيس، أو تشبيه، بلا شبيه، أو تمثيل،
بلا مثل أو عديل، أو استعارة، من ألحسن مُستعارة، أو طباق، ذي رؤنقٍ
باق. فمن مرافق هذا الكتاب، قُرْب مُتناوله على بلغاء الكتاب، إذا طرّوا
ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصّعوا
عُقود نظامهم بما يلتقطونه من شُدوره. فأما المخاطبات والمحاورات فإنها

(١) قال في الهامش: وفي نسخة: أما بعد حمد الله أولى من حمد، والصلاة على محمد
أفضل من ولد، (وهو ما ذكر في كشف الظنون).

تَبَرَّجَ بَغْرَةً مِنْ غُرَرِهِ، وَتَوَجَّجَ بَدْرَةً مِنْ دُرَرِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَخْرَجْتَهُ فِي نَسَخَتَيْنِ مُتَقَارِبَتَيْنِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ، مُتَشَاكِلَتَيْنِ الصَّنْعَةِ وَالصَّيْغَةِ، أَهْدَيْتُ إِحْدَاهُمَا إِلَى الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَبِي سَهْلٍ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْحَمْدُونِي، وَالْأُخْرَى إِلَى صَاحِبِ الْجَيْشِ أَبِي عِمْرَانَ مُوسَى بْنِ هَارُونَ الْكَرْدِيِّ، وَهَذِهِ النُّسخَةُ الثَّلَاثَةُ تَجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَتَأْخُذُ بِأَطْرَافِهِمَا وَأَوْسَاطِهِمَا، وَتَزِيدُ بِأَبْكَارِ طَرَائِفِ وَبَوَاكِرِ لَطَائِفِ عَلَيْهِمَا، وَتُسْتَفِيدُ فَضْلَ تَنْقِيحٍ وَتَهْذِيبٍ وَتَثْذِيبٍ. وَلَسْتُ شَرُفُهَا بِخَزَانَةِ الْأَمِيرِ الْوَحْدِ أَبِي الْفَضْلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمِيكَالِيِّ، عَمَرَهَا اللَّهُ بِطَوْلِ عَمَرِهِ، وَتَحْلِيلِهَا بِاسْمِهِ، ثَبَّتَهَا اللَّهُ بِدَوَامِ ذِكْرِهِ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ كِتَابًا، يَتَضَمَّنُ كُلُّ كِتَابٍ مِنْهَا أَبْوَابًا، [وَهَذَا ثَبُتُ الْكُتُبِ]:

- كِتَابُ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ وَكِتَابُهُ.
- كِتَابُ الْأَزْمَنَةِ وَالْأَمَكْنَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا وَيَشَاكِلُهَا.
- كِتَابُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ مِنَ لَدُنْ صِبْغِهِ وَنَمَائِهِ، إِلَى كِبَرِهِ وَأَنْتَهَائِهِ.
- كِتَابُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَيْهِمَا وَيَقْتَرِنُ بِهِمَا.
- كِتَابُ النُّظْمِ وَالنَّثْرِ وَأَصْحَابِهِمَا وَالْأَنَّهُمَا وَأَدْوَاتُهُمَا.
- كِتَابُ الْمَمَادِحِ وَالْأَثْنِيَّةِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا.
- كِتَابُ الْمَسَاوِيءِ وَالْمَقَابِحِ وَمَا يَدَانِيهَا.
- كِتَابُ الْعِيَادَةِ وَمَا يُجَانِسُهَا.
- كِتَابُ التَّهْنِائِي وَالْتَّهَادِي وَمَا يَنْخَرِطُ فِي سَلَكِهَا.
- كِتَابُ التَّعَاذِي وَمَا يَلِيْقُ بِهَا.
- كِتَابُ الْإِخْوَانِيَّاتِ وَمَا يَأْخُذُ مَأْخُذَهَا.
- كِتَابُ السُّلْطَانِيَّاتِ وَمَا يَقَعُ فِي أَبْوَابِهَا.
- كِتَابُ الشُّوَارِدِ وَالْفَوَارِدِ وَمَا يَشْبِهُهَا.
- كِتَابُ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ وَالْمَوْاعِظِ وَمَا يَحْذُو حَذْوَهَا.

وهذا ثبت أسماء بلغاء العصر

الذين أخرجت معظم الكتاب من غُرر نثرهم

فمن أهل الشام: أبو الفرج البَغَاء، وأبو محمد الفياض، ومن أهل العراق أبو محمد المهلبي الوزير، وأبو إسحاق الصابي وآبن عمه أبو الخطاب، وأبو الحسن الموسوي النقيب. ومن أهل الجبل وفارس وجرجان أبو الفضل بن العميد وآبنه أبو الفتح، والصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبَّاد، والأمير شمس المعالي [قابوس، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو الحسن] علي بن القاسم القاساني، وأبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبو منصور^(١) بن المرزبان الشيرازي، وأبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، ومن أهل خراسان والطائين عليها أبو القاسم الإسكافي وأبو يحيى الحمادي، وأبو علي الدامغاني، وأبو أحمد محمد بن اليعسج، والأمير أبو الفضل الميكالي، [وأبو بكر الخوارزمي، وأبو الفتح علي بن محمد البُستني]، وبديع الزمان أبو الفضل الهمداني، وأبو محمد الحسن بن محمد البروجردي، وأبو نصر محمد بن عبد الجبار العُتبي.

وهذا ثبت أسماء شعراء العصر

الذين حللت بعض الكتاب من ملح نظمهم

أبو الطيب المتنبي، وأبو فراس الحمداني، وأبو العباس النامي، والسري الموصلي، والخالديان: أبو بكر، وأبو عثمان، وآبن سُكرة الهاشمي، وأبو طالب المأموني، والقاضي التنوخي، وأبو نصر بن نباتة، وأبو القاسم

(١) كذا في النسختين وفي يتيمة الدهر: أبو نصر.

الزَّعْفَرَانِي، وَابْنُ لَنَكَّكِ الْبَصْرِي، وَأَبُو دُلْفِ الْخَزْرَجِي، وَأَبُو الْحَسَنِ اللَّحَامِ،
وَأَبُو سَعِيدِ الرُّسْتَمِيِّ، وَأَبُو مُحَمَّدِ بْنِ مَطْرَانَ الشَّاشِيِّ، وَأَبُو الْحَسَنِ السَّلَامِيِّ،
وَابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ الْأَصْفَهَانِيِّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ الْخَازَنِ، وَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ بَابَكٍ،
وإِسْمَاعِيلُ الشَّاشِيُّ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْجَوْهَرِيُّ.
ثم إن هذا الكتاب المشتمل على الكتب الأربعة عشر مترجم:

بسحر البلاغة وسر البراعة

وأرجو أن يكون اسماً يُوافقُ مُسمَّاهُ، ولفظاً يُطابقُ معناه، بإذن الله ومشيتته.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه

مقدمات

الحمد لله تبارك وتعالى ، إِنَّ أَوْلَى ما فغر به الَّنَّاطِقُ فمه ، وأَفْتَحَ به كَلِمَه ، حمدُ الله ، واجبٌ عَلَى كل ذي مقالَةٍ أَنْ يَبْدَأَ بِالحمد قبل أَفتتاحها كما بُدِيَءَ بِالنَّعمة قبل أَستحقاقها . الحمد لله كما أَفتتح كتابه الكريم ، وفُرَّقانه العَظيم . الحمد لله شعارُ أَهل الجنة كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . حمدُ الله خَيْرُ ما أَفتُتَح به أَلْقَوْلُ وأَخْتَتَم ، وأَبْتَدِء به أَلْخُطاب وتُتَم . خير كلمات الشكر ما أَفتُتَح به أَلْقُرآن من الحمد لله ربِّ أَلْعالمين .

غرر التحاميد

الحمد لله الَّذي لم يُسْتَفْتَح بِأَفْضَل من أسمه كلام ، ولم يَسْتَنْجَح بِأَحْسَن من صنعه مرام . الحمد لله الَّذي جعل الحمدَ مُسْتَحَقَّ الحمد حتى لا أُنْقَطع ، وموجِبُ الشكر بأقصى ما يَسْتَطاع . الحمد لله مانِحِ الأَعلاق ، وفاتِحِ الأَغْلاق . الحمد لله إِبْداء وإِعادة . الحمد لله مُعِزُّ أَلْحَقِّ ومُذِيلُه ، ومذِلُّ أَلْباطِل ومزِيلُه . الحمد لله المَبِين أَيُّدُه ، المَتِين كِيُدُه . الحمد لله ذي أَلْحُجَج أَلْبِواغ ، وأَلْنَعَم أَلْسِوابِغ ، وأَلْنَقَم أَلدَّوامِغ . الحمد لله مُعِزُّ أَلْحَقِّ وناصِرِه ،

ومذلل ألباطل وقاصره. الحمد لله الذي أقل نعمه يستغرق أكثر الشكر.
والحمد لله الذي لا خير إلا منه، ولا فضل إلا من لدنه.

وصف الحمد

حمد لا انقطاع لراتبه، ولا إقلاع لسحائبه. حمداً يكون لإنعامه مجازياً،
ولإحسانه مُوازياً، وإن كانت آلاؤه لا تجازي، ولا تُوازي، ولا تُباري، ولا
تجاري. حمداً يتردد أنفاس الصدور، ويتكرر تكرّر لحظات العيون. حمداً
يستنزل الرحمة، ويستكشف الغمة. حمداً يبلغ الحق ويقتضيه، ويمتري
المزيد ويقضيه. حمداً يؤنس وحشي النعم من الزوال، ويحرسها من التغير
والانتقال.

عادة الله جل ذكره

عادة الله لا تطلب لها غاية إلا قصرت ألوهاً عنها، ولا تسخ فيها آية إلا
أتي بخير منها، لا يزال الله يجرينا على أحسن عادة، ويقسم لنا أفضل
سعادة. عادة من الله كريمة لا تخلف، وعادة من تفضله لا تخلف، على أحسن
ما أعيت، من إحسانه العتيد، عادة الله جميلة تفوت الشكر وتسبقه،
وتستوعب الحمد وتستغرقه، عادات الله قد فاتت مرام الهمم، وشأت تواريخ
الأمم.

صنع الله ولطفه

للدهر نوائب تتخرم وتتطرف، ثم إن غمراتها تتجلى وتتكشف، فله تعالى
في أثنائها الصنع الجزيل والفرج القريب، سبحان من له في كل قضية
الطاف نعرفها ونثبتها في فضله ونعمته، أو نجهلها فنردّها إلى عدله
وحكمته. أحمده الله الذي لا يخلي عباده من صنع لهم تنطوي عليه أثناء

النكبات إذا طرقت، ولطف بهم يُلين صعابَ الخطوب إذا جَمَحَتْ. أَلطافُ
الله تسير إلى عبادِهِ في طُرُقٍ خَفِيَّةِ المَذاهِبِ، رَقيقَةِ الجَوانِبِ. اللهُ مع كُلِّ
لَمَحَةٍ صَنَعَ حَفِيٍّ وَلَطْفٍ خَفِيٍّ، اللهُ أَلطافُ سَيلِغِ الْكِتابِ فيها أَجلَهُ، ويعمل
الإقبال في إتمامها عمله. صَنَعَ اللهُ لَطيفاً، وَفَضله بِناءٌ مَطِيفٌ.

ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى فِي أَثْناءِ الْكَلَامِ

عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَمَنْ بِيَدِهِ أَرْزَمَةُ الْقُلُوبِ، الْخَبِيرُ بِمَا تُجِنُّ الظُّلُمَاتُ، وَتُكِنُّ
السَّرَائِرُ، الْعَالِمُ بِمَا تَفْضِي إِلَيْهِ الْأُمُورُ، وَبِخائِنَةِ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ،
أَكْرَمُ مَسْئُولٍ، وَأَعْظَمُ مَأْمُولٍ، سَمِيعٌ لِرَاجِيهِ، قَرِيبٌ مِمَّنْ يَنَاجِيهِ، حَكَمُهُ
مَقْبُولٌ، وَأَمْرُهُ مَفْعُولٌ، اللهُ يَعْلَمُ وَهُوَ أَعْلَمُ شَهِيدٌ، وَأَقْرَبُ لِلضَّمِيرِ مِنْ حَبْلِ
الْوَرِيدِ، وَكُلُّ خَيْرٍ بِيَدِهِ، وَتَتَوَجَّهُ الرِّغْبَاتُ إِلَيْهِ، اللهُ الْحَفِيُّ بِسَأْؤِهِ، الْمَشْفَعُ
لِوَسَائِلِهِ، الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ الْأُمُورِ، وَمِفَاتِيحُ الْمَقْدُورِ، اللهُ مَنْجِزُ عِدَاتِهِ،
وَحَافِظُ عَادَاتِهِ، هُوَ الْنَافِذُ أَمْرُهُ، الْعَزِيزُ نَصْرُهُ، الْجَلِيُّ صَنْعُهُ، الْخَفِيُّ مَكْرُهُ،
أَنَّ اللهُ يَقْضِي مَا يَرِيدُ، وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ الشَّيْطَانِ الْمَرِيدِ. هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،
الْعَالِمُ بِمَا يُجِنُّ الضَّمِيرُ، مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَسَوَاءٌ عِنْدَهُ السِّرُّ وَالْجَبْرُ،
مَوْلَى الْخَلْقِ، وَبِاسْطِ. الرِّزْقِ قَدْ أَحْلَتْهُ عَلَى مَلِيٍّ، وَكُتِبَتْ لَهُ إِلَى وَفِيٍّ، إِنَّ
اللهَ مَنْجِزُ وَعْدِهِ، وَلَا خُلْفَ عِنْدَهُ، الْأَمْرُ لَهُ وَالْخَلْقُ بِيَدِهِ، وَالْإِسْتِعَانَةُ بِهِ
وَالْتَّفَوِيضُ إِلَيْهِ.

ذِكْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سَلِيلُ أَكْرَمِ نَبْعَةٍ، وَقَرِيعُ أَشْرَفِ بُقْعَةٍ. جَاءَ بِأَمْتِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،
وَأَفَاءَ عَلَيْهِمُ الظِّلَّ بَعْدَ الْحُرُورِ. مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اللهِ وَصَفْوَتُهُ وَخَيْرَتُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ،
مُؤَكَّدُ دَعْوَتِهِ بِالتَّائِيْدِ. وَمَفْرَدُ شَرِيعَتِهِ بِالتَّائِيْدِ، خَيْرَةُ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ. وَحِجَّتُهُ فِي
أَرْضِهِ، وَالْهَادِي إِلَى حَقِّهِ. وَالْمُنَبِّهَ عَلَى حُكْمِهِ، وَالِدَّاعِي إِلَى رَشْدِهِ. وَالْأَخَذَ

بفرضه، مبارك مولده، سعيد موره، قاطعة حُجَّجُه. سامية دَرَجُه، ساطع صباحه. متوقّد مصباحه، مظفّر حروبه. ميسرة خطوبه، قد أفرد بالزعامة وحده، وحتم بأن لا نبي بعده، نفصح بشعاره على المنابر. وبالصلاة عليه في المحاضر، ونعمر بذكره صدور المساجد، وتستوي في الانقياد لأمره حالتا المقرّ والجاحد، آخر الإنبياء في الدنيا عصراً. وأولهم يوم الدين ذكراً، وأرجحهم عند الله ميزاناً. وأوضحهم حُجّة وبرهاناً، صدع بالرسالة، وبلغ في الدلالة. ونقل الناس من طاعة الشيطان الرجيم، إلى طاعة الرحمن الرحيم. أرسله الله للإسلام قمراً منيراً، وقدرأ على أهل الضلال مُبِيراً.

الصلاة عليه مع الافصاح

صلى الله على محمد خير من أفتحت بذكره الدّعوات، وأستنجحت بالصلاة عليه الطّلبات، صلى الله على محمد نبيّ مبعوث، وأفضل وارث وموروث، صلى الله على كاشف الغمّة عن الأمّة، الناطق فيهم بالحكمة، الصّادع بالحقّ، الدّاعي إلى الصّدق، محمد رسوله الذي ملكه هوادي الهدى، ودلّ به على ما هو خير وأبقى، صلى الله على بشير الرّحمة والثّواب، ونذير السّطوة والعقاب، محمد الذي أدّى الأمانة مخلصاً، وصدع بالرسالة مبلغاً ملخصاً، صلى الله على أتم بريته خيراً وفضلاً، وأطيبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم عوداً ونجراً، وأعلاهم منصباً وفخراً.

ذكر الآل

وعلى آله الذين عظّمهم توقيراً، وطهّروهم تطهيراً، وعلى آله مقاليد السّعادة ومفاتيحها، ومجاديع البركة ومصاييحها، أعلام الإسلام، وأمان الإيمان، الطّيّبين الأخيار، والطاهرين الأبرار، الذين أذهب عنهم الأرجاس، وطهّروهم من الأدناس، وجعل مودّتهم أجراً له على الناس، وعلى آله الذين هم حبل

الهدى، وشجرة التقوى، وسفينة النجاة العظمى، وعروة الدين الوثقى.
الذين هم زينة الحياة، وسفينة النجاة، وشجر الرضوان، وعشيرة الإيمان،
وعلى الشجرة التي أصلها نبوة، وفرعها مروءة، وأغصانها تنزيل، وورقها
تأويل، وخدمها جبريل وميكائيل.

ذكر القرآن

حبل الله الممدود، وعهده المعهود، وظله العميم، وصراطه المستقيم، وحجته
الكبرى، ومحجته الوضحي، هو الواضح سبيله، الراشد دليله، الذي من
استضاء بمصابيحه أبصر ونجا، ومن أعرض عنها زلّ وهوى، فضائل القرآن، لا
تستقصى في ألف قرآن. حجة الله وعهده، ووعيده ووعدته، به يعلم الله الجاهل،
ويعمل العاقل. ويتنبه آسأهي، ويتذكر الآلهي. بشير الثواب، ونذير العقاب.
وشفاء الصدور، وجلاء الأمور. من فضائله أنه يقرأ دائماً ويكتب، ويُملّ
فلا يُملّ. ما أهون الدنيا على من جعل القرآن إمامه، وتصوّر الموت أمامه. طوبى
لمن جعل القرآن مصباح قلبه، ومفتاح لبه. من حق القرآن حفظ ترتيبيه، وحسن
ترتيبه.

آخر كتاب ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ وكتابه والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأزمنة والأمكنة وما يتصل بها ويشاكلها

[في الربيع وإقباله]

قد أقبل الربيع بأسعد فاله، والحسن والطيب في إقباله. أقبل الربيع يتبسّم، ويكاد من الحسن يتكلّم. تنفّس الربيع عن أنفاس الأحباب، وأعار الأرض أثواب الشباب. تنفّس فنفس عن المكروب، وأهدى الروح والراحة للقلوب. استخرج من زهر البساتين، ما دفتته يد الكوانين. جاء يجرّ أذيال العرائس، وينشر أجنحة الطواوس. تبلّج عن وجه بهج، وجو غنج، وروض أرج، وطير مزدوج. أقبل برائحة الجنان، وراحة الجنان، أسفر عن ظلّ سجّسج، وماء سلسل وروض مدبّج. جاء مُعيداً للأنس العازب، ومُطلعاً للهو الغارب. تبلّج عن نوره، وتفتّح عن نوره. لاحت مناهجه، وراقت مباهجه. مرحباً بالفصل، الجامع لأحكام الفضل، زائر من القلوب قريب، وكله حسن وطيب. زائر لباسه حرير، وأنفاسه عبير. انكشفت غمّة الشتاء الكالح عن غرة الربيع الضاحك، أزال الربيع أذيال الحرير، وعبرت أنفاسه عن العبير. تبدّل الشباب من المشيب، وبرز في مطرّفه القشيب. عطر السهول والوعور، فعطل المسك والكافور. الزمان معتدل، ووجهه طلق مقبل. وسحابه ماطر، وترابه عاطر، كأنّ الجنة قد نزلت إلى الأرض في أبهى حلّها وأنفس حلاها، وما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين منها، قد تبرّجت

الْأَرْضَ لِلنَّظَّارَةِ، وَبَرَزَتْ فِي مَعْرُضِ الْحَسَنِ وَالنَّضَارَةِ، لَيْسَتْ الْأَرْضُ قَنَاعَهَا
الْأَخْضَرَ، وَنَضَّتْ شِعَارَهَا الْأَغْبَرَ. حَاكَ الرَّبِيعُ حُلَّ الْأَزْهَارِ، وَصَاغَ حُلِّي
الْأَنْوَارِ.

في النسيم ووصف أثره

زَائِرٌ وَجْهَهُ وَبَسِيمٌ، وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ، وَرِيحُهُ نَسِيمٌ، قَدْ سَفَرَ الرَّبِيعُ عَنْ خُلُقِ
الْكَرِيمِ، وَنَطَقَ بِلِسَانِ النِّسِيمِ. وَأَفَاضَ مَاءَ النِّعَمِ، هَبَّ النِّسِيمُ مِنَ الْكَرَى،
وَهَبَّ عَلَى الْوَرَى، وَعَطَّرَ الْآثِرَى. جَرَّ عَلَى الْأَرْضِ أَزْرَهُ، وَحَلَّ عَنْ جَبِّبِ
الطَّيْبِ زَرَرَهُ. نَسِيمَ الرِّيحِ، نَسِيبَ الرُّوحِ، قَدْ رَكُضَتْ خَيُولُ النِّسِيمِ فِي
مِيَادِينِ الرِّيَاضِ. يَا لَكَ مِنْ مَنَظَرٍ جَنَانِيٍّ، وَمَاءٍ فُضِيٍّ، وَنَسِيمٍ عَطْرِيٍّ، قَدْ
حَلَّتْ يَدُ الْمَطَرِ أَزْرَارَ الْأَنْوَارِ، وَأَذَاعَ لِسَانُ النِّسِيمِ أَسْرَارَ الْأَزْهَارِ.

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَفَّتْ حَوَاشِيهَا، وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا، رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ الْمُنَظَّمَةِ، عَلَى الْبُرُودِ
الْمُنْمِنَةِ. رَوْضَةٌ قَدْ نَشَرَتْ طَرَائِفَ مَطَارِفِهَا، وَلَطَائِفَ زَخَارِفِهَا، فَطُويَ لَهَا
الدَّبِيجُ الْخُسْرَوَانِيُّ، وَنُفِيَ مَعَهَا الْوَشْيُ الْإِسْكَدَرَانِيُّ. رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا يَدُ
الْمَطَرِ. رَوْضَةٌ دَبَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى. أُخْرِجَتْ الْأَرْضُ أَسْرَارَهَا، وَأُظْهِرَتْ يَدُ
الْغَيْثِ آثَارَهَا، وَأُطْلِعَتْ الرِّيَاضُ أَزْهَارَهَا. الرِّيَاضُ كَالْعَرَائِسِ فِي حُلِيِّهَا
وَزَخَارِفِهَا، وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا، بَاسِطَةُ زُرَابِيَّهَا وَأَنْمَاطِهَا، نَاشِرَةٌ جِبَرَهَا
وَرِيَّاطِهَا، زَاهِيَةٌ بِحَمَرَاتِهَا وَصَفَرَاتِهَا، تَائِهَةٌ بِعَوَانِهَا وَعَذَرَاتِهَا، كَأَنَّمَا أَحْتَفَلَتْ
لَوْفَدٍ، أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ. رَوْضَةٌ قَدْ تَضَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ
أَرْجَاؤُهَا، وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلْلِ الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا، وَتَفَاوَحَتْ بِنَوَافِحِ الْمَسْكَ
أَنْوَارُهَا، وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النَّطْقِ أَطْيَارُهَا.

في وصف البساتين

بُستانٌ رَقَّ نَوْرُهُ النَّضِيدُ، وراق ورقه النَّضِيرُ. بُستانٌ غُصْنُهُ خَضِيرٌ، وَرَبْعُهُ خَصِيبٌ، وَنَوْرُهُ نَضِيرٌ، وَمَأْوُهُ خَصِرٌ. بستانٌ كَأَنَّهُ أُنْمُوذَجُ الْجَنَّةِ. بستانٌ لَا يَحِلُّ لِأَرَيْبٍ أَنْ لَا يَحِلَّ بِهِ. بستانٌ أَرْضُهُ لِلْبَقْلِ وَالرَّيْحَانِ، وَسَمَائُوهُ لِلنَّخْلِ وَالرُّمَانِ. بستانٌ أَنْهَارُهُ مَفْرُوزَةٌ بِالْأَزْهَارِ، وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالثَّمَارِ، أَشْجَارٌ كَالْعِذَارَى يُسَرِّحْنَ الْأَضْفَاءَ، وَيَنْشُرْنَ الْغِدَائِرَ. أَشْجَارٌ كَأَنَّ الْحَوْرَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا، وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا، وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا.

في ذكر النرجس والورد والشقائق

الرَّبِيعُ شَبَابُ الزَّمَانِ، وَمَقْدَمَةُ الْوَرْدِ وَالرَّيْحَانِ. زَمَنُ الْوَرْدِ مَوْمُوقٌ مَرْمُوقٌ، وَكَأَنَّهُ مِنَ الْجَنَّةِ مَسْرُوقٌ. قَدْ وَرَدَ كِتَابُ الْوَرْدِ، بِإِقْبَالِهِ إِلَى أَهْلِ الْوَدِّ، إِذَا وَرَدَ الْوَرْدُ، صَدَرَ الْبَرْدُ، مَرْحَبًا بِأَشْرَفِ الزَّهْرِ، فِي أَظْرَفِ الدَّهْرِ، كَأَنَّ عَيْنَ النَّرْجِسِ عَيْنٌ، وَوَرَقُهُ وَرَقٌ، النَّرْجِسُ نَزْهَةٌ أَطْرَفٌ، وَظَرْفُ الْأَطْرَفِ، وَغِذَاءُ الرُّوحِ، وَمَادَّةُ الرُّوحِ، شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى الزُّنُوجِ، كَأَنَّهُا أَصْدَاغُ الْمَسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمَوْرَدَةِ. شَقَائِقُ كَالزُّنُوجِ تَجَارَجَتِ فَسَالَتْ دِمَائُهَا، وَضَعُفَتْ فَبَقِيَ دِمَائُهَا.

في غناء الأطيّار

الْأَرْضُ زُمْرَدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ، وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ. قَدْ غَرَّدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ، عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ، إِذَا صَدَحَ الْحَمَامُ، صَدَعَ قَلْبُ الْمُسْتَهَامِ، أَنْظَرَ إِلَى طَرْبِ الْأَشْجَارِ، لَغْنَاءُ الْأَطْيَارِ. لَيْسَ لِلْبَلَابِلِ، كَخَمْرِ بَابِلَ، عَلَى غِنَاءِ الْبَلَابِلِ.

في وصف أيام الربيع

يوم سماؤه فاختيه، وأرضه طاؤسيّة. يومٌ جلايب غيومه صفاق، وأردية نسيمة
ريقاق، يومٌ مُعصفر السماء، ممسك الهواء، معبر الرياض مصنّدل الماء. يوم
سماؤه كالحز الأدكن، وأرضه كالديجاج الأخضر. يومٌ تبسم عنه الربيع،
وتبرج فيه الروض المريع. كأنّ سماه ماتم، وأرضه عرس.

مقدمة المطر

لبست السماء جلابها. سحب السحاب أذياله. احتجبت الشمس في
سرادق الغيم، ولبس الجو مطرّفه الأدكن. باحت الريح بأسرار الندى.
ضربت خيمة الغمام، وقام خطيب الرعد، ونبض عرق البرق، سحابة رعدّها
يُصمّ الأذن، وبرقها يخطف العين. سحابة ارتجزت رواعدها، وأذهبت
بروقها مطاردها. نطق لسان الرعد، وخفق قلب البرق. الرعد ذو صخب،
والبرق ذو لهب. ابتسم البرق عن قهقهة الرعد. زارت أسد الرعد، ولمعت
سيوف البرق. رعدت الغمام وبرقت، وأنحلت عزالى السماء فطبقت.
سحابة هدرت رواعدها، وقربت أباعدها، وصدقت مواعدها. كأنّ البرق قلب
مشوق، بين التهاب وخفوق.

في السحاب والمطر

انحلّ عقد السماء، وهي عقد الأنواء. انحل سيلك القطر، عن درّ البحر.
أرخت السماء عزاليها، وأغرقت الأرض وسحت نواحيها. هطلت بمثل أفواه
القرب، انثرت كاتنثار العقود. استعار السحاب جفون العشاق، وأكفّ
الأجواد. انحل خيط السماء، انقطع شريان الغمام. سحابة تنخل علينا ماء
البحر، وتفصّ لنا عقود الدر. سحابٌ حكى المحبّ في أنسكاب دموعه،

وَالْتِهَابُ النَّارِ بَيْنَ ضُلُوعِهِ، سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغَيُومِ جَبَالًا، وَتُمَدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ جَبَالًا. سَحَابَةٌ تَرْسُلُ الْأَمْطَارَ أَمْوَاجًا، وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا. تَحَلَّلَتْ عُقْدُ السَّمَاءِ بِالذِّيمَةِ الْهَطْلَا. غَيْثٌ أَجَشُّ يُرْوِي الْهَضَابَ وَالْآكَامَ، وَيُحْيِي النَّبَاتَ وَالسَّوَامَ. غَيْثٌ كَغَزَارَةِ فَضْلِكَ، وَسَلَاسَةِ طَبْعِكَ، وَصَفَاءِ وَدُكِّ. وَبَلُّ كَالنَّبْلِ. سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوْضَ، وَتَخْضَرُّ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضَ. سَحَابَةٌ لَا تَجْفُ جَفُونَهَا، وَلَا يَخْفُ أَنْيْنَهَا، دِيمَةٌ رَوَّتْ أَدِيمَ الْثَرَى، وَنَبَّهَتْ عَيُونَ النُّورِ مِنَ الْكَرَى. سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ. مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقَرَبِ، وَوَحَلٌ إِلَى الرُّكْبِ. أُنْدِيَّةٌ قَدِ مَنَّ اللَّهُ مَعَهَا عَلَى الْبُيُوتِ، بِالثَّبُوتِ، وَعَلَى السَّقُوفِ، بِالْوُقُوفِ.

في وصف الماء وما يتصل به

مَاءٌ كَالزُّجَاجِ الْأَزْرَقِ، غَدِيرٌ كَعَيْنِ الشَّمْسِ، مَوَارِدٌ كَالْمَبَارِدِ. مَاءٌ كَلِسَانِ الشَّمْعَةِ، أَصْفَى مِنَ الدَّمْعَةِ، يَسِيحُ فِي الرُّضْرَاضِ، سَيِّحُ النَّضْنَضِ. مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ يَدُ النَّسِيمِ حَكَى سِلَاسِلَ الْفَضَّةِ. مَاءٌ إِذَا صَافَحَتْهُ رَاحَةُ الرِّيحِ، لَبَسَ الدَّرْعَ كَالْمَسِيحِ. مَاءٌ يَتَصَنَدَلُ وَيَتَسَلْسَلُ. كَأَنَّ الْغَدِيرَ بَنَاتِ الْمَاءِ مَصْنَدَلٌ مُطَيَّرٌ، بِرُكَّةٍ كَأَنَّهَا مَرَاةُ السَّمَاءِ، بِرُكَّةٍ مَفْرُوزَةٍ بِالْخَضِرَةِ رَدَاءً، كَأَنَّهَا مَرَاةٌ مَجْلُوءَةٌ عَلَى دِيَابِجَةِ خَضِرَاءَ، غَدِيرٌ تَرَقَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ، وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الرِّيَّاحِ الْجَنَائِبِ. غَدِيرٌ سَاكِنٌ إِلَّا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا يَحْرُكُهُ بِأَنْفَاسِهِ، وَيَنْقُشُ وَجْهَهُ بِأَرْوَاحِهِ. مَاءٌ يَبُوحُ بِأَسْرَارِهِ وَصَفَاؤُهُ، وَيَلُوحُ فِي قَرَارِهِ حَصْبَاؤُهُ، مَاءٌ كَأَنَّمَا يَفْقَدُهُ مَنْ يَشْهَدُهُ. مَاءٌ أَرْقَ مِنْ دُمُوعِي فِيكَ وَأَعَذِبَ مِنْ أَخْلَاقِكَ، وَأَبْرَدَ مِنْ فِعْلِ الزَّمَانِ حِينَ رَمَانِي بِفِرَاقِكَ. نَهْرٌ يَتَسَلْسَلُ كَالزَّرَافِينِ، وَيَرْضَعُ أَوْلَادَ الرِّيَّاحِينَ.

في ذكر الصيف ووصف الحر

قَوِي سُلْطَانُ الْحَرِّ. فُرْشٌ بِسَاطِ الْجَمْرِ. أَقْبَلْتُ أَوَائِلَ الْحَرِّ، وَغَيَّرَ الْهَوَاءَ

طبعه، وبدل مزاجه. حرّ الصيف، كحد السيف. أوقدت الشمس نارها، وأذكت أوارها. حرّ يُلْفَح حرّ الوجه. حرّ يشبه قلب الصبّ. ويذيب دماغ الضبّ. هاجرة كأنها من قلوب العشاق، إذا اشتعلت فيها نارُ الفراق. هاجرة تحكي نار الهجر، وتذيب قلب الصخر. كأنّ البسيطة من وقدة الحرّ، بساط من الجمر. حرّ يَهْرُب له الحرّ بآء من الشمس. قد صهرت الهاجرة من الأبدان، وركبت الجنادب العيدان. حرّ يُنْضِج الجلود، ويذيب الصيخود. أيام كأيام الفارقة امتداد، وحرّ كحرّ الوجد اشتداداً حرّ لا يطيب معه عيش، ولا ينفع ثلج ولا خيش. حمارة القَيْظ، تغلي بصدر الغيظ، أب أب يَجِيش مِرْجَله، ويثور قسطله. هاجرة كقلب المهجور، والتنور المسجور. هاجرة كالسعر الجاحم، تجرّ أذيال السمائم، ظلها يَحْمُوم، وماؤها محموم.

ذكر الخريف

انحسر قناع الصيف. خفّ سلطان الحرّ. خبت جمرة الهواجر. جاشت جيوش الخريف. فرّرت رايات المصيف، قد أخذ البرد يجمشنا بلواحظه، ويقرصنا بأنامله. أخذت عواصفه تهبّ، وأقبلت عقاربه تدبّ. قد حلت الشمس الميزان، وعدّل الزمان الميزان، لفح المصيف قد كفّ، ووقع الشمس قد خفّ، خفّت الرياح، وجفّت الأعواد.

في الشتاء ووصف البرد والثلج والجمر

ألقي الشتاء كلّكّله، وأحلّ بنا أثقاله. مدّ الشتاء رواقه، وألقى أرواقه، وحلّ نطاقه. ضرب الشتاء بجراحه، وأستقلّ بأركانه، أناخ بنوازله، وأرسي بكلاكله، وكلح بوجهه، وكثر عن أنياه. في الشتاء كلب، وفي الهواء غلظ، قد عادت هامات الجبال شييا، ولبست من الثلج ملأ قشيا. شابت مفارق البروج، لتراكم الثلوج. ألمّ المشيب بهامات بيّضت لِمَمُها، قد صار

البرد حجابا، وأثلج حجازا، برّد يعبس له ألوجه أطلق. برّد يزوي ألوجه، ويعمش ألعين، ويسيل الأنوف. برّد يُغيّر ألألوان، ويُقشّف أألبدان. برّد يُقضّض أأعضاء، وينفض أأحشاء. برّد أجمد أألريق في أأشداق، وأأدمع في أأماق. حال بين أأكلب وهريه، وأأسد وزئيره، وأأطير وصفيه، وأأماء وخريه، نحن بين لثقي ودمقي وزلق.

في الاستظهار على البرد

ليس للبرد كأبرد والجمر، إذا كلب أأشتا، فديرأق سموه أأصلا.

في نعت الأيام الشتوية

يومُ كأنّ أألأرض شابت لهوله. يومُ فضي أأجلباب، مسكي أأنقاب. يوم عبوس قمطير، كشر عن ناب أألزمهير، وفرش أألأرض بألقوارير. يومُ أأخذت أألشمال زمامه، وكساه أألصّر ثيابه. يومُ كأنّ أألأرض فيه كافورة. وأألأرض قارورة، وأألسماء بلورة. يومُ أألأرضه كألقوارير أألألمعة، وهوأؤه كأألزناير أألأسعة. يومُ أألأرضه كأألزجاج، وأألالي أألزجاج. يوم يثقل فيه أألخفيف إذا هجم، ويخفّ أألثقل إذا هجر.

أبواب ذكر الليل والنهار

ووصف أأوقاتهما، واختلاف أأحوالهما، وما يتصل بهما

في ذكر أقبال الليل وانتشار الظلمة وطلوع الكواكب

أأقبلت عساكر أألليل، خفقت رايات أألظلام، خلع أألليل علينا فروته، وأألبسنا أألظلام برّده. تفقد أألشفق، في ثوب أألغسق، قيد أألظلام أألحاظ أألعيون. وستره أألظلام بذيله. أأقبلت وفود أألنجوم. جاءت مواكب أألکواكب.

تفتحت أزاهير النجوم. نورت حدائق الجوّ. أذكى ألكم مصابيحها، طفت
النجوم في بحر الدجى.

ذكر الليالي المظلمة

لبس الليل جلباباً من الفار، ليلة كجناح الغراب، وشعر الشباب، وحدق
الحسان، وذوائب العذارى. ليلة كأنها في لباس بني العباس، كأنها في
لباس الثكالى، كأنها من الغبش، موكب الحبش. ليلة يضل بها الغطاء، ولا
يُبصر فيها الوطواط. ليلة قد حلك إهابها، وكأن الفجر يهابها. ليلة استعارت
لون الخيل الدُهم، كأن الأرض مصبوغة فيها بالمديد.

في ذكر الليالي الطليقة الطيبة المشكورة

ليلة سحر كلّها. ليلة كأنها نهار. ليلة من حسنات الدهر. ليلة هوأوها
صحيح ونسيمها عليل. ليلة كبرد الشباب. ليلة فضية الأديم، مسكية النسيم.
ليلة هي لمعة العمر، وغرة الدهر. ليلة مسكية الأديم، كافورية النجوم. ليلة
رقد الدهر عنها، وطلعت سعوها، وغاب عذالها. ليلة كالمسك منظرها
ومخبرها. ليلة هي باكورة العمر، وبكر الدهر. ليلة يلتقي طرفاها. ليلة
ظلماتها أنوار، وطوال أوقاتها قصار. ليلة كما شاء المحب. ليلة مسروقة من
الدهر، ليلة مريضة النسيم، صحيحة الهواء، مؤشّة بالنجوم، مطرزة بالقمر.

في ضد ذلك وذكر طول الليل

ليلة من غصص الصدر، ونقم الدهر. ليلة كلها غيوم وغموم. ليلة كما شاء
الحسود، وساء الودود. ليلة كان أول يوم الحشر آخرها. ليلة قص جناحها،
وضل صباحها. ليلة كليل الأعمى. ليل ثابت الأطناب طامي الغوارب، طامح
الأمواج وافي الذوائب. ليل كان نجومه نجوم الشيب. ليل كان نجومه عُقلت

فلا تسير، ولا تدور ولا تغور. ليالٍ ليست لها أسحار، وظلماتٌ لا تتخللها أنوار.

فيما يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر

بات فلان بليلة نابغية، بات بليل السقيم، بات بليل السليم، بات في الصيف بليلة شتوية، سامرته الهموم، وعانقته الغموم، قد توسد ذراع الهم، وافترش مهاد الغم، قد اكتحل السهاد، وافترش القتاد، اكتحل بمراود الأرق، وتقلب على مراقد القلق، جفا أجفانه الكرى، كأنما خلقت عيناه للسهر، النجوم شهود سهاده، كأن النوم قد غضب على مآقيه، اكتحل بملمول السهر، وتململ على فراش الفكر، أقص مهاده، وقلق وساده، هموم تفرق بين الجنب والمهاد، وتجمع بين العين والسهاد، سهر يفتق الجفن، ويقذي العين، ويؤذي القلب، ويوحش النفس. طرف برعي النجوم مطروف، وفراش بشعار الهم محفوف، كأنه على النجوم ريب، وللظلام نقيب.

ذكر النعاس والنوم

شرب كأس النعاس، أنتشى من خمر الكرى، خاط النعاس جفونه، أخذ الكرى يجمشه، بل ثقل رأس، وتقاضي نعاس، عسكر النعاس بطرفه، وخيم بين عينيه وجفنه. خاض ضحضاح الكرى، ملأ النعاس جفنه، وشغل عينه. مال مع النعاس. مس النوم مقلته. غلبته عيناه. كأن النعاس يطالبه بدّين. غشيّه نعاس الوحدة، ضرب على أذنه وقد ملأ عينه، غرق في لجة الكرى. تمايل من سكرة النوم. غفوة كحسوة الطائر، نومه كلا ولا قلة، وكتصفية الطائر خفة، كحل الليل ألورى بالرقاد، وشامت الأجفان أعينها في الأغمد، عبث الكرى بهم، وأرخی مفاصلهم، وأمال أعناقهم.

انتصاف الليل

قد تنصفنا عمرَ الليل، وأستغرقنا شبابه. مضى من الليل صدره، وأنقضى شطره. اكتهل الظلام. شاب رأس الليل. كاد ينم النسيم بالسحر، الصبح حَمَلٌ بين أحشاء الدجى.

تناهي الليل وتصومه

انكشف غطاء الليل. انهتك ستر الدجى. رُفِعَ سِجْفُ الظلام، رق ثوب الدجى، نعى الدّيك الظلام، هَرِمَ اللَّيْلُ، وَشَمِطَت ذَوَائِبُهُ، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ، وَتَصَرَّمَ عَمْرُهُ، قُوِّضَت خِيَامُ الظلام، خلع الأفق ثوب الدجى، استردّ الليل خِجْلَتَهُ، انتقب الليل بالصبح، أَعْرَضَ الظلام وتولى، وتدلّى عنقود الثريا، طَرَزَ الصبح قميص الليل، باح الصباح بسرّه، خلع الليل ثيابه، وحذر الصبح نقابه.

إقبال الصبح وانتشار النور

لاحت نباشير الصبح، افترّ ألفجر عن نواجذه. ضرب الصبح في الدجى بعموده. تبسّم عن نوره. فتكّ الصبح بالليل، بشر الدّيك الصبح، سلّ سيف الصبح في قفا الظلام. بثّ الصبح طلائعه. نشر ثياب النور. تبرقع وجه الليل بغرة الصبح أطار بازي النهار غراب الليل. عزلت نوافج المسك بشمّامات الكافور، وانهزم جند الظلام من عسكر النور. خلعنا خِلْعَةَ الظلام ولبسنا رداء الصبح، ملأ الأذان الأذان، برّق الصباح، وسطع الضوء، وطلع النور، وأشرقت الدنيا، وأضاءت الأفاق.

افول النجوم

مالت الجوزاء للغروب، ولّت مواكب الكواكب، تناثرت عقود النجوم

تَعْطَلُ الْأَفَقَ مِنْ حُلِيِّ الْكَوَاكِبِ، تَفَرَّقَتْ أَسْرَابُ النُّجُومِ، فَرَّتْ مِنْ حَدَقِ
الْأَنَامِ، وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ، وَأَنْطَفَأَتْ قَنَادِيلُ الثَّرَيَا.

طلوع الشمس وانبساط الضوء

بدا حاجبُ الشمسِ. ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ. ارتفع الحجاب عن حاجبها.
لمعت الشمس في أجنحة الطير. كشفت قناعها، ونشرت شعاعها. ارتفع
سُرادقها، وأضاءت مشارقها. انتشر جناح الضوء، في أفق الجوّ. طَنَّبَ شعاع
الشمس في الآفاق، وذَهَبَ أطرافَ الجدران. افتضضنا عُذْرَةَ الصُّبْحِ.

منوع النهار

أَيْفَعَ النَّهَارُ وَارْتَفَعَ. تَرَجَّلَتِ الشَّمْسُ. استوى شباب النهار. علا رَوْقُ
الضُّحَى.

انتصاف النهار

بلغت الشمس كبد السماء، انتعل كل شيء ظله، قام قائم الهاجرة، رمت
الشمس بِجَمَرَاتِ الْهَجِيرِ.

اصفرار الشمس وغروبها

اصفرت غلالة الشمس، صارت كأنها الدِّينَارُ، يلمع في قرار الماء،
نفضت تَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ، وشَدَّتْ رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ، بقل وجه النهار، وطرَّ
شاربه، تصوّبت الشمس للمغيب، وتضَيَّفت للغروب، وآذَنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ،
شَابَ النَّهَارُ، وَأَقْبَلَ شَبَابَ اللَّيْلِ. وقعت الشمس للغيار، وشَافَهُ اللَّيْلُ لِسَانَ
النَّهَارِ. شَرِقَتِ الشَّمْسُ بِرُوحِهَا، جَنَحَتْ لِلْغُرُوبِ، وشارفت درج الوجوب،
الغزاة مصوبة للغروب، مؤذنة بالمغيب. والجوّ في أَطْمَارٍ مَبْهَجَةٍ مِنْ أَصَائِلِهِ،

وشفوفٍ مورَّسة من غلائله . استتر وجه الشمس بالنقاب ، وتوارت بالحجاب .

ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه

كان ذلك من مُفْتَتِحِ النهار إلى مُخْتَتَمِهِ ، ومن قَرْنِهِ إلى قدمه ، من مطلع الفلق ، إلى مجمع الغسق ، فلان يركب في مقدّمة الصبح ، ويرجع في ساقية الشّمس ، من حين تفتح الشّمس جَفْنَهَا إلى أن تغضّ طرفها . من حين تسكن الطّير في أوكارها ، إلى أن تنزل السّراة من أكوارها .

أبواب الأمكنة والأبنية

في وصف البلاد

بلدٌ كأنها صورة جنة الخلد ، منقوشة في عَرْضِ الأرض . بلدٌ كأن محاسن الدّنيا مجموعة فيها ، ومحصورة في نواحيها ، بلدة ترأبها عَيرٌ وحصباؤها عقيق ، وهواؤها نسيم ومأؤها رحيق . بلدة معشوقة السُّكنى ، رحيبة المشوى . كوكبها يقظان ، وجوها عُرْيَان ، وحصاها جواهر ، ونسيمها مُعَطَّر ، وترأبها مُسَكٌّ أَذْفَر ، ويومها غداةٌ وليلها سَحَر ، فطعامها هني ، وشرابها مَرِي . بلدةٌ واسعةُ الرّقعة ، طيبةُ البُقعة . كأن محاسن الدّنيا فيها مفروشة ، وصورة ألجنة بها منقوشة ، واسطة البلاد وسُرَّتُها ، ووجهها وغُرَّتُها .

في ضد ذلك

بلدٌ متضايقُ الحدود والآفينة ، مُتراكبُ المنازل والآبنية . بلدةٌ حرُّها مُوذِي ، ومأؤها موبى . بلدةٌ وسخةُ السماء ، ومدةُ الهوآء . جوها غبار ، وأرضها خَبَار ، ومأؤها طينٌ ، وترأبها سِرْجِين ، وحيطانها نَزُوز ، وتشريئها تموز ، فكم في شمسها من محترق ، وفي ظلّها من غَرِق . بلدةٌ ضيقةُ الدّيار ، سيئةُ الجوار ،

حيطانها أخصاص، وبيوتها أقفاص، وحشوشها مسابل، وطرقها مزابل.

في ذكر الوطن

بلدة هي عُشه، وبها منزله وعيشه. بلد لا يُؤثر عليه بلداء، ولا يصبر عنه أبداً، عُشه الذي فيه درج، ومنه خرج. مقطع سُرته، ومجمع أسرته. بلد أنشأته تربته، وغذاه هواؤه، ورباه نسيمه، وحلّت عنه ألتمائم فيه.

في الحصون والقلاع

حصن كأنه على مَرَقَب النجم، ومجيز من الْقَدَر الْحَتَم. حصن يحسر دونه الناظر، ويقصر عنه الْعَقَابُ الْكَاسِر. يكاد من علاه يغرف من حوض الغمام، كأنه فوق السحاب سحاب. حصن أنتطق بِالْجُوزَاءِ، وناجت بوجه أبراج السماء. قلعة قد حلقت في الجوّ كأنها سحابة، كأن الغمامة لها عِمَامَة، كأنها تُناجي السماء بأسرارها. قلعة بُعد في السماء مرتقاها، حتى تساوى ثراها مع ثريائها. قلعة تتوشح بِالْغُيُومِ، وتتحدى بِالنَّجُومِ. أصلها في التَّخُومِ، وفرعها في النُّجُومِ. قد حلق جناحها إلى عَنَانِ النِّجْمِ. شَمَاءُ عن المرتقي، صَمَاءُ عن الرّاقِي. قد جاوزت الْجُوزَاءَ سَمْتًا، وعزلت السَّمَاءَ الْأَعَزَلَ سَمَكًا. هي في الْحَصَانَةِ مَتْنَاهِيَّة، وبِالْوَثَاقَةِ مَوْصُوفَةٌ، مَمْتَنَعَةٌ عَلَى الْطَلَبِ وَالْطَّالِبِ. مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ. لم تزدها الأيام إِلَّا نُبُوَ أَعْطَافٍ، وَاسْتَصْعَابِ جَوَانِبِ وَأَطْرَافٍ، قَدْ مَلَّ الْوَلَاةُ حِصَارَهَا فَفَارَقَوْهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ، وَسَمَّتِ الْجِيُوشُ ظِلَهَا فغادرتهَا بَعْدَ قَنُوطِ وَيَاسٍ، فَهِيَ حَمَى لَا يُرَاعِ، وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ. تَعْطِسُ بِأَنْفٍ شَامَخٍ مِنْ أَلْمُنْعَةِ، وَتَنْبُو بِعِطْفٍ جَامِحٍ عَلَى الْخُطْبَةِ، كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَافَحَتْهَا عَلَى الْإِعْغَاءِ مِنْ الْحَوَادِثِ، وَاللَّيَالِيَ قَدْ عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ. قَلْعَةٌ تَحْوِي مِنَ الرِّفْعَةِ قَدْرًا لَا تُسْتَهَانُ مَوَاقِعُهُ، وَتَلْوِي فِي أَلْمُنْعَةِ جِيدًا لَا تُسْتَلَانُ أَحَادِعُهُ،

ليس للوهم قبل الأقدم إليها مسرى، ولا للفكر قبل الخطو نحوها مجرى.

في القصور

قصرٌ كأنَّ شُرُفاته بين النَّسرِ وَالْعَيوقِ، كأنها تُسامي الْفَرْقد. قصرٌ يُرتقى من سطحه إلى الشُّعريين. اكتست له الشُّعري الْعُبُور، ثوب الْغَيُور. قصرٌ طال مبناه، وطاب مغناه، كأنه في الْحَصانة جبلٌ منيع، وفي الْحسن ربيعٌ مريع شُرُفاتٌ كَالْعَدَارَى شددن مناطقهنَّ، وتوجنَّ بِالْأَكاليل مفارقهن. قصرٌ أَقَرَّتْ له الْقُصور بِالْقُصور عنه، كأنه سِحَاب، في نحر السحاب.

في الدور السرية

دارٌ قَوَّاء تُوسع الْعَيْن قُرَّة، وَالنَّفْس مسرَّة، كأن بانيتها آستسلف الْجَنَّة فعجلت له، دارٌ تخجل منها الدُّور، وتتقاصر لها الْقُصور، إن مات صاحبها مغفوراً له فقد انتقل من جنةٍ إلى جنة. دارٌ قد أَقترن أَلِيمُن بِيُمناها، وَأَلِيسُرُ بِيُسراها، الْجِسوم منها في حَضَر، وَالْعَيون منها عَلَى سَفَر. دارٌ هي دائرة أَلَمِيَّامِن، ودائرة المحاسن، دارٌ دارٌ بِالسَّعد نجمُها، وفاز بِالْحسن سهمُها. دارٌ قد أَخَذَتْ أَدَاة الْجَنان، وضحكت عن الْعَبْقَرِيِّ الْجِسَّان. دارٌ يخدمها الدُّهر، ويأويها أَلْبدر، ويكنفُها النَّصر. دارٌ هي مَرْتَعُ الْنواظر، وَمُتَنَفِّسُ الْخِواطر. دارٌ كأنها خان، يدخلها من وفي ومن خان. صحنٌ تسافر فيه الْعَيونُ، بِهِوْبَيَّ، وَرُواقٌ رَأَق، بَيْتٌ فضيَّ الْحِيطان، رُخامي الأركان.

في الدور المتداعية الخالية

دارٌ لَيْسَتْ أَلِيلِي، وتعطلت من الْحُلَى، فحالها تصفُ للعيون أَلَشْكوى، وتُشير إلى دَمِّ الدُّنيا. دارٌ قد صارت منهم خالية، بعد ما كانت بهم حالية.

دار قد أنهض الدهر سُكَّانها، وأقعد حيطانها، شاهدُ اليأس منها ينطق، وحبل
الرجاء فيها يقصر، وكأنَّ عُمرانها يطوى، وخرابها يُنشر، أركانها قيامٌ وقعود،
وحيطانها رُكْعٌ وسجود، سقفها أرض، وأرضها تلّ.

آخر كتاب الأزمّة والأمكنة والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب أحوال الإنسان

من لدُن صِغَرِه ونَمَآئِه، إِلَى كِبَرِه وَأَنْتَهَاءِه

في ذكر الصبية الصغار

صَبِيَّةٌ كَفَرَاخُ الْعَشُوشِ، وَأَوْلَادُ الْخَفَافِيشِ. صَبِيَّةٌ يَسْعُهُمْ قَفِيزٌ. أَوْلَادُ جُلْهُمٍ صَبِيَّانِ، أَكَابِرُهُمْ أَصَاغِرُ، كَانَهُمْ أَفْرُخُ زُغَبٍ. صَبِيَّانُ كَانَهُمْ صَبِيَّانِ، وَوِلْدَانُ كَانَهُمْ كِيزَانِ، قَدْ أَرْضَعْتُهُ بِلَبَانِهَا، وَحَمَلْتُهُ عَلَى لَبَانِهَا. طِفْلٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ، بِأَلْمَهْدِ.

في حسن مخايل المولود

شَهِدْتُ لَهُ الْفِرَاسَةَ رَضِيعًا، أَنَّ لَا يَكُونُ وَضِيعًا. وَالْمَخَايِلُ فَطِيمًا، أَنَّ يَكُونُ سَمَحًا كَرِيمًا، وَالشَّوَاهِدُ صَبِيًّا، أَنَّ يَنْزِلَ مَكَانًا عَلِيًّا. وَالشَّمَائِلُ غَلَامًا، أَنَّ يَكُونُ قَرْمًا هَمَامًا.

في ذكر الغلام الامرد ووصف محاسنه

زَادَ جَمَالَهُ، وَأَقَمَرَ هَلَالَهُ. تَرَقَّرَقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْحَسَنِ. شَادَنُ فَاتِنٍ، طَرَفَهُ فَاتِرٌ، وَنَظَرَهُ سَاحِرٌ. غُلَامٌ تَأْخُذُهُ أَلْعَيْنُ، وَيَقْبَلُهُ أَلْقَلْبُ فَتْرَتَاخُ لَهُ أَلرُّوحُ. تَكَادُ أَلْعَيُونُ تَأْكُلُهُ، وَأَلْقُلُوبُ تَشْرِبُهُ. جَرَى مَاءُ أَلشَّبَابِ فِي عَوْدِهِ فَتَمَايَلُ كَالْغُصْنِ، وَاسْتَوْفَى أَقْسَامُ الْحَسَنِ. لَيْسَ دِيْبَاجَةَ الْمَلَاخَةِ. كَانَ الْبَدَرُ رُكِبَ عَلَى أَزْرَارِهِ.

لا يَشْبَعُ مِنْهُ الْناظِرُ، وَلَا يَرَوِي مِنْهُ الْخَاطِرُ. كَادَ النَّجْمُ يَحْكِيهِ وَالشَّمْسُ تُشْبِهُهُ. صُورَةٌ تَجْلُو الْأَبْصَارَ، وَتُخْجِلُ الْأَقْمَارَ. شَادِنٌ مُنْتَقِبٌ بِالْبَدْرِ، مُكْتَحِلٌ بِالسَّحَرِ. مَا هُوَ إِلَّا نُزْهُةُ الْأَبْصَارِ، وَبِدْعَةُ الْأَمْصَارِ. غَمَزَاتُ طَرْفِهِ، تُخْبِرُ عَنْ طَرْفِهِ، وَمَنْطَقَتُهُ تَنْطِقُ بِوصْفِهِ. وَجْهَهُ قَيْدُ الْأَبْصَارِ، وَأَمْدُ الْأَفْكَارِ، وَنَهَايَةُ الْاِعْتِبَارِ. تَخَالُ الشَّمْسُ بِرَقْعَتِ غُرَّتِهِ، وَاللَّيْلُ نَاسِبَ أَصْدَاغِهِ وَطُرَّتِهِ. الْحُسْنُ مَا فَوْقَ أَزْوَارِهِ، وَالطَّلِيْبُ مَا تَحْتَ إِزَارِهِ، شَادِنٌ يَضْحَكُ عَنِ الْأَفْخُوَانِ، وَيَتَنَفَّسُ عَنِ الرِّيحَانِ، كَأَنَّ قَدَّهُ سَكَرَانُ مِنْ خَمَرِ طَرْفِهِ، وَبَغْدَادٌ مَسْرُوقَةٌ مِنْ حُسْنِهِ وَطَرْفِهِ، قَدْ أَعْجَمَتْ يَدُ الْجَمَالِ، نَوْنٌ صُدِغَ بِخَالِ. لَهُ عَيْنَانِ حَشُو أَجْفَانِهِمَا السَّحَرِ. كَأَنَّهُ أَعَارَ الطَّيْبِي جِيدَهُ وَالْغُصْنَ قَدَّهُ. وَالرَّاحَ رِيحَهُ وَالْوَرْدَ خَدَّهُ، الشَّكْلَ فِي حَرَكَاتِهِ، وَجَمِيعَ الْحُسْنِ بَعْضُ صِفَاتِهِ. قَدْ مَلَكَ أَرْمَةً الْقُلُوبِ، *، كَأَنَّمَا وَسَمَهُ الْجَمَالُ بِنَهَايَتِهِ، وَلَحَظَهُ الْفَلَكَ بِعَنَايَتِهِ، فَصَاغَهُ مِنْ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَحَلَّاهُ بِنُجُومِهِ وَأَقْمَارِهِ، وَنَقَشَهُ بِبِدَائِعِ آثَارِهِ، وَرَمَقَهُ بِنَوَاطِرِ سُعُودِهِ، وَجَعَلَهُ بِالْكَمَالِ أَحَدَ حُدُودِهِ، قَدْ صَبَغَ الْحَيَاءَ غِلَالَةَ وَجْهِهِ، وَنَثَرَ لَوْلُوءَ الْعَرَقِ عَلَى وَرْدِ خَدِّهِ، تَكَادُ أَلْاِلْحَاطُ تَسْفِكُ عَنْ خَدِّهِ دَمَ الْخَجَلِ. طَرَّةٌ كَالْغَسَقِ، عَلَى غَرَّةٍ كَالْفَلَقِ، جَاءَنَا فِي غِلَالَةٍ تَنِيْمٌ عَلَى مَا تَسْتُرُهُ، وَتَجْفُو مَعَ رِقَّتِهَا عَمَّا تَظْهَرُهُ. وَجْهٌ بِمَاءِ الْحُسْنِ مَغْسُولٌ، وَطَرْفٌ بِمُرُودِ السَّحَرِ مَكْحُولٌ. ثَغْرٌ حُبِّي حَمَايَةَ الثُّغُورِ، وَجُعِلَ ضَرْبَةً لِقَلَائِدِ النُّحُورِ. السَّحَرُ فِي الْاِحَاظَةِ، وَالشَّهْدُ مِنْ أَلْفَاظِهِ. كَأَنَّهُ خَاصِمُ الْوِلْدَانِ، فَفَارَقَ الْجِنَانَ. وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانِ اخْتِلَاسِ قَامَةِ الْغُصْنِ، وَتَوَشَّحَ بِمَطَارِفِ الْحُسْنِ، وَحَكَى أَلْرُوضِ غَيْبِ الْمُزْنِ، الْأَرْضُ مَشْرِقَةٌ بِنُورِ وَجْهِهِ، وَلَيْلُ السَّرَارِ فِي عِيَالِ شَعْرِهِ، وَالْجَنَّةُ مُجْتَنَاءُ مِنْ قُرْبِهِ، وَمَاءُ الْجَمَالِ يَتَرَفَّقُ فِي خَدِّهِ، وَمَحَاسِنُ الرَّيْبِ بَيْنَ سَحَرِهِ وَنَحْرِهِ، وَالْقَمَرُ فَضْلَةٌ مِنْ حُسْنِهِ، وَالشَّمْسُ مِنْ حَمَلَةِ عَرْشِهِ، مَا هُوَ إِلَّا خَالٌ فِي خَدِّ الظَّرْفِ، وَطِرَازٌ عَلَى الْحُسْنِ، وَوَرْدَةٌ فِي غُصْنِ الدَّهْرِ وَنَقَشٌ عَلَى خَاتَمِ الْمَلِكِ، وَشَمْسٌ فِي فَلَكَ اللَّطْفِ.

في الصدغ والشارب والعدار

زرافينُ أصدغه مَعَالِيْقُ الْقُلُوبِ، كَأَنَّ صُدْغَهُ قُرْطٌ مِنْ الْمِسْكِ عَلَى عَارِضِ
الْبَدْرِ. وَجْهَهُ عَرُسٌ وَصُدْغُهُ مَاتَمٌ، وَوَصَلَهُ جَنَّةٌ وَهَجَرَهُ جَهَنَّمُ. أَصْدَاغُهُ قَدْ
أَخَذَتْ شَكْلَ الْعِقَارِبِ، وَظَلَمَتْ ظَلَمَ الْأَقَارِبِ. إِنْ كَانَتْ عَقْرُبُ صَدْغِهِ
تَلْسَعُ، فَتَرْيَاقُ رِيقِهِ يَنْفَعُ، كَأَنَّ شَارِبَهُ زَيْبُ الْخَزْرِ الْأَخْضَرِ، وَعِذَارُهُ طَرَاؤُ
الْمِسْكِ الْأَذْفَرِ، عَلَى الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ، إِذَا تَكَلَّمَ تَكْشِفُ حِجَابَ الزُّمْرُودِ
وَالْعَقِيقِ، عَنْ سِمْطِ الدَّرِّ الْأَنْيَقِ، قَدْ هَمَّ أَرْقَمُ الشَّعْرِ عَلَى شَارِبِهِ، قَدْ كَادَتْ يَدُ
الْحُسْنِ تَغْلِفُهُ، كَادَ الْعِدَارُ يَنْقُشُ فَصَّ وَجْهِهِ، وَيُحْرِقُ فَضَّةَ خَدِّهِ. طَرَزَ
الْجَمَالُ دِيبَاجَةَ وَجْهِهِ، وَأَبَانَ عِدَارُهُ الْعُدْرَةَ فِي حُبِّهِ. لَعِبَ الرِّبْعُ بِخَدِّهِ، وَأَنْبَتَ
الْبَنْفَسَجُ فِي وَرْدِهِ. لَمَّا أُحْرِقَتْ بِالشَّعْرِ فَضَّةُ خَدِّهِ، احْتَرَقَ سَوَادُ الْقُلُوبِ مِنْ
حُبِّهِ، كَيْفَ لَا يَخْضَرُّ عَارِضُهُ وَمِيَاهُ الْحَسَنِ تَسْقِيهِ.

وصف خروج اللحية وذمها

نَسَخَ الشَّعْرُ آيَةَ حُسْنِهِ، وَمَحَا مَحَاسِنَ وَجْهِهِ. كَسَفَ الشَّعْرُ هَلَالَهُ، وَأَكْسَفَ
بَالَهُ، وَأَحَالَ خِيَالَهُ، وَمَسَحَ جَمَالَهُ، وَانْتَقَبَ بِالْدِّيَجُورِ، بَعْدَ النُّورِ. دَوْلَةُ حُسْنِهِ
أَعْرَضَتْ، وَأَيَّامُهُ قَدْ انْقَضَتْ، اسْتَحَالَ نُورُ خَدِّهِ دُجَى، وَزُمْرُودُ خَطِّهِ سَبَجَا.
أُحْمِدَتْ نَارُ حُسْنِهِ بَعْدَ الْآتِقَادِ. وَلَيْسَ عَارِضَاهُ ثَوْبُ الْجِدَادِ. قَدْ ذَبُلَ وَرْدُ
خَدِّهِ، وَتَشَوَّكَ زَعْفَرَانُ خَطِّهِ. فَارَقْنَا خِشْفًا، وَوَاثَانَا جِلْفًا، فَارَقْنَا هَلَالًا وَغَزَالًا،
وَعَاوَدْنَا نِكَالًا وَوَبَالًا.

نعت محاسن الجواري

هِيَ رَوْضَةُ الْحَسَنِ، وَضَرَّةُ الشَّمْسِ، وَبَدْرُ الْأَرْضِ. هِيَ مِنْ مَعَارِيضِ
الْفَتَنِ، وَحَبَائِلِ الشَّيْطَانِ. هِيَ مِنْ وَجْهِهَا فِي صَبَاحِ شَامِسٍ، وَمِنْ شَعْرِهَا فِي

مسَاء دَامَسَ، كَأَنهَا فَلَقَةُ قَمَرٍ، عَلَى بُرْجِ فِضَّةٍ. كَأَنَّمَا لَبَسَتْ قَشُورَ أَلْدَرٍ بَدْرُ
 أَلْتَمَ، شَمْسُ الضُّحَى تَضِيءُ تَحْتَ نَقَابِهَا، وَغَصْنُ أَلْبَانٍ يَهْتَرُّ تَحْتَ ثِيَابِهَا،
 ثَغْرُهَا يَجْمَعُ الضَّرِيبَ وَالضَّرْبَ. قَدْ أَتَبَتْ صَدْرَهَا ثَمَرًا. (كَذَا) قَدْ أَثْمَرَ خَدَّهَا
 أَلْتَفَاحَ، وَصَدْرُهَا أَلْرُّمَانَ، خَرَطَتْ لَهَا يَدُ الشَّبَابِ حُقَيْنِ مِنْ عَاجٍ، كَأَنهَا أَلْبَدْرُ
 قَدْ قُرِطَ بِأَلْثَرِيَا وَنَيطَ بِهَا عِقْدٌ مِنْ أَلْجُوزَاءِ، أَعْلَاهَا كَأَلْغَصْنِ مِيَالٍ، وَأَسْفَلُهَا
 كَأَلْدُعْصِ مُنْهَالٍ. لَهَا عُنُقٌ كَأَبْرِيقِ أَللُّجَيْنِ، وَسُرَّةٌ كَمُدْهْنِ أَلْعَاجِ، نَطَاقُهَا
 مُجَدَّبٌ، وَإِزَارُهَا مَخْصَبٌ. مَطْلَعُ أَلشَّمْسِ مِنْ وَجْهِهَا، وَمَنْبُتُ أَلْدَّرِ فِي فَمِهَا،
 وَمَلَقَطُ أَلْوَرْدِ مِنْ خَدَّهَا، وَمَنْبِغُ أَلسَّحَرِ مِنْ طَرْفِهَا، وَمَبَادِي أَللَّيْلِ فِي شَعْرِهَا،
 وَمَغْرَسُ أَلْغَصْنِ مِنْ قَدَّهَا، وَمَهِيلُ أَلرَّمْلِ فِي رَدْفِهَا، سُرِّيَّةٌ سَرِيَّةٌ، قَيْنَةٌ
 كَتَصْحِيفِهَا. أَلْحُسْنُ فِي خِلْقِهَا، وَأَلطَّيْبُ فِي خُلُقِهَا.

ذَكَرَ الشَّابَّ الْغَضَّ الشَّبَابَ

هُوَ فِي أَقْتِبَالِ شَبَابِهِ، وَحَدَاثَةِ أَتْرَابِهِ، وَرِيْعَانِ عَمَرِهِ، وَعُغْنُفَوَانِ أَمْرِهِ. هُوَ فِي
 رِيَّانِ شَبَابِهِ وَأَعْتِدَالِهِ، وَرِيْعَانِ إِقْبَالِهِ وَأَقْتِبَالِهِ، شَبَابِهِ طَرِيٍّ، وَذَكَأُوهُ قَوِيٍّ.
 غَصْنُ شَبَابِهِ رَطِيبٌ، وَبُرْدُ حَدَاثَتِهِ قَشِيبٌ، بَعَثَهُ عَلَى ذَلِكَ أَشْرُ أَلصَّبِيِّ، وَمَرَحُ
 أَلشَّبِيَّةِ، وَسُكْرُ أَلْحَدَاثَةِ. هُوَ بَعْدَرَةُ أَلشَّبَابِ، وَفَرَاغُ أَلْبَالِ، حَدَثٌ يَكُرُّ
 أَلْأَمَالَ، بَضُّ أَلْجَمَالِ، حَسَنُ أَلْأَقْتِبَالِ، فَتَى أَلسَّنِّ، رَطِيبُ أَلْغُصْنِ. عَمَرُهُ فِي
 إِقْبَالِهِ، وَنَشَاطُهُ فِي أَسْتِقْبَالِهِ، وَشَبَابُهُ فِي أَقْتِبَالِهِ، وَمَأْوُهُ بِحَالِهِ. فَلَانٌ فِي حَكْمِ
 أَلْأَطْفَالِ، أَلَّذِينَ لَمْ يَعْصُوا عَلَى نَوَاجِذِ أَلرَّجَالِ.

خِلَاعَةُ الشَّابِّ وَتَصَابِيهِ

أَطَاعَ الشَّبَابَ وَغَرَّتْهُ، وَأَجَابَ أَلصَّبِيَّ وَشَرَّتْهُ. هُوَ فِي عُغْنُفَوَانِ شَبِيَّةٍ تَخَافُ
 سَقَطَاتِهَا وَهَفَوَاتِهَا، وَلَا تَوْمُنُ جَمَحَاتِهَا وَنَزَوَاتِهَا، جَرَّ أَرْزُ أَلصَّبِيِّ، وَأَذَالَ دُيُولَ
 أَلْهَوَى. هُوَ فِي سُكْرِي الشَّبَابِ وَأَلشَّرَابِ. هُوَ بَيْنَ نَزَقَاتِ أَلشَّبَانِ، وَنَزَغَاتِ

الشَّيْطَانُ. شَبَابُهُ أَعْمَى عَنِ الرَّشْدِ، أَصَمُّ عَنِ الْعَدْلِ، قَدْ لَبَّى دَاعِيَ هَوَاهُ،
وَأَنْغَمَسَ فِي لُجَّةِ صِبَاهٍ. قَدْ هَجَمَ بِسُكْرِ الْحَدَاثَةِ عَلَى سَكْرَاتِ الْحَوَادِثِ،
جَرَى إِلَى الصَّبِيِّ، جَرَى الصَّبَا. رَكُضَ فِي مِيدَانِ التَّصَابِي، وَجَنَى ثَمَرَاتِ
الْمَلَاهِي. أَنْفَقَ صِبَاهَهُ عَلَى الْفَحْشَاءِ، وَشَبَابَهُ عَلَى الْأَحْشَاءِ، وَأَصْبَحَ بَيْنَ
الزَّقِّ وَالْعُودِ، وَأَمْسَى بَيْنَ مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ. فَلَانَ غُفْلٌ مِنْ سِمَةِ التَّجَرِبَةِ،
صَعَبُ الرُّأْسِ عَلَى لِحَامِ الْعِظَةِ، جَامِحٌ فِي عِذَارِ الْغَفْلَةِ. هُوَ فِي سُلْطَانِ
الصَّبِيِّ، وَفِي نُبُوَةِ الْأُولَى، قَدْ خَلَعَ عِذَارَهُ وَمَقُودَهُ، وَأَلْقَى إِلَى الْبِطَالَةِ بَاعَهُ
وَيْدَهُ. هُوَ بَيْنَ خُمَارِ الْغَدَاةِ وَسُكْرِ الْعَشِيِّ. فَلَانَ لَا يَعْرِفُ الصَّحْوَ، وَلَا يُفَارِقُ
اللَّهُوَ. هُوَ بَيْنَ غَرَرِ الشَّبَابِ، وَغُرَرِ الْأَحْبَابِ. فَلَانَ لَا يُفِيقُ، وَلَا يُدْرِكُهُ
الْتَّوْفِيقُ.

في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي

جَمَعَ نِضَارَةُ الشَّبَابِ إِلَى أَبْهَةِ الشَّيْبِ. هُوَ عَلَى حَدُوثِ مِيلَادِهِ، وَقُرْبِ
إِسْنَادِهِ، شَيْخٌ قَدِيرٌ وَهِيْبَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْخَ سَنٍّ وَشَيْبَةٍ. هُوَ بَيْنَ شَبَابٍ
مُقْتَبِلٍ، وَعَقْلٍ مَكْتَهَلٍ. قَدْ لَبَسَ بُرْدَ شَبَابِهِ عَلَى عَقْلِ كَهْلٍ، وَرَأَى جَزْلَ،
وَمَنْطِقَ فَصْلٍ. لِلدَّهْرِ فِيهِ مَقَاصِدٌ، وَلِلْأَيَّامِ فِيهِ مَوَاعِدُ. أَرَى لَهُ فِي ضَمَانِ
الْأَيَّامِ، وَوَدَائِعِ الْحُظُوظِ وَالْأَقْسَامِ، تَبَاشِيرَ نُجُجٍ، وَمَخَايِلَ نَصْرِ وَفَتْحٍ، قَدْ
اسْتَكْمَلَ قُوَّةَ الْفَضْلِ، وَلَمْ يَتَكَامَلْ لَهُ سَنُّ الْكَهْلِ. مَا زَالَتْ مَخَايِلُهُ وَلِيْدًا
وَنَاشِئًا، وَشِمَائِلُهُ صَغِيرًا وَيَافِعًا. نَوَاطِقُ بِالْحَسَنِ عَنْهُ، وَضَوَامِنُ لِلنَّجْحِ فِيهِ.
قَدْ سَمَا إِلَى مَرَاتِبِ أَعْيَانِ الرِّجَالِ، الَّتِي لَا تُدْرِكُ إِلَّا مَعَ الْكَمَالِ وَالْإِكْتِهَالِ،
حُمِدَتْ عَزَائِمُهُ، قَبْلَ أَنْ حُلَّتْ تَمَائِمُهُ. وَشُهِدَتْ مَكْرُمَاتُهُ، قَبْلَ أَنْ دَرَجَ لِدَائِمَتِهِ.

وخط الشيب وانتشاره

شَعَرَ الشَّيْبُ بِشَعْرِهِ. عَرَضَ الْبَيَاضُ بِعَارِضِهِ. نَوَّرَ غَصْنُ شَبَابِهِ. ضَحِكَ

الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ . لاحت جِلْيَةُ الشَّيْبِ فِي عِذارِهِ . لمعت نَجُومُ الشَّيْبِ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ . لاحت الشَّعْرَاتُ الْبَيْضُ ، وجعلت تُفَرِّجُ وَتَبْيِضُ . بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلائِعُ الْمَشِيبِ وَطَوَالِ الْعَتِيرِ . أَخَذَ الشَّيْبُ بِعِنانِ شَبَابِهِ . ذَرَّتْ يَدُ الزَّمَانِ كَافُوراً عَلَى مِسْكِهِ . مَدَّ الْمَشِيبُ طِرَازاً عَلَى وَجْهِهِ ، وَكَتَبَ أَسْطُراً فِي عَارِضِهِ . طَرَزَ الشَّيْبُ بُرْدَ شَبَابِهِ . حَطَّ الْمَشِيبُ بِرَبْعِهِ ، وَخَطَّ الْعَتِيرُ عَلَى فَوْدِهِ . لاحَ أَقْحُوَانُ الشَّيْبِ فِي بَنْفَسَجِ شَبَابِهِ ، أَلَمَ وَفَدَّ الشَّيْبُ بِفَوْدِهِ . غَرَاهُ الشَّيْبُ بِجِيوشِهِ ، كَتَبَتْ يَدُ الشَّيْبِ فِي فَوْدِهِ ، مَوَاعِظُ يَقْرَأُهَا الْأَنَامُ عَلَيْهِ ، أَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ . صاحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِهِ . افْتَرَّ لَهُ الشَّيْبُ عَنْ نَابِ الْأَسُودِ ، وَأشارَ إِلَيْهِ بِمُخْلَبِ الْأَسَدِ . قد فَضَّضَ الزَّمَانُ أَبْنُوسَهُ . اشْتَمَلَ الشَّيْبُ عَلَى عَارِضِهِ ، أَلْجَمَهُ الشَّيْبُ بِلِجَامِهِ ، وَقَادَهُ بِزِمَامِهِ . سالَ وادي الشَّيْبِ فِي مَفْرِقِهِ . اعْتَمَ بِالْمَشِيبِ وَتَلَثَّمْ بِهِ . لاحَ نَوْرُ الْأَهْمُومِ فِي عَارِضِهِ . قَنَعَهُ الشَّيْبُ خِمَارَهُ ، وَأَحْلَلَ بِهِ أَثْقَالَهُ . علاهُ غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ وَحِكَايَاتِ الزَّمَنِ . أَخَذَتْ الْأَيَّامُ مِنْ شَبَابِهِ .

بينما هو راقِدٌ فِي لَيْلِ شَبَابِهِ إِذْ أَيْقَظَهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ .

فِي الْاِكْتِهَالِ وَالْاِحْتِنَاكِ وَالْارْعَوَاءِ عَنْ مِجَاهِلِ الشَّبَابِ

قَضَى بِاِكْوَرَةِ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ نِصْرَةَ الزَّمَانِ . طَوَى مَراحِلَ الشَّبَابِ ، وَأَنْفَقَ مِنْ عَمَرِهِ بِغَيْرِ حِسابِ . أَخْلَقَ بُرْدَةَ الصَّبِيِّ ، وَنَهَتْهُ الْنُهيَ عَنِ الْهَوَى . جَاوَزَ الشَّبَابَ مَراحِلَ ، وَوَرَدَ مِنَ الْمَشِيبِ مَناهِلَ . التَفَتَ إِلَى الْأَرْبَعِينَ ، وَشَارَفَ طَلاعَ الْخَمْسِينَ . طارَ غُرَابُ شَبَابِهِ . انْتَهَى شَبَابُهُ ، وَشَابَ أَتْرَابُهُ . اسْتَبَدَلَ بِالْأَدْهَمِ الْأَبْلَقَ ، وَبِالْغُدَافِ الْعَقْعَقَ . فَلَّ الدَّهْرُ شَبَابَهُ ، وَمَحَا مَحاسِنَ رُوائِهِ . انْتَهَى إِلَى أَشَدِّ الْكُهْلِ ، وَأَسْتَعاضَ مِنْ حَلَكِ الْغُرَابِ قَادِمَةَ النَّسْرِ ، افْتَرَّ عَنْ نَابِ الْقَارِحِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ مِقالِ الْقَادِحِ . قَرَعَ نَاجِذَ الْحَلَمِ ، وَارْتاضَ بِلِجَامِ الدَّهْرِ ، أَدْرَكَ عَصَرَ الْحُنْكَةِ ، وَأَوَّانَ الْمُسْكَةَ . جَمَعَ قُوَّةَ الشَّبَابِ ، إِلَى وَقَارِ الشَّيْبِ . أَسْفَرَ لَهُ صَبْحُ الْمَشِيبِ ، وَعَلَتْهُ أَهْجَةُ الْكَبِيرِ . خَرَجَ عَنْ حَدِّ

الْحَدَاثَةِ، وَارْتَفَعَ عَنْ عُذْرِ الْغَرَاةِ. نَفَضَ غَبْرَةَ الصَّبِيِّ، وَلَبَّى دَاهِيَةَ الْحَجَّيِّ. عَصَى شَيَاطِينَ الشَّبَابِ، وَأَطَاعَ مَلَائِكَةَ الشَّيْبِ. سَرَى فِي طَرِيقِ الرُّشْدِ بِمَصْبَاحِ الشَّيْبِ. لَمَّا قَامَ الشَّيْبُ لَهُ مَقَامَ النَّصِيحِ، عَدَلَ عَنْ عِلَاقِ الْحَدَاثَةِ بِتَوْبَةٍ نَصُوحٍ.

استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة

الشَّيْبُ زُبْدَةُ مَخْضَتِهَا الْآيَامُ، وَفَضَّةُ سَبْكَتِهَا التَّجَارِبُ. فِي الشَّيْبِ اسْتِحْكَامُ الْوَقَارِ، وَتَنَاهِي الْجَلَالِ، وَمَيْسَمُ التَّجَرُّبَةِ، وَشَاهِدُ الْحُنْكَةِ. الشَّيْبُ مُقَدِّمَةُ الْهَرَمِ، وَالْمُؤَذِّنُ بِالْخَرَفِ، وَالْقَائِدُ إِلَى الْمَوْتِ. الشَّيْبُ رَسُولُ الْمَنِيَّةِ. الشَّيْبُ عُنْوَانُ الْفَسَادِ. الشَّيْبُ سَاحِلُ الْحَيَاةِ. الشَّيْبُ سَفِينَةُ تَقَرُّبٍ مِنَ السَّاحِلِ. صَفَا فَلَانٌ عَلَى طُولِ الْعُمُرِ. صَفَا الَّتِيرُ عَلَى مَثْقَبِ الْجَمْرِ. مَنْ عَرَفَ الِاسْتِينَ أَنْكَرَ نَفْسَهُ. فَلَانٌ قَدْ تَنَاهَتْ بِهِ الْآيَامُ تَحْلِيمًا وَتَهْذِيبًا، وَتَنَاهَتْ بِهِ السِّنُّ تَحْكِيمًا وَتَجْرِيًا. قَدْ وَعَظَهُ الْمَشِيبُ بِوُخْطِهِ وَخَبْطِهِ، وَالسِّنُّ بِآبِنِهِ وَسَبْطِهِ، قَدْ تَضَاعَفَتْ وَفُودُ عَمْرِهِ، وَأُخِذَتْ الْآيَامُ مِنْ جِسْمِهِ. وَجَدَ مَسَّ الْكِبَرِ، وَلَحِقَهُ ضَعْفُ الشَّيْخُوخَةِ، سَاءَ عَلَيْهِ أَثَرُ عُلُوِّ السِّنِّ، وَاعْتَرَاضُ الْوَهْنِ. فَلَانٌ مِنْ ذَوِي الْأَسْنَانِ الْعَالِيَةِ، وَالصَّحْبَةِ لِلْآيَامِ الْخَالِيَةِ.

في الهرم ومشاركة الفناء

هُمُّ هَرَمٍ قَدْ أَخَذَ الزَّمَانَ مِنْ عَقْلِهِ، كَمَا أَخَذَ مِنْ عَمْرِهِ. ثَلَمَهُ الدَّهْرُ ثَلَمَ الْإِنَاءِ، تَرَكَهُ كَذِي الْغَارِبِ الْمُنْكَوبِ. حَنَا قَوْسَهُ الْكِبَرِ، هَرِيقَ مَاءِ شَبَابِهِ، اسْتَشَنَّ أَدِيمَهُ، كَسَرَ الزَّمَانَ جَنَاحَهُ. نَقَضَ الدَّهْرُ مِرْتَهُ. طَوِي مَا نَشَرَ مِنْهُ، قَيَدَهُ الْكِبَرِ، رَسَفَ رَسْفَانِ الْمَقِيدِ، مَجْتَثُ الْجُثَّةِ، كَأَنَّهُ عُتَّةٌ، ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الْحَرَكَةُ، وَاخْتَلَفَتْ إِلَيْهِ رُسُلُ الْمَنِيَّةِ. مَا هُوَ إِلَّا شَمْسُ الْعَصْرِ، عَلَى الْقَصْرِ. أَرَكَانَهُ قَدْ وَهَتْ، وَمَدَّتَهُ قَدْ تَنَاهَتْ. هَلْ بَعْدَ الْغَايَةِ مَنْزِلَةٌ؟ أَمْ بَعْدَ الشَّيْبِ سَوَى الْمَوْتِ

مَرَحَلَة ، مَا الَّذِي يُرَجَّى مِمَّنْ كَانَ مِثْلَهُ فِي تَقَاصُرِ الْخُطَى ، وَتَخَاذُلِ الْقُوَى ،
وَتَدَانِي الْمَدَى ، وَالتَّوَجُّهُ إِلَى الدَّارِ الْآخَرَى ؟ أُبْعَدُ دَقَّةَ الْعِظَمِ ، وَرِقَّةَ الْجِلْدِ
وَضَعْفَ الْجِسْمِ ، وَتَخَاذُلِ الْأَعْضَاءِ ، وَتَفَاوُتِ الْأَعْتِدَالِ ، وَالْقُرْبِ مِنَ الزَّوَالِ ؟
إِنَّ الَّذِي بَقِيَ مِنْهُ ذِمَاءُ تَرْقُبِهِ الْمَنُونِ بِمِرْصَدٍ ، وَشُلْشَلَةٌ هِيَ هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ .
قَدْ خَلِقَ عَمْرَهُ ، وَأَنْطَوَى عَيْشَهُ ، وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ ، وَوَقَفَ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ،
وَأَشْرَفَ عَلَى دَارِ الْمَقَامِ .

آخر كتاب أحوال الإنسان من لدن صغره إلى كبره والله الحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الطعام والشراب وما ينضاف إليهما، ويقترن بهما

في الفواكه والثمار

كَرْمٌ نُسْلَفُهُ أَلْمَاءُ الْقَرَّاحِ، وَيَقْضِينَا أُمَهَاتُ الرِّاحِ . عَنْقُودٌ كَالثَّرِيَا . عَنَبٌ كَأَنَّهُ
مَخَازِنُ أَلْبَلُورٍ، وَظَرْفٌ أَلنُّورِ، وَأَوْعِيَةٌ أَلسَّرُورِ، وَأُمَهَاتُ أَلرَّحِيقِ، فِي مَخَازِنِ
أَلْعَقِيقِ . نَخْلٌ نُسْلَفُهُ أَلْمَاءُ، وَيَقْضِينَا أَلْعَسَلِ . رَطْبٌ كَأَنَّهُ شَهْدَةٌ بِأَلْعَقِيقِ
مَقْنَعَةٍ، وَبِأَلْعَقِيقَانِ مَقْمَعَةٍ . رُمَانٌ كَأَنَّهُ صُرُرُ أَلْيَاقُوتِ أَلْأَحْمَرِ . سَفَرَجَلٌ يَجْمَعُ
طَيِّباً وَمَنْظَراً حَسِناً، كَأَنَّهُ زَيْبُرٌ أَلخَزْ أَلْأَغْبَرِ، عَلَى أَلذَّيْبَاجِ أَلْأَصْفَرِ . تَفَّاحٌ نَفَّاحٌ،
يَجْمَعُ وَصْفَ أَلْعَاشِقِ أَلْوَجَلِ، وَأَلْمَعشُوقِ أَلْخَجَلِ، لَهُ نَسِيمُ أَلْعَنْبَرِ، وَطَعْمُ
أَلسُّكَّرِ . وَرَسُولُ أَلْمَحَبِّ، وَشَبِيهَ أَلْحَبِيبِ . تَيْنٌ كَأَنَّهُ سَفَرٌ مَضْمُومَةٌ عَلَى
أَلْعَسَلِ . مَشْمَشٌ كَأَنَّهُ أَلشَّهْدُ فِي بَنَادِقِ أَلذَّهَبِ .

ذكر الجوع

لَاهُجُوعٌ، مَعَ الْجُوعِ، سُلْطَانُ أَلْجُوعِ يُسَيِّئُ أَلْمَلَكَةَ، هُوَ أُجُوعٌ مِنْ ذَنْبٍ
مُعْشَشٍ بَيْنَ أَعَارِيبٍ، قَدْ أَثَّرَ أَلْجُوعُ فِي الْأَخْلَاطِ . الْعَيُونُ قَدْ أَنْقَلَبَتْ،
وَأَلْأَكْبَادُ قَدْ أَلْتَهَبَتْ . تَحَلَّيْتُ أَلْأَفْوَاهَ، تَوَقَّدَتْ أَلْأَكْبَادُ . امْتَدَّتْ إِلَى
أَلْخِوَانِ أَلْأَعْنَاقِ، وَأُحْدَتْ نَحْوَهُ أَلْأَحْدَاقِ، وَتَحَلَّيْتُ لَهُ أَلْأَشْدَاقِ .

وصف القدور

قد قامت خطباء القدور. فاحت القدور بأطيت من المسك الأصهب،
بالعنب الاشهب، قدور أبكار، بخواتيم النار. قدّر طار عرفها، وطاب عرفها،
دهماء تهدر كالفيق، وتفوح بالمسك الفتيق.

مقدمة الطعام

أفرش طعامك اسم الله، وألحفه حمد الله. كل من الطعام ما حدث. لا
يطيب حضور الإخوان، إلا مع الإخوان. الأكل منا للحاجة، ومنك للمساعدة.
البخل بالطعام، من أخلاق الطعام، الكريم لا يحظر تقديم ما يحضر.

وصف الموائد

مائدة كدارة آلدور. مائدة تباعد بين أنفاس الجلّاس، مائدة مثل عروس.
مائدة نظيفة، محفوفة بكل طريفة. مائدة تشتمل على بدائع المأكولات،
وغرائب الطيبات. مائدة كالعروس مجلوة، من الطيبات مملوءة. مائدة قد
زخرت رياضها، وملئت حياضها، فمن قاني بإزائه فاقع، ومن حالك في
تلقائه ناصع. مائدة كأنما عملها صنّاع صنّعاء. مائدة تجمع بين أنوار الربيع،
وأثمار الخريف.

وصف اللوان من الاطعمة

رغفان كالبُدر المنطقة بالنجوم. أحسن ما يكون وجه الإخوان، إذا
اخضرت شوارب الرغفان. ترى البقل على وجه الإخوان، كما بقلت أوجه
الغلمان الحسان. جدّي كأنما ندف على جنبه القز. حمل ذهبي الدثار،
فضي الشعار. أطيّب ما يكون الحمل، إذا حلت الشمس الحمل، حمل
خلف شهرين، على الخلفين، ثم رعى شهرين، فهو شبران في شهرين، زير

باجة، هي للمائدة ديباجه، تشفي السقام، ولونها لونُ السَّقِيم. سَكْبَاجَة تَفِيْقُ الشهوة، وأسفيد باجة تُغْذِي، وطَبَاهِجَة يُتَفَكَّهُ بها، وَخَبِيصٌ يَخْتَم بِخَيْر. مَضِيرَة تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَة، وتترجرج في الغضارة، وتؤذن بالسلامة، وتشهد لمعاوية بالإمامة. في قصعة يزل عنها الطُرف، ويموج فيها الطُرف. طَبَاهِجَة من شرط المملوك، كأعراف الدُّيوك. قَلِيَّةٌ كَالْعُودِ المَطْرَى، مغمومةٌ تَفْرَجُ غَمَّ الجائع. هَرِسَةٌ نفيسة، كأنها خيوط خَزْ مشتبكة. كأنها قمرٌ بالشمس ملتحف. كأن المَرِيَّ عليها عُصَارَة المِسْك، عَلَى سَبِيكَة الْفَضَّة. شَوَاءٌ يَنْقَطِرُ عَرَقًا، ويتسائل جِرْدَابُه مرقًا. أُرْزَةٌ ملبونة، في السكر مدفونه. دَجَاجَةٌ مشويةٌ لها من الْفَضَّة جَسِيم، ومن الذهب قشر. دَجَاجَة دِينَارِيَّة، ثَمَنًا وَلَوْنًا. شَوَاءٌ وَشَرَّاسٌ وفالودج رجراج. طباهجة تغذي، وفالودجة تغذي. أسفيدباجة تصفح قفا الجوع.

في وصف ألوان من الحلواء

فالودجُ بُلْبَابُ الْبُرِّ، ولُعَابُ النَّحْلِ. كأن اللوز فيه كواكب في سماء عقيق. قطائف، فيها لطائف. عَصِيدَة تَجْمَعُ بَيْنَ جَنَى النَّحْلِ وَالنَّحْلِ. مَا الْخَبِيصُ إِلَّا نِعْمَة مَجْمُوعَة، وَلَذَّةٌ مَعْجُونَة. تَوْدِي طَعْمَ الْعَافِيَة، وتختم بحسن العاقبة. لوزينجٌ ليلي العمر، يومي النَّشْرِ، رقيق القشر، كثيف الحشو. لولبي الدهن، كوكبي اللون.

ذكر النهم الاكول

شَيْطَانٌ مَعِدَتُهُ رَجِيمٌ، وسلطانه ظلوم، هو آكل من النار، وأشرب من الرَّمْلِ. كأن في أمعائه معاوية، يأكل أكل الحوت الملتقم، وألثعبان الملتهم، وألليث ألهاصر، وألْعُقَابُ الْكَاسِر. لو أكل ألفيل لما كَفَاهُ، ولو شرب أنيل لما أرواه. يجوب جوب البلاد، حتى يقع عَلَى جَفْنَة جَوَاد. يقول بِالْقِصَاع، لا أَلْمِصَاع، يرى رُكُوبُ الْبَرِيد، في حضور آلثريد. أصابعه أَلَزَمَ لِلشَّوَاءِ من

سُفود. أنامله كَالشبكة، في صيد السمكة. يستكثر من الجوارشات المنقذة
للسُدد، المقوية للمعد، المشهية للطعام، المسهلة لسبل الانهضام. إذ هو
في تناولها كالكاتب الذي يَقْطُ أَقلامه، والجندي الذي يَصْقُلُ حُسامه. تسافرُ
يدهُ على الخوان، وتَسْفُرُ بين الألوان، وتأخذ وجوه الرغفان، وترعى أرض
الجيران. لما عكفنا على الخوان، أسرع في الرغفان، وكرع في الجفان،
وفقاً أعين الألوان.

في وصف مجالس الانس وآلات اللهو

مجلسٌ * نورهُ دُرٌّ، ونارنجهُ ذهبٌ، ونرجسه دينارٌ ودرهم، ويحملها
زبرجد. عندنا أترجٌ كأنه من خُلقك خُلق، ومن شمائلك سُرق. ونارنج
ككرات من سَفَنِ ذُهبت، أو تُدي أبكارٍ خلقت. مجلسٌ أخذت فيه الأوتار
تتجاوب، والأقداح تتناوب. أعلامُ الأنس خافقة، وألسن الملاهي ناطقة.
مجلسٌ قد فُرش بساطه وبُسط أنماطه، ومُدَّ سِماطه، بين آسٍ مخضود، وورد
منضود*، وناي وعود. نحن بين بدور، وكاسات تدور*، قد نشأت غمامة
النَّد، على بساط الورد. مجلسٌ قد تفتحت فيه عيون النرجس، وفاحت
مجامر الأترج، وفُتقت فارات النارنج، ونطقت ألسنُ العيدان، وقامت خطباء
الأوتار، وهبت رياح الأقداح، وطلعت كواكب الندمان، وأمتدت سماءُ النَّد.
مجلسٌ من رآه حسب الجنان قد أصطفيت عيونها فُجمعت في قدر من
الأرض، وتُخِرت فصوصُها فنُقلت إلى مطلع الأنس واللهو. قد فضَّ اللهو
ختامه، ونشر الأنس أعلامه. قد هبت للأنس ريحٌ * سحابها آلاقداح،
ورعودها أأوتار، ورياضها آلاقمار. قد فرغنا للهو والذهر عنا في شغل. قد
أقنعنا غارب الأنس، وجرينا في ميدان اللهو. عمَدنا لقداح اللهو فأجلناها،
ولمراكب السرور فأمطيناها. قد أمتطينا غوارب الأفراح، وقد حنا نار السرور
بالأقداح.

فيما يتصل به من الألفاظ

في الاستزارة

نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو إلا أن تصافحها يُمنالك، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنالك، فأما حدود نارنجه فقد أحمرت خجلاً لإبطائك وعيون نرجسه فقد حدقت تأمياً للقائك، فبحياتي عليك إلا تعجلت، وما تمهلت. نحن بغيتك كعقدٍ قد غيبت واسطته، وشبابٍ قد أخذت جدته. إذا غابت شمس السماء عنا، فلا بد من أن تدنو شمس الأرض منا. أنت من يُنظم به شمل أطرب، وبلقياه يُبلغ إلى كلّ أرب. طر إلينا طيران آلسهم، واطلع علينا طلوع النجم. ثب إلينا وثبة الغزال، واطلع علينا طلوع الهلال، في غرة شوال. كن إلينا من آلسهم إلى ممره، والماء إلى مقره. جشم إلينا قدمك، وأخلع علينا كرمك. إن رأيت أن تحضرنا لتتصل الواسطة بال عقد، ونحصل بقربك في جنة الخلد. إن رأيت أن تسهم لنا في قربك الذي هو قوت النفس، ومادة الأنس.

في الكناية عن الشراب

قد نشط لتناول ما يستمد البشر، ويشرح الصدر. قد استمطر سحاب الأنس، وأستدر حلوبة السرور، وقدح زند اللهو.*

وصف الشراب

* شرابٌ أصفى من مودتي لك، وأحسن من نعمة الله فيك، وأطيب من إسعاف الزمان بلقائك. أصفى من البُلور، ودمع المهجور. أصفى من ماء السماء، ودمع العاشقة الممره. أحسن من الدنيا المقبلة، والنعيم المكمل. أحسن من العافية في البدن، وأطيب من الحياة في السرور. أرق

من نسيم الصَّبَا، وعَهْدِ الصَّبَى. أَرْقُ من دمع مُجَبِّ، وشكوى صَبِّ. أَرْقُ
من دُموعِ الْعُشَّاقِ، مرتها لوعةُ الْفِرَاقِ. *

في تأثيره في القوم

دَبَّتْ أَلْكَاسُ فِيهِمْ دَبِيبُ النَّارِ فِي الْفَحَمِ، وَالْبُرءُ فِي السَّقَمِ. سَارَتْ فِيهِمْ
سَوْرَةُ الْكُؤُوسِ، وَنَالَتْ مِنْهُمْ نَشْوَةُ الْخَنْدَرِيسِ. شَرَبَتْ الرِّاحُ عُقُولَهُمْ،
وَمَلَكَتْ قُلُوبَهُمْ. تَمَشَّتْ الصُّهْبَاءُ فِي عِظَامِهِمْ، وَتَرَقَّتْ إِلَى هَامِهِمْ، وَمَاسَتْ
فِي أَعْطَافِهِمْ، وَمَالَتْ بِأَطْرَافِهِمْ. بَلَغَ حَدًّا، يُوجِبُ الْهَدَمَ.

فقر وغرر تليق بهذا الباب

* الصَّاحِي بَيْنَ السَّكْرَى، كَالْحَيِّ بَيْنَ الْمَوْتَى، يَضْحَكُ مِنْ عِقْلِهِمْ،
وَيَأْكُلُ مِنْ نَقْلِهِمْ.

ذكر الغناء والمغني

غِنَاؤُهُ كَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ*. غِنَاءُ يَبْسُطُ أَسْرَةَ الْوَجْهِ، وَيَرْفَعُ حِجَابَ الْأُذُنِ،
وَيَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقَلْبِ، وَيَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ. غِنَاءُ يُحَرِّكُ الْنَفُوسَ، وَيُرْقِصُ
الرُّؤُوسَ*. قَدْ سَمِعْنَا غِنَاءَ، يَعِيدُ الْأَمْوَاتَ أَحْيَاءَ، إِذَا غَنَى وَدَّتْ أَعْضَاءُ
السَّامِعِينَ أَنْ تَكُونَ آذَانًا. فَلَانَ طَبِيبُ الْقُلُوبِ وَالْأَسْمَاعِ، مُحْيِي مَوَاتِ الْخَوَاطِرِ
وَالطَّبَاعِ. يُطْعِمُ الْآذَانَ سُورًا، وَيَقْدَحُ فِي الْقُلُوبِ نُورًا. الْقُلُوبُ مِنْ غِنَائِهِ
عَلَى خَطَرٍ، فَكَيْفَ الْجُيُوبِ. كَأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ فَهُوَ يُغْنِي كُلًّا بِمَا
يَشْتَهِيهِ*. كُلُّ مَا يُغْنِيهِ مَفْتُوحٌ. لِغِنَائِهِ فِي الْقَلْبِ، مَوْقِعُ الْقَطْرِ فِي الْجَذْبِ.
نَعْمَ نَعْمَتُهُ تَطْرِبُ، وَضُرُوبُ ضَرْبِهِ لَا تَضْطَرِبُ.

في ذم المغني

يترنم فيتعب ولا يطرب، وليتنا وجدنا الكفاف ولكن يُكرب. فلان إذا غنى
عني، وإذا أدى أدى، يُميت الطرب، ويُحيي الكُرب. ضربة يوجب ضربه،
وسماعه يوجب آلاسماع به. من عجائب غنائه أنه يورد الشتاء في الصيف.
بيتُ وسي (كذا) باردُ النعمة مختلُ أليدين. ما رآه أحدٌ في دار قومٍ مرتين.

في استهزاء الشراب

قد تألف لي شملٌ إخوان كاد أن يفترق لعوز المشروب، فأعتمدنا فضلك
المعهود، ووردنا بحرك الأمورود. أنا ومن سامحني الدهر بزيارته من إخواني
وأولياك وقوفٌ بحيث يقف بنا اختيارك من النشاط أو الفتور، ويرتضيه لنا إيثارك من
آلهم أو السرور، لأن الأمر في ذلك إليك، والاعتماد في جمع شمل المسرة عليك،
فإن رأيت أن تكلني إلى أولى الظنين بك فعلت. أطف المنن موقعا، وأجلها
في النفوس موضعا. ما عمر أوطان المسرة، وطرد عوارض آلهم وآلفكرة،
وجمع شمل المودة والآلفة. قد انتظمت مع رفقة لي في سمط الثريا، فإن لم
يحفظ علينا النظام، بإهداء المرام، عُذنا كبنات نعشٍ والسلام. فأريك في
إرواء غُلَّتنا بما ينقعها، وألتطول على جماعتنا بما يجمعها.

آخر كتاب الطعام والشراب والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب وصف النظم والنثر

وأصحابها وآلاتها وأدواتها

وصف حسن الخط

خَطٌ يَجْرِي مَجْرَى السَّحَرِ، وَيَرْتَفِعُ حُسْنُهُ عَنِ النَّعْتِ. رَأَيْتُ مِنْ خَطِّهِ
يَوَاقِيتَ فِي نِظَامٍ، وَصَفَحَاتٍ نُورٍ عَلَيْهَا سَطَوُورُ ظَلَامٍ. خَطٌّ أَحْسَنُ مِنْ عِطْفَةِ
الْأَصْدَاغِ، وَبِلَاغَةٍ كَالْأَمَلِ آذَنَ بِالْبِلَاغِ. خَطٌّ كَأَنَّهُ صَبِيحٌ مَنْقُشٌ بِظَلَامٍ، كَأَنَّهُ
لَيْلٌ عَلَى صَفَحَاتٍ نُورٍ، كَأَنَّهُ حَدِيقَةُ الْأَحْدَاقِ. خَطٌّ كَالرُّوضِ الْمَمْطُورِ،
وَالْوَشِيِّ الْمَنْشُورِ، وَالْدَّرِّ الْمَشُورِ. خَطٌّ كَمَا يُفْتَحُ الزَّهْرُ غِبَّ الْمَطَرِ، كَأَنَّهُ
خُطُوطُ الْغَوَالِي، فِي خُدُودِ الْغَوَانِي. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ بَنْفَسَجِ الْخَطِّ، وَأَحْسَنُ
مِنَ الدَّرِّ فِي السَّمُطِ. خَطٌّ أَخَذَ مِنَ الطَّوَاوِيسِ ظُهُورَهَا، وَمِنَ الْبَزَاةِ صَدُورَهَا.
خَطٌّ كَالْتَبَرِ الْمَسْبُوكِ، وَالْوَشِيِّ الْمَحْكُوكِ. خَطٌّ أَمْلَحُ مِنْ صَوْلَجَانِ الْمَسْكِ، فِي
مِيدَانِ الْوَرْدِ، أَحْسَنُ مِنْ بُدُورِ الْغُرْرِ، فِي لِبَالِي الطَّرْرِ. فَلَانٌ يُغْرِسُ الدَّرَّ فِي
أَرْضِ الْقَرَاطِيسِ، وَيَنْشُرُ عَلَيْهَا أَجْنَحَةَ الطَّوَاوِيسِ. كَأَنَّ يَدَهُ تَنْشُرُ وَشْيًا، أَوْ
تَنْظِمُ دُرًّا. كَأَنَّهُ مَطَرُورٌ بِالظَّلَامِ رِدَاءُ الصَّبَاحِ. خَطٌّ كَأَنَّ الْقَلْبَ يَشْعُرُ مِنْهُ نُورًا،
وَالْعَيْنَ تَجْنِي نُورًا. خَطٌّ يَبْهَرُ الطَّرْفَ، وَيَفُوتُ الْوَصْفَ. خَطٌّ كَالرِّيَاضِ،
وَالْمَقْلِ الْمَرَاضِ، وَالْإِقْبَالِ بَعْدَ الْإِعْرَاضِ. أَمْتَعْتُ طَرْفِي مَا شَتَّتْ بِمَحَاسِنِ
خَطِّهِ وَلَفِظِهِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُمَا بِأَوْفَرِ قِسْطِ الْمُسْتَفِيدِ وَحِظِهِ. تَحِيرْتُ بَيْنَ ظَلَامِ
وَصَبَاحٍ، وَعَقْدٍ وَوَشَاحٍ. خَطُّهُ خُطَّةُ الْحُسْنِ.

في سرعة الكتابة

يَدُهُ ضَرَّةُ الْبَرْقِ، وقلمه فلكيُّ الْجَرِيِّ. يَدُهُ ظَرُّ الْبَلَاغَةِ، وَأُمُّ الْكِتَابَةِ، وَضَرَّةُ الرِّيحِ، وَيَنْبُوعُ الْفَضْلِ. كَانَ يَدُهُ عَلَى الْقِرْطَاسِ جَنَاحُ طَائِرٍ فِي سَرَابٍ مَائِرٍ. فَلَا نَأْمَلُهُ الرِّيحَ، وَخَوَاطِرُهُ الْبَحَارَ. فَلَا نَسْرِيْعُ الْبَنَانِ، بَدِيعُ الْبَيَانِ. لَا يَحْبِسُ عَنَانُ قَلَمِهِ، أَوْ يَنْثِرُ الدُّرَّ فِي كَلِمِهِ. قَلَمُهُ يَهِيْمُ عَلَى وَجْهِهِ، غَادِرًا رَأْسَهُ فِي دَرَجِهِ. أَخْفَ مِنْ حَسَوَةِ طَائِرٍ، وَلَمْعَةٍ بَارِقٍ، وَخُلْسَةِ سَارِقٍ.

وصف النثر بما يشتمل عليه من الالفاظ والمعاني

أَلْفَاظٌ كَغَمَزَاتِ الْأَلْحَازِ، وَمَعَانٍ كَأَنهَا فَكٌ عَانٍ. أَلْفَاظٌ كَمَا نَوَّرَتِ الْأَشْجَارُ، وَمَعَانٍ كَمَا تَنْفَسَتِ الْأَسْحَارُ. أَلْفَاظٌ قَدْ اسْتَعَارَتْ حَلَاوَةَ الْعَتَابِ، بَيْنَ الْأَحْيَابِ، وَاسْتَرْقَتْ تَشَاكِي الْعُشَاقِ، يَوْمَ الْفِرَاقِ. حَسِبْتُ أَلْفَاظَهُ دُرَّ السَّحَابِ، أَوْ أَصْفَى قَطْرًا وَدِيمَةً، وَمَعَانِيَهُ دُرَّ السِّخَابِ، بَلْ أَوْفَى قَدْرًا وَقِيَمَةً. كَلَامٌ قَرِيبٌ شَاسِعٌ، وَمُطْمَعٌ مَانِعٌ. كَأَلَشَّمْسِ تَقَرَّبَ ضِيَاءُ، وَتَبَعَدَ عِلَآءُ، وَكَأَلْمَاءِ يَرُخِّصُ مَوْجُودًا، وَيَغْلُو مَفْقُودًا. كَلَامٌ يَصْعُبُ عَلَى التَّعَاطِي، وَيَسْهُلُ عَلَى الْفِطْنَةِ. كَلَامٌ لَا تَمُجُّهُ آلِاذَانُ، وَلَا يُبْلِيهِ الزَّمَانُ. أَلْفَاظٌ كَالْبُشْرَى مَسْمُوعَةٌ، وَأَزَاهِيرُ الرِّيَاضِ مَجْمُوعَةٌ، وَمَعَانٍ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاحِ، تَعَبُّقُ بِالرِّيْحَانِ وَالرَّاحِ. كَلَامٌ مُسْتَهْلٌ مُتَسَلِّسٌ كَأَلْمَدَامِ بِمَاءِ الْغَمَامِ، يَقْرُبُ إِذْنَهُ عَلَى الْأَفْهَامِ. مُلَحٌّ كَنَوَافِذِ السِّحْرِ، وَفَقْرٌ كَالْغِنَى بَعْدَ الْفَقْرِ. كَلَامٌ كَبَرَّدَ الشَّرَابَ، عَلَى أَكْبَادِ الْجِرَارِ، وَبُرَّدَ الشَّبَابِ، فِي خَلْعِ الْعِذَارِ. كَلَامٌ كَثِيرُ الْعِيُونِ، سَلَسُ الْمَتُونِ رَقِيقُ الْحَوَاشِي، سَلِسُ النِّوَاحِي. كَلَامٌ هُوَ السَّحَرُ الْخَلَالِ، وَالْمَاءُ الزُّلَالِ، وَالْبُرُودُ وَالْجَبَرُ، وَالْأَمْثَالُ وَالْعِبَرُ، وَالنَّعِيمُ الْحَاضِرُ، وَالشَّبَابُ الْنَاضِرُ. نَظَرْتُ مِنْهُ إِلَى صُورَةِ الظَّرْفِ بَحْتًا، وَسُورَةِ الْبَلَاغَةِ سَبْكَأَوْنَحْتًا. أَلْفَاظٌ هِيَ خُدْعُ الدَّهْرِ، وَعُقْدُ السَّحَرِ. أَلْفَاظٌ تَسْرُّ الْمَحْزُونِ، وَتَسْهَلُ الْخُزُونِ، وَتَعْتَظِلُ الدُّرَّ

المخزون. كلامٌ بعيدٌ من الكلف، نقيٌّ من الكلف. كلامٌ كما تنفس السحر عن نسيمه، وتبسم الدر عن نظيمه. ألفاظٌ تأنق الخطر في تذهيبها، ومعانٍ غنيّ الطبع بتهذيبها. ألفاظٌ حسبتها في رقتها منسوخة من صحيفة الصبي، وظننتها لسلامتها مكتوبةً عن إملاء الهوى. كلامٌ كالبشرى بالولد الكريم، قُرِع بها سمع الشيخ العقيم. كلامٌ قَرُب حتى أطمع، وبُعِد حتى امتنع، ودنا حتى صار قاب قوسين أو أدنى، ثم سما حتى صار بالمنظر الأعلى. كلامٌ حَسُنَ الدِّباجة، صافي الزُّجاجة، رقيق المزاج، حُلُوّ المَساغ، نقيّ السمك، مقبُول اللفظ، قرأت جلياً، حوى معنى خفياً، وكلاماً قريباً، رمى غرضاً بعيداً. لو أنّ كلاماً أُذِيب به صخر، أو أُطفِئ به جمر، أو عُوفي به مريض، أو جُبر به مهيب، لكان هذا. كلامه يقود سامعيه إلى السجود، ويجري في القلوب كجري الماء في العود. فلان ألفاظه أنوار، ومعانيه ثمار. كلامه أنس المقيم الحاضر، وزاد الرّاحل المسافر. كلامٌ تسعى إليه الفُور، ويتنفّض إليه العُصفور. كلامٌ يقضي حق البيان، ويملك رقّ الحُسن والإحسان. كلام منه يُجتنى الدرّ، وبه يُعقَد السحر، وعنده يُعتب الدهر، وله يُشرح الصدر. كلامٌ يقرب جناه، ويبعد مداه، ويونس مسمعه، ويؤيس مصنعه.

ذكر البلاغة والبلغاء

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سينانه، ويُسَـطَ رهان القول أو ميدانه، بل هو أن يبلغ أمد المراد، بألفاظ أعيان ومعانٍ أفراد، من حيث لا مزيد على الحاجة، ولا إخلال يفضي إلى آفاقة. البلاغة ميدانٌ لا يُقطع إلاّ بسوابق الأذهان، ولا يُسلّك إلاّ ببصائر البيان. فلان يعبث بالكلام، ويقوده بالين زمام، حتى كأنّ الألفاظ تتحاسد في التسابق إلى خواطره، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله. فلان مشرفي المشرق، وصيرفي المنطق، البيان أصغر صفاته، والبلاغة عفو خطراته. كأنه أوحى بالتوفيق إلى صدره،

وحُبس الصواب بين طبعه وفكره. فلانْ يَحْزُ مفاصل الكلام، ويسبق فيها إلى
درك المرام، كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وأنتخب، وتناول منه
ماطَلَب، وترك بعد ذلك أذنباً لا رؤوساً، وأجساداً لا نفوساً. فلانْ لا يبلغ
المعنى ويرضى بعفو الطبع، ويقنع بما يَخِفُّ عَلَى السمع. يُوجز فلا يُخِلُّ،
وَيُطْنَبُ فلا يُمَلُّ. لله فلانْ أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ويجذبها أنى شاء،
فلا يعصيه بين الصَّعب والذَّلُول، ولا يسلمه عند الحُزون والسهول. كلامٌ
يشتد مرة حتى تقول الصخر ألاملس، ويلين تارةً حتى تقول الماء أو أسلس.
يقول، فيصول، ويجيب، فيصيب، ويكتب فيطبق المَفْصِل؛ وينسق الدَّر
المَفْصِل. يَرِدُ مشارع الكلام وهي صافية لم تُطَرَّق، وجامَّة لم ترنق.

في سرعة الخاطر ونفاذ الطبع

خاطره البرق أو أسرع لمعا، والسيف أو أحدُ قطعاء، والماء أو أسلس
جريا، والفلك أو اقوم هديا. هو من يسهل الكلام عَلَى لفظه، وتزاحم
المعاني عَلَى طبعه، فيتناول المرمى البعيد بقريب سعي، ويستنبط المَشْرُوعَ
العميق بيسير جري. كلامه عفوَ اللسان، وفيض أليد، ومساوقة القلم،
ومسابقة أليد للفم، وجَمَرَاتُ الحِدة، وثمراتُ المَدَّة، ومجاراة الخاطر
للناظر، ومُباراة الطَّبع للسمع.

زلاقة اللسان والفصاحة

لسانه يُغِيضُ البحور. وَيَقْلِقُ الصخور. وَيُسَمِعُ الصَّمَّ، ويستنزل العَصم.
خَطِيبٌ لا تناله حُبسة، ولا ترتنهنة لُكنة، ولا تتمشى في خطابه رُتة، ولا تسلطُ
عَلَى جواره فترة، ولا يتحيف بيانه عُجْمة، ولا تعترض لِسانه عُقدة. فلانْ
رقيق الأَسْلة، عذبُ العَدْبَةِ. لو وُضع لسانه عَلَى الشعر حَلَقَه، أو عَلَى
الصخر فلقه، أو عَلَى الجمر أحرقه، أو عَلَى الصفا خرقة. أما ترى، فلانْ

وَلَسَنَهُ؟ وكيف يجرّ في الفصاحة رسنه. كأن لسانه ثعبان ينساب بين رمال، أو ماء يتغلغل بين جبال. كأن لسانه مِخْراق لاعب، أو غِرارُ سَيْفٍ قاضب. قد أحسن السِّفارة، وأستوفى العبارة، وأدى الالفاظ وأستغرق الأغراض، وأصاب شواكل المراد، وطبق مفاصل السَّداد. لسانه كلسان ابن الحمرة، أو سنان عنتره.

ذكر الاطناب

بَسَطَ عِنانَ الخطاب، ومَدَّ أَطنابَ الإطناب، وطلب الأمد في الإسهاب. قال حتى قال الكلام لو أعفيت، وكتب حتى قالت الأقلام قد أُحْفِيت. قد اتَّسع به مَشْرَعُ الإطناب، وأنْفَرَجَ مَسْلَكُ الإسهاب، أرسل لسانه في ميدانه، وأرخى من عنانه. نفّض ما في راسه، وفرغ جُعبَة وَسْواسِه. تصرّفت في كذا فأطلت وأطبت، وقلت فأطنبت. قال فأطال، وجال في بسط المقال كل مجال. إذا أسْحَنَفَرَ في الكلام طفح آذيه، وسال أُنْيُه، انثال عليه الكلام، أنثيال الغمام، وأستجاب له الخطاب، ولا صوب الرُّباب.

وصف النثر والنظم معاً

نثرٌ كنثر الورد، ونظمٌ كنظم العقد. نثرٌ كالسحر أو أدق، ونظمٌ كالماء أو أرق. رسالة كالروضة الأنيقة، وقصيدة كالمدبرة الرشيقه. رسالة تقطر ظرفاً، وقصيدة تمزج بها الراح لطفاً. نثره سحرُ البيان، ونظمه قِطْعُ الجنان. نثرٌ كما تفتح الزهر، ونظمٌ كما تنفّس السحر. نثرٌ ترق نواحيه وحواشيه، ونظمٌ تَسَحَرُ ألفاظه ومعانيه. نثرٌ كالحديقة تفتحت أحداقُ وِردِها، ونظمٌ كالخريدة توردت أشجار نهدها. رسالة تضحك عن زهر وغرر، وقصيدة تنطوي على جبرٍ ودُرر، لم ترض في برك بأخوات النثرة من نثر، حتى وصلت بها نبات الشعري من

شعرك . كلامٌ كما هب نسيمُ السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهَرِ، وَلَدَّ طَعْمَ الكَرَى
بعد برح السَّهَرِ، وشعْرُ في نفسه شاعر، تُوسِّمُ به المواسم والمُشاعِر . كلامٌ
أنسى حلاوةَ الأولاد بحلاوته، وطلاوةَ الرَّبيع بطلاوته، شعْرٌ من حُلَّةِ الشَّبابِ
مسروق، ومن طينة الوصال مخلوق.

وصف الشعر

قصيدةٌ في فنِّها فريدة . قصيدةٌ أخلصت عَلَى قصد، وفريدةٌ أتت من فَرْد .
هي صَوْبُ العقول، تغبّر في نواصي الفحول . عروسٌ كَسَتْها القوافي، وحلَّتْها
المعاني . شعْرٌ يَتَرَقَّرُ فيه ماء الطبع، ويرتفع له حجابُ القلب والسمع . شعْرٌ
ملكني العُجْبُ به، وبهرني التعجُّبُ منه . شعْرٌ لا مِزِيَّةَ الإيجاز أخطأته، ولا
فضيلةَ الإعجاز تخطَّته . شِعْرٌ رَوَيْتُهُ، لَمَّا رَأَيْتُهُ، وحفظتُهُ، لَمَّا لحظتُهُ . أبياتٌ
لو جُعِلَتْ خِلْعَةً عَلَى الزَّمان لتحلَّى بها مُكاثراً، أو تجلَّى فيها مفاخرأ . راقني
الشعر حتى شاقني، فإنه مع قُرْب لفظه بعيد المرام، مستمرُّ النظام . قويُّ
الأسر، صافي النحر . قد ألبس من البداوة فصاحتها، وعُشِي من الحضارة
سجاحتها، فإن شئت قلت عبيدٌ ولبيد، وإن شئت قلت حبيبٌ ووليد . شعْرٌ
يختلط بأجزاء النَّفس لنفاسته، ويكاد يعين كانه من سلاسته . قصيدته تُجَنِّني
بالأفكار، ونَقْلُ يُتناول بالأسماع والأبصار، ونقلُ العلم والأدب، أَلَسْتُ من نَقْل
المأكل والمشرب . وفاكهة الكلام، أطيبُ من فاكهة الطعام . نظمٌ كنظم
الجُمان، وروض الجُنان، وأمن الفؤاد، وطيب الرُّقاد . لم أر غيرها بكَراً
أستوفت أقسام الحُنْكة، وأستكملت أحكام الدُّرْبِ، فعليها رَوْنَقُ الشَّبابِ،
ولها قوَّةُ المُذْكَيات الصِّلاب . رُوحُ الشعر، وتاجُ الدَّهر . مقدِّمةُ عساكر
السَّحر . كلُّ بيت شعر، خيرٌ من بيت تَبَر . شعْرٌ يُحكِمُ له بالإعجاز والتبريز،
ويُشَبِّهه في صفاء سبكه بالذهب الإبريز . شعْرٌ تأتلف أَلْقُوبُ عَلَى دُرِّهِ آتِلَافاً،
وتصير أَلْأذان لها أصدافاً .

وصف الشعراء

لله ذرّه ما أحلى شِعْرَه، وأنقى ذرّه، وأصفى قَطْرَه، وأعجب أمره. قد أخذ برباقب ألقوافي، وملك رِقّ ألمعاني. فضله برهان حقّ، وشعره لسان صِدْق. أجمع أهل جلدته، على أنه معجز بلدته. فلان يغرب، بما يجلب، ويُدع بما يُبضع. حَسَنُ ألسبك، محكم الرّصف، بديع الوصف. مَرغوبٌ في شعره، متنافسٌ في سحره. فلان ضاربٌ في قول الشعر بأعلى السهام، أخذ من عيون الفضل بأوفى الأقسام. ماء أشعار وطيتها، وكثر ألقوافي ومديتها. شِعْارُه، أشعارُه، ودأبه، آدابه. فلان ممن يبتدع فيبتدع. فلان يجمع بين الإسراع، والإبداع. طبعه يمل عليه، ما لا يمل الاستماع إليه. قريحه غير قريحة، وطبع غير طبع، وخيم غير وخيم. لييدٌ عنده بليد، وعبيدٌ وأقرانه له عبيد. ألفرزدق عنده أقلُّ من فرزدقة خمير، وجرير، يقادُ إليه بجرير. قد نسج حُللاً لا يلي جدّتها الجديدان، ولا تزداد حُسناً إلا على مرور الزّمان.

في نعت الشعر السائر

نظمه قد نَظَم حاشيتي البرّ والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. أشعاره قد وردت أَلَمِيَاه، وركبت الأفواه، وسارت في أَلْبِلَاد، ولم تَسِرْ بَزَاد، وطارَت في أَلْأَفَاق، ولم تَمْشِ عَلَى سَاق. شعره أَسِيرٌ من أَلْأَمْثَال، وأَسْرَى من أَلْخِيَال. سارمسير أَلرِّيَاح، وطار بغير جَنَاح. أشعارُ سارت مَسِيرَ أَلشَّمْسِ وهَبَّتْ هُوب أَلرِّيَح، فطَبَقَتْ تَخُومَ أَلْأَرْضِ، وانتظمت أَلشَّرْقَ إِلَى الْغَرْبِ. قد كادت أَلْأَيَّامُ تُنْشِدُهَا، وأَللَّيَالِي تحفظها وأَلْجَن تدرسها، وأَلطَّيْرُ تتغنى بها.

في ذكر شعر الاكابر والملوك

قرأت أَلْأَبْيَاتَ أَلَّتِي أسفر عنها طَبْعُ أَلْمَجْدِ فَعَلِمْتُ كَيْفَ يَتَكَسَّرُ أَلزَّهْرُ عَلَى صَفْحَاتِ الْحَدَائِقِ، وكيف يغرس أَلدُّرُّ في رِيَاضِ أَلْمَهَارِقِ. شعرٌ قد آحْتَبَسَ

جريه عَلَى فكره، ووقف كيف شَاء عند أمره. شعرٌ يُعلّق في كعبة المجد،
وَيُتَوَجُّ به مَفْرُق الدَّهر. جاءت القصيدة ومعها غُرّة المُلْك، وعليها رُواء
الصِّدْق، وفيها سيما العلم، وعندها لسان المجد، ولها صيال الحقّ، لا غَرَوُ
إذا فاض بحرُ العلم عَلَى لسان الشعر أن ينتج ما لا عينٌ وقعت عَلَى مثله،
ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ بشبهه. شعرٌ يكتب في غُرّة الدَّهر، وَيُشَدِّخ في جبهتي
الشمس والبدْر.

وصف الكتب البليغة الغزيرة وحسن موقعها

كتابٌ كتب لي أماناً من الدَّهر، وهنَّاني أيام العمر. كتابٌ أوجب من
الاعتداد، أوفر الأعداد، وأودع بياض الوداد، سوادَ ألفؤاد. كتابٌ الظَّفَرُ به
نعيم، والَنْظَرُ فيه فتحٌ عظيم. كتابٌ آرحتُ لعيانه، وأهتزرتُ لعنوانه. كتابٌ
هو من كُتُب الميامين، التي تأتي من قِبَل اليمين. كتابٌ عدَّدته من حُجُول العمر
وغُرِّره، واعتدته من فرص العيش وغرره. كتابٌ آنس مَسْموعاً ومَلْحوظاً،
وكاد مُودَعُهُ يكون مدروساً ومَحْفُوظاً. كتابٌ هو أنفُس طالع، وأكرم مُتطلع،
وأحسن واقع. كتابٌ لو قُرئ عَلَى الحجارة لانفجرت، أو عَلَى
الكواكب لانتثرت. كتابٌ كدتُ أبلية طياً ونشراً، وقبَلْتُهُ أَلْفاً ويد حاملة
عَشْراً. كتابٌ نسيْتُ لحسنه الرّوض والزَّهر، وغفرتُ للزمان ما تقدم من ذنبه
وما تأخر. كتابٌ قد أملتُه مزية المجد عَلَى بنانك، ونطق به لسان أفضّل
عَلَى لسانك، أما النقط عَلَى كل حرفٍ نذيرة أناملك بحقه، وآخذ من كل
سطرٍ تتجشَّم تخطيطه نزهة. (كذا) إذا قرأت من خطك حرفاً، وجدت عَلَى
قلبي خفّاً، وإذا تأملت من كلامك لفظاً، ارْدَدْتُ من أنسي حظاً.

تشبيهات هذه الكتب

كتابٌ كَتَبَ لي أماناً من الزَّمان، وتوقَّعُ وَقَع عندي موقع الماء من العطشان.

كتابٌ هو تَعَلَّةُ الْمَسَافِرِ، وَأُنْسَةُ الْمَسْتُوحَشِ، وَزَبْدَةُ الْوِصَالِ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ. كتابٌ هو رُقِيَّةُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَغُرَّةُ الْعَيْشِ الْبَهِيمِ. كتابٌ هو سَمَرُ بِلَا سَهَرٍ، وَصَفْوُ بِلَا كَدَرٍ. كتابٌ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالنَّعِيمِ الْأَبْيَضِ، وَالْعَيْشِ الْأَخْضَرِ، وَاسْتَلَمْتُهُ اسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَكَلْتُ طَرْفِي مِنْ سَطُورِهِ بَوْشِي مَهْلِلٍ، وَتَاجٍ مَكْلَلٍ، وَأَوْدَعْتُ سَمْعِي مِنْ بَدَائِعِهِ مَا أُنْسَانِي سَمَاعُ الْأَغَانِي، مِنْ مَطَرِبَاتِ الْغَوَانِي. نَشَأْتُ سَحَابَةً مِنْ رَوْضِكَ غَيْمُهَا نَعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَغَيْثُهَا حَكْمَةٌ بِالْغَةِ. سَقَّتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ، وَقَدْ جَهْدَتْهَا يَدُ الْجَذْبِ، فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ، وَاكْتَسَتْ مِمَّا اكْتَسَبَتْ. كتابٌ حَسْبُهُ سَاقِطًا إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ اهْتِزَازًا لِمَطْلَعِهِ، وَابْتِهَاجًا بِحَسَنِ مَوْقِعِهِ. تَنَاوَلْتُهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضُّ الرِّحْقُ الْمَخْنُومُ. كتابٌ كَالْمَشْرِقِ شَرِقَ بِهِ الْمَسِيرُ وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ. هُوَ فِي الْحَسَنِ رَوْضَةٌ حَزْنٌ، بِلْ جَنَّةٍ عَذْنٌ، وَفِي شَرْحِ الْنَفْسِ، وَبَسَطِ الْأَنْسِ، بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ. قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرَقِهِ، وَمَبَاهِجَ الْحُلَلِ وَالْحُلِيِّ مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ. كتابٌ أَلْصَقْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَشَمَمْتُهُ شَمَّ الْوَلَدِ. وَرَدَّ مِنْهُ الْمِسْكُ ذَكِيًّا، وَالزَّهْرُ جَنِيًّا، وَالْمَاءُ مَرِيًّا، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا، وَالسِّحْرُ بَابِلِيًّا. كتابٌ مَطْلَعُهُ أَهْلَةُ الْأَعْيَادِ، وَمَوْقِعُهُ مَوْجِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجَدْتُهُ قَصِيرَ الْعَمْرِ، كَلِيلًا لِي الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ. لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ، وَقَارِبَ الْآخِرَ الْأَوَّلِ. كتابٌ مَنْتَقِصُ الْأَطْرَافِ، مَقْتَطَعُ الْأَكْنَافِ، أَبْتَرُّ الْجَوَارِحِ، مُضْطَرِبُّ الْجَوَانِحِ. كَأَنَّهُ تَعْرِيزُ مَتَحَرَّرٍّ، أَوْ تَوْقِيعُ مُبْرَزٍ. كتابٌ يَلْتَقِي طَرْفَاهُ، وَيَتَقَارِبُ مُفْتَتِحُهُ وَمُنْتَهَاهُ. كتابٌ آتَفَقَ طَرْفَاهُ صِغَرًا، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصْرًا، مَا أَظُنُّنِي ابْتِدَائُهُ، حَتَّى خَتَمْتُهُ، وَلَا افْتَتَحْتُهُ حَتَّى اسْتَمْتَمْتُهُ، وَلَا لِمَحْتُهُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ، وَلَا نَشَرْتُهُ، حَتَّى طَوَيْتُهُ، وَأَحْسَبُنِي لَوْ لَمْ أَجُودْ

ضبطه ولم ألزم يدي حفظه لطار حتى يختلط بالجو فلا أرى منه إلا هباءً
 مَنثورًا، وهواءٌ مَنشورًا. كتابٌ حسبته يطيرُ من يدي لخفته، ويلطف عن حسي
 لِقَلته. عجبْتُ كيف لم تحتمله الرياح قبل وصوله إليّ، وكيف لم يختلط
 بالهواء عند حصوله لديّ. كتابٌ قصُّ الاختصار أجنته فلم يدع قوادِم ولا
 خوافي، وأخذ الاختصارُ جدته فلم يُبق ألفاظاً ولا معاني، كتابك كإيماءٍ
 بطرفٍ، أو وحيٍ بكفٍّ، لم أفتحه حتى استوفيته ولا نشرته حتى طَوَيْته.

في ذم الخط والقلم

خطه مُضطرب الحروف، متضاعفُ الضَّعْف والتَّحْرِيف. خطٌّ مُمَجِّج،
 ولفظٌ مُلْجَلَج. خطٌّ سقيم، وخاطرٌ عَقيم. خطٌّ مجنون، لا يُدرى ألف أم
 نون، وسطور، فيها شطور. خطٌّ يُقْذِي العين، ويشجي الصدر. خطٌّ مُنْحَطٌّ،
 كأرجل البطِّ، على الشُّط، وأنامل السرطان، على الحيطان، قلمه لا يستجيب
 بريّه، والمدادُ لا يُساعد جريّه. قلم كالولد العاق والأخ المشاق إذا أدركه
 استطال، وإذا قومته مال، وإذا بعثته وقف، وإذا وقفته انحرف. قلمٌ أحْدل
 الشَّقَّ، مُضطرب الشَّقِّ. متفاوتُ البري، معدومُ الجري. مُحَرَّفُ الْقَطِّ، مثبج
 الخطِّ. قلمٌ لم يُقْلَم ظُفْرُهُ فهو يَخْدِشُ القُرطاس، وَيَنْفُشُ الأنفاس، ويأخذ
 بالأنفاس. فلم لا ينبعث إذا بعثته، ولا يَقِف إن وقفته. قد وقف اضطراب
 بريّه، دُون استمرارِ جريّه، واقتطع تفاوتُ قَطِّه، عن تجويد خطّه.

في ذم الكلام

كلامٌ تنبو عن قَبوله الطباع، وتتجافى عن استماعه الأسماع. ألفاظٌ تنبو
 عنها الأذان فتَمُجُّها، وتنكرها الطباع فتزجُّها. كلامٌ لا يرفع السَّمْع له حجاباً،
 ولا يفتح القلب لوفده باباً. كلامٌ يُصدِّي الرِّيان، ويُصدِّي الأذهان. كلامٌ قد
 تعملُ فيه حتى تبدل، وتكلّف، حتى تعسّف. طبعٌ جاسي، ولفظٌ قاسي. لا

مَسَاغٌ لَهُ فِي سَمْعٍ، وَلَا وُصُولُ لَهُ مَعَ خُلُوعِ ذَرَعٍ. كَلَامٌ لَا أَلْرُويَةُ فِيهِ ضَرَبَتْ
بِسَهْمٍ، وَلَا أَلْفَكْرَةُ أَجَالَتْ فِيهِ بِقَدَحٍ، كَلَامٌ تَتَعَثَّرُ الْأَسْمَاءُ مِنْ حُزُونَتِهِ،
وَتَتَحَيَّرُ الْأَفْهَامُ فِي وُجُودَتِهِ. كَلِمَاتٌ ضَعِيفَةٌ أَلَاتِفَاقٌ، قَلِيلَةٌ أَلْأَعْيَانُ،
مُضْمَحَلَّةٌ عَلَى أَلَامْتِحَانٍ. أَلْفَاظٌ تُسْتَعَارُ مِنَ أَلْرَبَاجِيِّ، وَمَعَانٍ تَقْدُ مِنَ أَلْأَثَافِيِّ.
كَلَامٌ كَأَنَّهُ ثَمَرٌ قُطِفَ قَبْلَ أَوَانِهِ، وَشَرَابٌ نَزَلَ دَنَّهُ قَبْلَ إِبَانِهِ. كَلَامٌ بِمَثَلِهِ يَتَسَلَّى
أَلْأَخْرَسُ عَنْ بَكْمِهِ، وَيَفْرَحُ أَلْأَصْمُ بِصَمِّهِ. بِمَثَلِ ذَلِكَ أَلْكَلامُ رُزْقِ أَلْصَّمْتِ
أَلْمَحَبَّةِ، وَأَعْطِيَ أَلْإِنْصَاتِ أَلْفَضِيلَةَ. كَلَامٌ أَمْلَسَ أَلْمَتُونَ، قَلِيلُ أَلْعَيُونِ. أَثْقَلَ
مِنْ أَلْجَنْدَلِ، وَأَمْرٌ مِنْ أَلْحَنْظَلِ. لَفْظٌ أَخْلَاطٌ، فَلَا يُدْرِكُهُ اسْتِنْبَاطٌ، وَلَا يُفْسِرُهُ
بُقْرَاطٌ. لَفْظُهُ هَذَيَانُ أَلْمَحْمُومِ، وَسُودَاءُ أَلْمَهْمُومِ. كَلَامٌ رَثٌّ، وَمَعْنَى غَثٌّ. لَا
طَائِلَ فِيهِمَا، وَلَا حَلَاوَةَ عَلَيْهِمَا.

فِي ذَمِّ الْكَاتِبِ

أَلْخَرَسُ أَحْسَنُ مِنْ كَلَامِهِ، وَأَلْعَبِي أَبْلَغُ مِنْ بَيَانِهِ. خَاطَرُهُ يَنْبُو، وَقَلْمُهُ يَكْبُو،
يَسْهُو وَيَغْلَطُ، وَيُخْطِئُ وَيَسْقُطُ. هُوَ فِي أَلْأَدَبِ، دَعَايُ أَلْنَسَبِ، ضَيْقُ
أَلْمُضْطَرِّبِ، سِيءُ أَلْمُنْقَلَبِ. قَصِيرُ بَاعِ أَلْكِتَابَةِ، قَاصِرُ سَعْيِ أَلْبَلَاغَةِ. كَتَبَهُ
مُضْطَرِبَةُ أَلْأَلْفَاظِ، مُتَفَاوِتَةُ أَلْأَبْعَاضِ، مُتَشَتِّرَةُ أَلْأَوْضَاعِ، مُتَبَايِنَةُ أَلْأَغْرَاضِ.
أَلْجَلَمُ، أَوْلَى بِكَفِّهِ مِنْ أَلْقَلَمِ، وَأَلطَّاسُ، أَلْيَقُ بِهَا مِنْ أَلْقَرطَاسُ.

فِي الشَّاعِرِ وَالشَّعْرِ

أَبْيَاتٌ لَيْسَتْ مِنْ مُحْكَمِ أَلشَّعْرِ وَجْكَمِهِ، وَلَا مِنْ أَلْحَرَارِ أَلْكَلامِ وَغُرَرِهِ. شِعْرٌ
لَا حَلَاوَةَ فِيهِ وَلَا طَلَاوَةَ. شِعْرٌ ضَعِيفُ أَلصَّنْعَةِ، رَدِيءُ أَلصِّيغَةِ، بَغِيضُ
أَلصَّبْغَةِ. قَدْ جَمَعَ بَيْنَ إِقْوَاءٍ وَإِطْأَاءٍ، وَإِخْطَاءٍ وَإِطْأَاءٍ. مَا قَطَعَ شَعْرَةً، وَلَا سَقَى
قَطْرَةً. لَوْ شَعَرَ بِأَلنَّقِيضِ مَا شَعَرَ. فَلَانٌ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ خَبِيثِ أَلْقَوْلِ وَطَيِّبِهِ، وَلَا
يُفَرِّقُ بَيْنَ بَكْرِهِ وَثَيِّبِهِ. فَلَانٌ مُنْقَادٌ لِسَازِجِ أَلْكَلامِ يَسْتَعْمَلُهُ، نَفُورٌ مِنْ بَدِيعِهِ

يُهمله. شاعر بارد العبارة، ثَقِيل الاستعارة، بغيض الإشارة. هو من بين
الشُعراء، مَنبُوذُ بالعَرَاء. لم يلبس شعره حُلَّةَ الحلاوة. شِعْرُ لا يطيَّب دَرَسه،
ولا يخفُّ سرده.

أوصاف أدوات الكتاب وآلات الكتاب

الدَّوَاةُ من أنفع الأدوات. هي للكتابة عتاد، وللخاطر زناد. غديرٌ لا يَرُدُّه غيرُ
الأفهام، ولا يمتح بغير أرشية الأقلام. أنيقة الصَّبغة، رَشِيقَةُ الصَّبِغَةِ.
مِسْكِيَّةُ الْجِلْدَةِ، كَافُورِيَّةُ الْجِلْيَةِ. غديرٌ تفيض ينابيع الحِكْمَةِ من أقطاره،
وتنشأ سُحُبُ أَلْبَلاغَةٍ من قراره. دَوَاةٌ تُدَاوِي مَرَضَ عُفَاتِكَ، وتُدْوِي قُلُوبَ
عِدَاتِكَ، عَلى مَرَفَعٍ يُؤْذِنُ بِدَوَامِ رِفْعَتِكَ، وَاِرْتِفَاعِ النُّوَابِثِ عَنِ سَاحَتِكَ.

في نعت المداد

مِدَادٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ، وَسُوَيْدَاءِ الْقَلْبِ. مِدَادٌ كَجَنَاحِ الْغِدَافِ وَلُعَابِ اللَّيْلِ،
وَالْوَانِ دُهِمِ الْخَيْلِ. مِدَادٌ نَاسِبٌ خَافِيَةُ الْغُرَابِ، وَاسْتِعَارَ لَوْنُهُ شَعَرَ الشَّبَابِ.
مِدَادٌ هُوَ أَبْهَى لَدَيَّ مِنْ أَلْفِ فَرَسٍ بِهِيمٍ، وَأَشْهَى إِلَى مِنْ مُلْكِ الْأَقَالِيمِ.

في نعت القلم

أَقْلَامٌ جَمَّةُ الْمَحَاسَنِ، بَعِيدَةٌ عَنِ الْمَطَاعَنِ. تُعَاصِي الْكَاسِرَ الْمُعَاصِرَ،
فَتُمَانِيعُ الْغَامِزِ الْقَاصِرِ. صُلْبَةٌ الْمَعَاجِمِ، لَذَنَةُ الْمَقَاطِعِ. أَنَابِيْبُ نَاسِبَتِ رِمَاحِ
الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا، وَسَاكِنَتِ أُسُودِ الْغِيلِ فِي أَخْيَاسِهَا، وَشَاكَلَتِ الذَّهَبَ فِي
أَلْوَانِهَا، وَضَاهَتِ الْحَرِيرَ فِي لَمَعَانِهَا، كَأَنَّهَا الْأُمَيَالُ اسْتَوَاءً، وَالْأَجَالُ مَضَاءً.
بَطِيَّةُ الْحَفَى، قَوِيَّةُ الْقَوَى. لَا يُشْطِطُهَا الْقَطُّ، وَلَا يَتَشَعَّتْ بِهَا الْخَطُّ. أَقْلَامٌ
نَجْرِيَّةُ مَوْشِيَّةُ اللَّيْطِ، رَاقِيَّةُ التَّخْطِيطِ، كُلُّ مُعْتَدِلِ الْكَعُوبِ، قَوِي الْأَنْبُوبِ.
بَاسِقُ الْفُرُوعِ، رَوِيَّ الْيَنْبُوعِ. هُوَ أَوْلَى بِالْيَدِ مِنَ الْبَنَانِ، وَأَنَسُ بِخَفِيِّ السَّرِّ مِنَ

اللِّسَانُ . هو للأنامل مطيَّةٌ ، وَعَلَى الْكِتَابَةِ مَعُونَةٌ مَرَضِيَّةٌ . نِعَمَ الْبَجْدَةُ الْقَلَمُ .
يُقَلِّمُ أَظَافِيرَ الدَّهْرِ ، فَيَمْلِكُ الْأَقَالِيمَ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ . إِنْ أَرَدْتَ كَانَ مَسْجُونًا لَا
يَمِلُ إِلَّا سَارَ ، وَإِنْ شِئْتَ كَانَ جَوَادًا لَا يَعْرِفُ الْعَثَارَ . لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ ،
وَلَا يَحْجُمُ إِذَا أَحْجَمَتِ الْفَلَّاحُ . الْقَلَمُ مَطِيَّةٌ تَمْشِي بِرَاكِبِهَا رَهْوًا ، وَتَكْسُو
الْأَنَامِلَ زَهْوًا .

فِي نَعْتِ السَّكِينِ

سِكِّينٌ كَانَ الْقَدَرُ سَائِقَهَا ، وَالْأَجَلَ سَابِقَهَا . مُرْهَفَةُ الصَّدْرِ ، مُخْطَفَةُ
الْخَصْرِ . يَجُولُ عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْعِتْقِ ، وَيَتَرَقَّرُ فِيهَا مَاءُ الْجَوْهَرِ . كَانَ أَلْمَنِةً تَبْرُقُ
مِنْ حَدَّهَا ، وَالْأَجَلَ يَلْمَعُ فِي مَتْنِهَا . رُكِبَتْ عَلَى نِصَابِ أَبْنَوْسَ ، كَانَ الْحَدَقُ
نَفَضَتْ عَلَيْهِ صَبْغَهَا ، وَحَبَّ الْقُلُوبِ كَسْتَهُ لِبَاسَهَا . أَخَذَ لَهَا حَدِيدَهَا الْنَاصِعَ
بِحِظٍّ مِنَ الْرُومِ ، وَضَرَبَ لَهَا نِصَابُهَا الْحَالِكُ بِسَهْمٍ مِنَ الزُّنْجِ . فَكَأَنَّمَا لَيْلٌ مِنْ
تَحْتِ نَهَارٍ ، أَوْ فَحْمٌ أَبْدَى سَنَا نَارٍ ، ذَاتُ غِرَارٍ مَاضٍ ، وَذُبَابٌ قَاضٍ ، وَمِنْسَرٍ
بَازِيٍّ ، وَجَوْهَرٍ هَوَائِيٍّ ، وَنِصَابٍ زَنْجِيٍّ ، إِنْ أَرْضَيْتِ وَلَّتْ مَتْنًا كَالِدِهَانِ ، وَإِنْ
أَسْخَطْتَ اتَّقَتْ بِنَابَ الْأَفْعَوَانِ . سِكِّينٌ أَحْسَنَ مِنَ التَّلَاقِ ، وَأَقْطَعَ مِنَ الْفِرَاقِ .
تَفْعَلُ فَعْلَ الْأَعْدَاءِ ، وَتَنْفَعُ نَفْعَ الْأَصْدِقَاءِ . هِيَ أَمْضَى مِنَ الْقَضَاءِ الْمَبْرَمِ ،
وَأَنْفَذُ مِنَ الْقَدْرِ الْمَتَّاحِ ، وَأَقْطَعُ مِنْ ظُبَّةِ الْحَسَامِ ، وَالْمَعُ مِنْ أَلْبَرَقِ فِي
الْغَمَامِ . جَمَعَتْ حُسْنَ الْمَنْظَرِ ، وَكَرَمَ الْمَخْبَرِ ، فَتَمَلَّكَتْ عَيْنَانَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرَ ،
وَلَمْ يَحُوجْهَا عِتْقُ الْجَوْهَرِ ، إِلَى إِمْهَاءِ الْحَجَرِ .

آخِرُ كِتَابِ النُّظْمِ وَالنَّثْرِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الممدوح والأثنية

وما يجري مجراها، ويأخذ مأخذها

الممدوح بشرف الاصل وكرم النسب

فلان من سِرِّ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ، وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ الصَّمِيمِ. أَصْلُ رَاسِخٍ،
وَفَرْعٌ شَامِخٌ، وَمَعْجَدٌ بَازِخٌ، وَحَسْبٌ شَادِخٌ. طَيِّبُ الْعُنْصُرِ وَالْمَرْكَبِ، كَرِيمُ
الْمَنْصَبِ وَالْمُنْتَسَبِ. فلان كَرِيمُ الطَّرْفَيْنِ، شَرِيفُ الْجَانِبَيْنِ. قَدْ رَكَّبَ اللَّهُ
دَوْحَتَهُ فِي قَرَارَةِ الْمَجْدِ، وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَحَلِّ الْفَضْلِ. أَصْلُ شَرِيفٍ، وَعِرْقُ
كَرِيمٍ، وَمَغْرَسٌ عَظِيمٌ، وَمَغْرَزٌ صَمِيمٌ. الْمَجْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ، وَالشَّرْفُ نَسَبُ
أَسْلَافِهِ. نَسَبٌ فَخْمٌ، وَشَرَفٌ ضَخْمٌ. يَسْتَوْفِي شَرَفُ الْأَرُومَةِ، بِكَرَمِ الْأَبْوَةِ
وَالْأُمُومَةِ. مَا أَتَتْهُ الْمَحَاسِنُ عَنْ كِلَالَةٍ، وَلَا ظَفَرَ بِالْهَدَى عَنْ ضَلَالَةٍ، بَلْ تَنَاولَ
الْمَجْدُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، وَأَخَذَ الْفَخْرَ بَيْنَ أَسْرَةٍ وَمَنَابِرٍ، وَآكْتَسَبَ الشَّرْفَ عَلَى
الْأَصَاغِرِ وَالْأَكَابِرِ.

ما يختص من ذلك بأبناء النبوة

اسْتَقَى عِرْقُهُ مِنْ مَنَبَعِ النُّبُوَّةِ، وَرَضِعَتْ شَجَرَتُهُ مِنْ ثَدْيِ الرِّسَالَةِ، وَتَهَدَّلَتْ
أَغْصَانُهُ عَنْ نَبْعَةِ الْإِمَامَةِ، وَتَجَبَّحَتْ أَطْرَافُهُ فِي عَرِصَةِ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ،
وَتَفَقَّاتْ بِيضَتُهُ عَنْ سُلَالَةِ الطَّهَارَةِ. قَدْ جَذَبَ الْقُرْآنُ بِضَبْعِهِ، وَشَقَّ الْوَحْيُ عَنْ
بَصَرِهِ وَسَمِعَهُ، مَخْتَارًا مِنْ أَكْرَمِ الْمَنَاسِبِ. مُمْتَحَبٌ مِنْ أَشْرَفِ الْعَنَاصِرِ.

مرتضى من أعلى المحاتد. مؤثر من أعظم العشائر. قد ورث جامعاً عن جامع، وشهد له نداء الصوامع. هو من مضر في سويداء قلبها، ومن هاشم في سواد طرفها، ومن الرسالة في مهبط وحيها، ومن الإمامة في موقف عزها.

في المدح بجمع بين شرفي الأصل والنفس وفضلي الإنتساب والإكتساب
فلان ينزع إلى المحامد بنفس وعرق، ويحن إلى المكارم بوراة وخلق،
يتناسب أصله وفرعه، ويتناصف نجره وطبعه. هو أطيب أصله وفرعه، الزكي
بذره وزرعه، يجمع إلى عز النصاب، مزية الآداب. لا غرو أن يجري الجواد
على عرقه، وتلوح مخايل الليث في شبلة، ويكون النحيب فرعاً مشيداً لأصله،
له مع نباهة شرفه، نزاهة ظلفه، ومع كرم أرومته وجذمه، مزية أدبه وعلمه.
لن تخلف ثمرة غرس آرتيد له من المنابت أزكاها، ومن المغارس أطيبها
وأغذاها، عصابة خيرة فضلها زاهرٌ وشرفها على شرف النماء. وشجرة طيبة
أصلها ثابت وفرعها في السماء. قد جمع شرف الأخلاق، إلى شرف الأعراق،
وكرم الآداب، إلى كرم الأنساب. له في المجد أول وآخر، وفي الفضل قديم
وحديث، وفي الكرم تليد وطريف. ليس كل من شرف عرقه، شرف خلقه.
ولا كل عود طاب منجمه، طاب معجمه. لا غرو أن يغمر فضله وهو نجل
الصيد الأكارم، أو يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم. دوحة ضرب
عرقها وسمق فرعها، وطاب عودها، وأعتدل عمودها، وتفيأت ظلالها،
وتهدلت ثمارها، وتفرعت أغصانها، وبرد مقلها.

المجد والشرف والعلی

مجدٌ يلحظ الجوزاء من عال، ويطولُ النجوم كل مطال. شرفٌ تضع له
الأفلاكُ خدودها وجباهها، وتلثم النجوم أرضه أفواها وشفاهها. نسبُ
المجد به عريق، وروض الشرف به أنيق، ولسان الثناء بفضله نطوق. مجدٌ

يشير إليه النجم الثاقب، وشرفٌ تحفظ طرفيه المناقب. فلكُ المجد عليه يدور، ويدُ الأعلى إليه تشير، يأنس ربيع المجد إذا استوحش من آستيلاء النقص، ويسكن إليه جأش الفضل. سما من المجد إلى رواسي الأعلام، حين رضي بمواطء الأقدام، محلّه سامق، ومجلّده باسق، وشرفه نجم طارق.

الجود والكرم

فلان رفیقُ الجود وخليله، وزميل الكرم ونزيلة، وغرة الدّهر وتحجيلة، مواهبه الأنواء، وصدره الدهناء. بحرٌ لا يظمأ واردٌ، ولا يُمنع بارده. غوثه موقوفٌ على اللهيّف، وعونه مبدولٌ للضعيف. يطغى جوده على وجوده، وهمته على قدرته. يوجب الصّلات، كوجوب الصّلاة. بابه غيرُ مرتج، لكل مُرتج. ينابيع الجود تتفجر من أنامله، وربيع السماح يضحك عن فواضله. هو أوحّد في الكرم، وغرةٌ في وجه العالم. هو أكرم أنشيء نفساً، وأفضل تمثّل شخصاً. لو أن البحر مدّده، والسحاب يدّه، والجبال ذهبه، لقصرت عما يهبه. إن طلبت كريماً في جوده، متّ قبل وجوده، أو ماجداً في أخلاقه. متّ ولم ألاقه، صدره بحر ووعد نذر، قد حكم الآمال في أمواله، واستعبد الأحرار بفعاله. يهتزُّ عند المكارم كالغصن، ويثبت عند الشدائد كالرُّكن. يدُ حاتم كبنانه من شماله. لا يبلغ كعُ في الجود كعبه. له في كل مكرمة غرة الأوضاح، وقادمة الجناح. كريمٌ ملُّ لباسه، موفق مر أنفاسه. صدره تضيق عنه الدهناء، وتفرع إليه الدهماء. لا مكارم إلا ما صدّر عن خلائقه، ولا مناجح إلا ما شيم من بوارقه. غمائم كرمه تفيض، ومآثر جوده تستفيض. يرى تحمل المغارم، من أعظم المغانم. مخلوقٌ من طينة كريمة، ومجبولٌ على أحسن شيمة. حوار العنان في ميدان المكارم.

الجمال وحسن الصورة

قمري التصوير، شمسي التأثير. خلقة سوية صحيحة، وصورة مقبولة صبيحة. منظرٌ يملأُ آليون، ويملك النفوس. منظرٌ ما أحوجه إلى عيب يصرف عين كماله، عن جماله. طلعةٌ يطلع منها النيران؛ ويسجد لها الثقلان. مبرقع الغرة بالجمال، مسفر الطلعة بتباشير الإقبال. للعيون في محاسن وجهه مرتع، وللأرواح بها مُستمتع. خلقت وضي وخلق رضي، وفضل مضي.

البشر والبشاشة

طلعةٌ عليها للبشاشة دياجة خسروانية، وفيها للطلاقة روضة ربيعية. غرةٌ يجول فيها ماء الكرم، وتقرأ منها صحيفة حسن الشيم. وجهه كأن بشرته قشر البشر، ومواجهته أمان من الدهر. فلان يصل ببشره، قبل أن يصل ببره، ويحيي القلوب بلباقته، قبل أن يُميت ألفقر بعطائه. شمت من وجهه بارقة المجد، ورأيت في بشره تباشير النجاح. قد لحظت من وجهه الأنوار، ومن بنانه الأنواء. أنا من كرم عشرته، وطلاقة أسرته، في روضة غدير، بل في جنة حرير.

العلم والادب

هو بحر من العلم ممدود بسبعة أبخر، ويومه في الأدب كعمر سبعة أنسر. العلم حشو ثيابه، والأدب ملء إهابه، هو شخص الأدب ماثلاً، ولسان العلم قائلاً. شجرة فضل عودها أدب، وأغصانها علم، وثمرتها عقل، وعروقها شرف. تسقيها سماء الحرية، وتغذيها أرض المرأة. هم ملح الأرض إذا فسدت، وعمارة الدنيا إذا خربت، ومعرض الأنام إذا احتشدت. هم جمال الأيام، وخواص الأنام، وفرسان الكلام، وفلاسفة الإسلام. فلان

غُصْن طبعه نضير، وليس له بحمد الله نظير. قد جمع الحفظ الغزير، والفهم الصحيح، والآدب القوي القويم. ما يؤنسه عن الوحشة إلا الدفاتر، ولا تصحبه في الوجدة إلا المحابر. همه مهرة فكرة يستفيدها، وشروء من الكلم يصيدها. فلان يحل دقات الأشكال، ويزيل معترض الإشكال.

حسن الخلق

خُلِقَ لو مزج به البحر لنفى مُلوحته، وصفى كُدورته. خُلِقَ كنسيم الأسحار، على صفحات الأنوار. خلق كآلماء صفاء، والمस्क ذكاء. أخلاق قد جمعت المروءة أطرافها، وحرست الحرية أكنافها. أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته، وتؤلف الآراء المتشتتة في مودته. أخلاق أعذب من ماء الغمام، وأحلى من ريق النحل، وأطيب من زمن الورد. أخلاق أحسن من الدُرّ والعقيقان في نحور الحسنان، وأزكى من حركات الريح بين الورد والرّيحان.

الظرف واللباقة وحسن العشرة

فلان يستحط العُصم بظرفه، ويستنزل النجم بلطفه. ما هو إلا غذاء الحَبْرة، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأُنس، وشمامة الظرفاء، وريحانة الندماء. فلان حلو المذاق، عذب المساغ، أعلى الناس في جد وأحلام في هزل. يتصرف مع القلوب، كتصرف السحاب مع الجنوب. ذو جد كعلو الجد، وهزل كحديقة الورد. قد طابت عشرته إذ عاشرته، ولانت قشرته، وواصلته فاستحسنّت وصاله، وأحمدتُ خصاله. له عشرة مأوها يقطر، وصحوها من الغضارة يمطر. هو ريحانة على القدح، وذريعة إلى الفرح. عشرته ألطف من ريح نسيم الشمال، على أديم الماء الزلال، وألصق بالقلب، من علائق الحب. إن أردت فهو سُبحة ناسك، أو أحبيت فهو تفاعلة

فائك، أو اقترحت فهو مَدْرَعَةٌ راهب، أو أثرت فهو تحية شارب.

طيب الخبر

فلانٌ أخبارُهُ ذكية، وآثارُهُ زكية. أخبارُهُ تأتيها كما وشت بالمسك رياه، ونم على الصَّبح مُحياء. قد أنتشر من طيب أخباره ما زاد على المسك الفتيق، وأوفى على الزَّهر الأنيق. مناقبُ تشدخ في جبينها غُرَّةُ الصَّباح، ويتهادى أنباءها وفودُ الرِّياح. فلانٌ أخباره آثاره، وعينه فراره. قد حصل له من حميد الذَّكر، وجميل النُّشر، ما لا تزال الرواة تدرسه، والتواريخ تحرسه. سألت عن أخباره فكأنني خرَّجت المسك فتيقا، وصَّبحت الروض أنيقا. أحببته بالخبر، قبل الأثر، وبالأوصاف، قبل الكشف. أخبارُهُ مُتَضَوِّعةٌ كتضوُّع المسك الأذفر، ومُشرقةٌ إشراق الفجر الأنور. أخباره أَرْجَى، وصفحاته بهجة.

حسن العهد وكرم الود

هو من يثقل ميزان وده، ويُحصِف ميثاق عهده. فلانٌ كريمُ العَهد، صحيحُ العَقد. سليمُ الصِّدر في الود، حميدُ الصِّدر فيه والورد. هو لإخوانه عُدَّة يشدهم ويُقوِّيهم، ونورٌ يسعى بين أيديهم. هو ثابت رُكن الإخاء، صافي شرب الوفاء. حافظٌ على الغيب ما يحفظه على اللقاء. هو من لا تدور المداهنة في عَرَصات قلبه، ولا تحوم المواربة على جنبات صدره. فلانٌ يسري إلى كرم العهد، في ضيَاء من الرُّشد. عهده نقشٌ على صخر، ووده نسبٌ ملآنٌ من فخر. يقبلُ من إخوانه العَفْو، كما يؤيِّلهم من إحسانه الصِّفو. في وده غنى للطالب، وكفاية للرَّاعِب، ومرادٌ للصَّحب، وزادٌ للرَّكب. هو في حبل الوفاء حاطب، وعلى فرض الإخاء مواظب.

اصابة الرأي

النجحُ مَعْقُودٌ بنواصي آرائه، واليُمنُ مُعْتَادٌ في مذاهب أنحائه. له الرُّأي الثاقب الذي تخفى مكائده، وتظهر عوائده، والتدبير أنافذ الذي تنجح

مبادئه، وتبهج تواليه. رأي كآلسهم أصاب غرة الهدف، ودَهَاء كآلبحر في بُعد الغور وقرب المغترف. لا يضع رأيه إلا مواضع الإصابة، ولا يصرف تدبيره إلا إلى مواقع السداد والآصال. له فكر عميق، ورأي وثيق. يعرف من مبادئ الأفعال، خواتم الأعمال، ومن صدور الأمور، أعجاز ما في الصدور. رويته رأي طيب، وبديته قدر مصيب. يسافر رأيه وهو دان لم ينزح، ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح. له رأي لا يخطيء شاكلة الصواب، ولا يخشى عليه بادرة العثار. فلان يُخمر الرأي ويُجيله، ويُجيد الفكر ويُطيله، حتى يحصل على لب الصواب ومحض الرأي. إذا أذكى سراج الفكر أضاء الظلام. هو قطب الصواب تدور به الأمور، ومستنبط صلاح يرد إليه التدبير، يرى العواقب في مرآة عقله، وبصيرة ذكائه وفضله. رأي يرد السيف مثلاً، والرُمح مُقَلماً. آراؤه سكاكين في مفاصل الخطوب. له رأي لا تغيب كواكبه. رأي طيب دآء المملكة. رأي منير، وللأعداء مُبِير. كأنه ينظر إلى الغيب من وراء ستر رقيق، ويطالعه بعين الإلهام والتوفيق. فلان يرى بأول رأيه آخر الأمر، وأصاب شاكلة الصواب في رأي محضه، وتدبير مَحْضه. عجباً لرأيه الذي يستنبط دَفائن القلوب، ويستخرج ودائع الغيوب. قد سرينا من مشورته في ضيآء ساطع، ومن رأيه الصواب في حكم قاطع.

التجربة والحكمة

قد وضعت كثرة التجارب في يده مرآة العواقب. قد نجدته مصارف الدهور، وحنكته مصائر الأمور. قد أرضعته الحنكة بابانها، وأدبته الدربة في إبانها. فلان بازل، التجارب حنكته، والآيام عركته. لا تكاد الآيام تريه من أفعاله عجيباً، أو تسمعه من أحواله غريباً. فلان عارف بتدبير الزمان، عالم بتصاريف الآيام. آخذ ببرهان التبريز، نافذ في مجال التحصيل والتمييز. قد صحب الآيام، وتولى النقض والإبرام. هو آبن الدهر حنكة وتجرباً، وعوداً

على الغمزِ صليباً. قد أدبته الليل والنهار، ودارت على رأسه الادوار، واختلفت به الأطوار. قد آرتضع أفويق الزمان وحلب أخلاف الليالي والأيام. قد ركب ظهري البر والبحر. ولقى وفدي الخير والشر، وصافح صفحتي النفع والضر، وبلا طعمي الحلو والمر، ورضع ضرعي العرف والنكر، وضرب إبطي العسر واليسر.

في الهمة العالية

له همة على هامة النجم. فلان رفيع مناط الهمة. فسيح مجال الفضل. له همة تعزل السيماك الأعزل سُموا، وتجر ذيلها على المجرة علوا. همة حلق جناحها إلى عنان النجم، وأمتد صباحها من شرق إلى غرب. لا يتعاضمه أنتزاف البحر إذا أخطره بفكره، ولا أنتساف الصخر إذا ألقاه في وهمه. همته أبعد من مناط الفرقد، وأعلى من منكب الجوزاء، وأوسع من الأرض، ذات العرض.

الشهامة والنفاذ والجدة والجلادة

فلان حي القلب، مُنشرح الصدر. ذكي الذهن، سجاج الطبع. ليس بالنوم، ولا السؤوم. فذ فرد، وأسد ورد. كأن له في كل جارحة قلبا، كأن قلبه عين، وكأن حسه سمع. شهاب مقدم، وقذح مقوم مشدود النطاق، قائم على ساق. لا يجف ليد، ولا يستريح قلمه، ولا تسكن حركته. قد جد وأجتهد، وحشر وحشد. شمر عن ساق الجد ما أطاق، وشد له النطاق. قد ركب الصعب والذلول، وتجشم الحزون والشهول، وقطع البر والبحر، وأعمل السيف والرُمح، وأسرج الدهم والشهب.

التقى والزهد

فلان عَذْبُ المشرب، عَفُّ الْمَطْلَب. نَقِيُّ السَّاحَةِ مِنَ الْمَأْتَمِ، بَرِيءُ الذِّمَةِ مِنَ الْجَرَائِمِ. إِذَا رَضِيَ لَمْ يَقُلْ غَيْرَ الصَّدَقِ، وَإِنْ سَخِطَ لَمْ يَتَجَاوَزْ جَانِبَ الْحَقِّ. يَتَّبِعُ أَفْضَلَ الطَّرِيقِ، وَأَرْشِدَ الْخُلُقِ. يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ أَمَارَةٍ بِالْخَيْرِ، بَعِيدَةٍ مِنَ الشَّرِّ، مَدْلُولَةٍ عَلَى سُبُلِ الْبِرِّ. أَعْرَضَ عَنْ زِبْرِجِ الدُّنْيَا وَخُدْعِهَا، وَأَقْبَلَ عَلَى آكْتِسَابِ نِعَمِ الْآخَرَى وَمُتْعِهَا. كَفَّ عَنْ زُخْرِفِ الدُّنْيَا وَنَضْرَتِهَا، وَغَضَّ طَرَفَهُ عَنْ مَتَاعِهَا وَزَهْرَتِهَا، وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَقَدْ عَرَضَتْ لَهُ بِزِينَتِهَا، وَصَدَّ عَنْهَا وَقَدْ تَصَدَّتْ لَهُ فِي حَلِيقَتِهَا. فَلَانَ لَيْسَ مِمَّنْ يَقِفُ فِي ظِلِّ الطَّمَعِ، فَيُسْفَ إِلَى حَضِيضِ التَّضَعِّعِ. نَقِيٌّ جَبِيْهِ، وَسَلِيْمٌ غَبِيْهِ، وَلَمْ يَدْنُسْ ذِيْلَهُ، وَأَسْتَوَى فِي الزَّاهَةِ نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ. فَلَانَ جَلِيٌّ الصَّفْحَةِ، نَقِيٌّ الصَّحِيفَةِ، عَفٌّ الْإِزَارِ، طَاهِرٌ مِنَ الْأَوْزَارِ. قَدْ عَادَ لِإِصْلَاحِ الْمَعَادِ، بِإِعْدَادِ الزَّادِ. اعْتَزَلَ الدُّنْيَا وَأَفْرَجَ عَنْ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الزَّادِ الْمُبْلَغِ، وَالْقَوْتِ الْمَقْنَعِ.

الكمال والانفراد عن النظراء

فَلَانَ مَوْلُودٌ فِي طَالِعِ الْكَمَالِ، وَهُوَ جُمْلَةُ الْجَمَالِ. قَدْ أَصْبَحَ عَيْنَ الْكَمَالِ، وَصُبْحَ الْمَحَافِلِ، وَزَيْنَ الْمَحَاضِرِ وَالْمَجَالِسِ. فَرِيدَ دَهْرِهِ، وَشَمْسَ عَصْرِهِ، وَزِينَةَ مِصْرِهِ. فَلَانَ عِلْمُ الْفَضْلِ، وَوَاسِطَةُ قِلَادَةِ الدَّهْرِ، وَنَادِرَةُ الْفَلَكَ، وَنَكْتَةُ الدُّنْيَا، وَغُرَّةُ الْعَصْرِ. قَدْ بَايَعَتْهُ يَدُ الْمَجْدِ، وَمَالَتْ فِيهِ الشُّوْرَى إِلَى النَّصِّ. كَيْفَ يُذَمُّ زَمَانٌ هُوَ عَيْنُهُ الْبَصِيرَةُ، وَلَمَعَتُهُ الثَّاقِبَةُ الْمُنِيرَةُ.

التفضيل والترجيح

فَلَانَ يَزِيدُ عَلَيْهِمْ زِيَادَةُ الشَّمْسِ عَلَى الْبَدْرِ، وَالْبَحْرُ عَلَى الْقَصْرِ. هُوَ رَاشٍ نَبْلُهُمْ، وَبَقِيَّةُ فَضْلِهِمْ. وَجَمَّةٌ وَرْدُهُمْ، وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِمْ. هُوَ صَدْرُهُمْ وَبَدْرُهُمْ، وَمَنْ عَلَيْهِ يَدُورُ أَمْرُهُمْ. يُنِيفُ عَلَيْهِمْ إِنْافَةُ صَفْحَةِ الشَّمْسِ عَلَى كُرَّةِ

الأرض، كأنهم فلَكٌ هو قطبه، وجسَدٌ هو قلبه، ومملوكٌ هو رَبُّه. هو مشهورٌ بسيادتهم، وواسطة قلاذتهم. هو بيتُ القصيدة، وأوّلُ الجريدة، وعينُ الكتيبة، وواسطة القلادة، وإنسانُ الحَدَقَة، ودُرَّةُ التَّاج، ونَقْشُ الْفَصِّ. مَوْضِعُهُ من أهل الفصل، مَوْضِعُ الواسطة من العِقْد، وليلِ التَّم من الشهر، كَلَّا بل ليلة القدر إلى مطلع الفجر.

ما يليق ببعض هذه المدائح
من حكاية أفعال المحسنين، وحُسن آثار المنعمين
والألفاظ التي تقع في الشكر، ونشر البرِّ

ذكر الافضال والانعام والاحسان والاصطناع

أفضل وأنعم، وأسدى في الإحسان والحم، وأسرج في الإكرام والجم. قسم له من إحسانه ما يسع أمما، ويلقي السعادة أمما. أهدي إليه من كرائم البر ما لا يساق مهوَرُهُ إلا من كرائم النفوس ومخايل الصدور. أعطاه عنان الاهتمام، حتى آستولى على قصب المرام. رَدَّ عنه الدَّهر أحصَّ الجناح، وملَّكه مقادة النجاج. أولاه من معهود البر ومألوفه، ما يُربى على مثيه وألوفه. أولاه إسعافاً سَمَحاً، وعطاءً سَحاً، ومنناً صفوا، وعَفْواً عفوا. أفاض عليه شعاب البر ومساليه، وجمع له شُعُوب الجميل وقبائله. هطلت عليه سحائب عنايته، ورَفَرَفَتْ حوله أجنحة رعايته، قد فكّه بكرمه من قيد السؤال، ومَعَرَة الاختلال. راشه بعد ما حصه الفقر، وأرضاه وقد أسخطه الدَّهر، وربما نمنا أملاء الجفون، وسهر دوننا لتحقيق الظنون. قد شِمِتُ من كرمه أصدق سَحَاب، وحصلت من إنعامه في أخصب جناب. قد سدَّ ثُلْمة حالي، وأدر حلوبة مالي.

حسن آثار المنعم

ما أدخلوا من طَلِّ إحسانه ووابله، وعام إنعامه وقابله. قد آستمطرت بنوء

غزير، وسريت منه في ضو قمر مُنير. لم يرض بأول آلُسُقيا حتى أتى
الآنسكاب بعد آلقطر، وظَلَعَت الشَّمْسُ في أعقاب الفجر. قد كَرَعْتُ من بره
في مشارع تَغْزُر، ولا تَنْزُر، ورَفَلت من طوله في ملابس تطول ولا تقصر. أنا
منه في ظلٍ ظليل، وفضلٍ جزيل، وريحٍ بليل، ونسيمٍ عليل، وماءٍ روي،
ومهادٍ وطِيٍّ، وكَنّ كنين، ومكان مكين. أنا آوي إلى ظله كما يَأوي الصيّدُ
إلى الحرم، وأواجه منه وجه المجد وصورة الكرم. انا من إنعامه بين خيرِ
مستفيض، وجاهٍ عريض، ونعمٍ بيض. قد استظهرت على جور الأيام
بعدله، واستترت من دهري بظله. جميعُ ما أُرَدِد فيه طرفي وأَعِدُّه من خاص
ملكي مُنْتَسِبُ إلى عطائه، أو مكتسبٌ بجميل رأيه. مسافةٌ بصري تبعدُ إن
سافرتُ بها في مواهبه، وركائبُ فكري تَطْلُحُ إن أنصيتها في استقراء
صنائه. جمالي مقرونٌ بجماله، وحالي قطعةٌ من حاله.

وصف النعم

نِعْمَةٌ عَمَّتْ الأُمم، وسبقت النعم، وكشفت الهموم ورفعت ألهمم. نِعْمَةٌ
قد سطع صباحها مُستنيرا، وطنّب شعاعها مُستطيرا. قد غرقتني نعمه حتى
استنفدت شكر لساني ويدي وأثقلت ظهري، وتملأت صدري. نِعْمَةٌ عندي
مُشرقةٌ آلجو، مُغدقةٌ ألنو، نُيرةٌ ألضوء. تتابعت نِعْمه تتابع آلَقَطَر، على البلد
آلفقر، وترادفت مِنه ترادف ألغنى إلى ذي الفقر. نِعْمَةٌ أشرقت لها أرضي،
ومُطرٌ بها روضي، ووري بها زندي، وعلا معها جدّي، وأتاني الزمان يعتذر
من إساءته بي، وجآني الدهر ينتظر أمري. نِعْمَةٌ أنعمت البال، وقوت النفس
وآلحال. نِعْمَةٌ تَعْمُ عموم المطر، وتزيد عليه بإفراد النفع والضرر. نِعْمٌ
تَضَعُفُ الخواطر عن آلتماحها، وتَصْغُرُ القرائح عن اقتراحها.

وصف الأيادي والمنن

له مع كلِّ صباحٍ يدٌ كالصباح أو اشدُّ وضوحاً، وكآلنهار أو أصدق ظهوراً.

قد عمت الأفاق، ووسمت الأعناق. أيادٍ قد حبست الشكر وأستعبدت لك
الحر. مننٌ توالى توالي القطر، وآتست سعة البحر، وأثقلت كاهل العبد
والحر. عندي قلادة منتظمة قد جعلتها وقفاً على نحور الأيام وجلوتها على
أبصار الأنام. أيادٍ يقصر عن عفوها جهد القول، وتزهر بينها سواطع الإنعام
والطول. أياديه أطواقٌ في أجياد الأحرار، وأفلاكٌ تدور على ذوي الأخطار. مننٌ
تضعف لحملها عواتق الاطواد، ويتضاعف حملها على السبع الشداد. لو تحمل
الثقلان، ثقل هذا الامتنان، لأثقل كواهلهم وأضعف عواتقهم. أيادٍ يفرض
الشكر لها ويحتّم، ويفتح الذكر بها ويختّم. أيادٍ تثقل الكاهل، ومننٌ تتعب
الأنامل. مننٌ تضعف متن الشكر، وتُنشر معها قوى النشر. مننٌ هي أحسن
أثراً من الغيث في ازاهير الربيع، وأحلى موقعاً من الأمن عند الخائف المروع.

ذكر وفورها وكثرتها

مننٌ لا تُحصى، أو تحصى الحصى، إذا اطمعت نفسي في تعداد مننه
وحصرها، فأطمعتها في إحصاء السحاب وقطرها. أيادٍ لا تحصى حتى تحصى
محاسن النجوم، ومننٌ لا تحصر أو تحصر قطارات الغيوم، وذلك مُعوز عمر
النسور، باقٍ إلى يوم النشور. أياد كعدد الرمل والنمل أعيت على العد، ولم تقف
على حدّ. زادت أياديه حتى كادت تجهّد الإعتداد. وتسبق الأعداد أياديه عندي
أغزر من قطر المطر، وعوارفه أسرع من لمح البصر.

التشريف والتنويه

رفعه من قعر التراب، إلى سمك السحاب. استنبطه من حضيض الدّلة،
وأنهضه من محط الدناءة والضيعة. جذب بضبعه من أخس مطارح الأتباع،
وأخفض منازل الرّعاع، إلى أعلى المنازل، وأرفع المراتب. استنبطه من
الحضيض الأوهده، إلى البناء الأجد. قد نبهه عن خمول، وأجرى الماء في عوده

بعد ذُبول. رقاہ إلى ذروة من المجد تَزَلْ أقدام النجوم لو وطئتها، وتقصّر همم الأفلاك إن طلبتها. ثبت قدمه في المحل المنيف، ومكنه من جوامع التشريف. جذب بضبعه من المسقط المنحط، إلى المرفع المشتط. رفع خسيسته، وجبر نقيضته.

ذكر الشكر

الشكر ترجمان النية، ولسان الطوية، وشاهد الإخلاص، وعنوان الاختصاص. الشكر نسيم النعم، وهو السبب إلى الزيادة، والطريق إلى السعادة. الشكر قيد النعمة، ومفتاح المزيد، وثمر الجنة. من شكر قليلا استحقّ جزيلا. شكر المولى، هو الأولى. أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك. الشكر قيد النعم وشكائها وعقالها، وهي مشبهة بالوحش التي لا تقيم مع الإيحاء، ولا تريم مع الإيناس. موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف، إن وجدته لم يرم، وإن فقدته لم يقم. الشكر غرس إذا اودع سمع الكريم أثمر الزيادة، وحفظ العادة، الشاكر يعرض المزيد البالغ والنعم السابغ.

العجز عن الشكر لتكاثر الانعام والبر

عندي من يده ما ملك الاعتداد أزمته، وقبض أمراء الكلام وأثمته. عندي له مَبَارٌ أعجزني شكرها، كما أعوزني حصرها. شكره شأؤ بعيد لا تبلغه أشواطى، ولا أتلافي التفریط في حقه بإفراطى. إحسانه يعيد العرب عجباً، والفصحاء بكما. إذا سلم المرء مُقراً بالعجز فقد خرج عن تبعّة التقصير، وبرىء من عُهدة المعاذير. قد زحمني من مكارمه ما يحصر المبین، ويصحبُه العجز وبئس القرين، عندي من إنعامه، وخاصّ بره وعامه. ما يستغرق منه الشكر، ويستنفد قوة النشر. لو آستعرت آلدھر لسانا، وآتخذت الرّيح ترجماناً، لُيشيعا شكر إنعامه حقّ الإشاعة، لقصرت بهما يدُ الاستطاعة.

حسن الافصاح عن الشكر والثناء

شكره شكرَ الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه. شكره شكرَ ألبَد القفر، لألمامة القطر. أثنى عليه ثناء الروض الممحل، على الغيث المسبل. أثنى عليه ثناء لسان الزهر، على راحة المطر. أثنى عليه ثناء العطشان الوارد، على الزلال البارد. شكره شكرَ الروض للديم، وزهير لهرم. بسط لسان الثناء والدعاء، وبلغ عنان الشكر عنان السماء. شكراً ترتاح له المكارم، وتهتز له المواسم. لأشكره شكراً تتسع أنواعه، وتنسبط أبواعه، ويلدُّ ذكره وسماعه. شكرٌ ملأ القلب واللسان، وكشكر حسان لال غسان. أطال عنان الشكر وفسح مجاله، ورفع أعمدته، ومدَّ أروقته. شكرٌ كأنفاس الأحباب أو أنفاس الأسحار، بل أنفاس الرياض غب الأمطار. فلان يتلو فضائلك تلاوة القرآن، ويسردُ محامدك سرد الفرقان.

دلالة الحال على ما وراءها

لو سكت الشاكر، لنطقت المآثر، ولو صمت المخاطب، لأثنت الحقائق. لقد شهدت شواهد حاله، على صدق مقاله، أما تفضله فقد نطقت به جوارحي، ولو سكت لأثنت حقايمي، لئن جحدت ما أولانيه، وكندت ما أعطانيه، نطقت آثاره أياديه عليّ، ولعت أعلام عوارفه لدي. جوارحي انطق بالشكر من السنة خطباء إياد، وشعرآء مُراد.

أدعية تليق بهذه الاحوال بهذا الباب

أطال الله له البقاء، كطول يده بالعطاء، ومدَّ له في العمر، كامتداد ظلّه على الحرّ. أدام الله له المواهب، كما أفاض به الرغائب، وحرس لديه الفواضل، كما عوَّذ به البرّ الشامل. تولى الله عني مكافاته، وأعان على الخيز نياته، وأصبح بقاءه عزاً ييسط يديه لأوليائه، وعلى أعدائه، وكلاه تذب عن ود ائع مننه

عنده، وزاد في نِعَمِهِ وإن عظمت، وبلغه آماله وإن انفسحت. لا زال الفضل يأوي منه إلى رُكنٍ منيع، وجناب مريع. لا زالت أَلْسُنُ عليه بالثناء ناطقة، وأَلْقُلُوبٌ على مودته متطابقة، والشهادات له بالفضل متناسقة. لا زال يعطف على الصادر والوارد، عطف العم والوالد. أبقاه الله للجميل يُعَلِّي معاملة، ويُحْيِي مكارمَهُ، ويعمر مدارجه، ويثمر نتائجه. أدام الله أيامه التي هي أيام الفضائل ومواقيتها، وأزمان المآثر وتواريخها. أدام الله له المواهب، سامية الذوائب. مُوفيةً على مُنيةٍ الراجي وبُغية الطالب. أبقاه الله للعطاء يفرضه بين خدمه، والجمال يفرضه على إنشاء نعمه. والله يتابع له أيام العلاء والغبطة، والنماء والبسطة، لترتع انواع الخدم في رياض مواهبه، وتكرع أصناف الحشم في حياض فواضله، والله يبقية طويل الذراع، مديد الباع، مَلِيًّا بالإفضال وألاصطناع. جزاه الله عن نعمةٍ هناها، بعد أن أسبغها، وعارفةٍ ملاحا، بعد أن سوغها. أفضل ما جُزي به مبتدي إحسان، ومُحيي إنسان. لا زال مكانه معاناً للنعم لا تريمه المواهب، ولا ترومه النوائب. بسط الله بِالْعُلَاء يده، وقرن بالسعادة جده، وجعل خير يوميه غَدَهُ، ولا زالت الأيام والليالي مطاياهُ إلى أمانيه وآماله، وصرف الله صروف الغير عن إصابة إقباله وكماله.

آخر كتاب المدائح والأثنية، والله الحمد والمنّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب المساوىء والمقايح

وما يدانيها

اللؤم والخسة

فلانُ عُصارة لؤم، في قرارة خُبث. ألامُ مُهَجَّة، في أسقط جُثَّة. حديثُ
النعمة، خبيث الطُّعْمَة. هو كالكُمأة لا أصل ثابت، ولا فرعُ ثابت، فلانُ
خبيث المركب، لثيُم المكتسب. يكاد من لؤمه يُعدي من جلس إلى جنبه، أو
تُسمى بأسمه. فلانُ قد أُرْضِع بلبان اللؤم، ورُبِّي في حجر الشر والشؤم، وفُطِم
عن ثدي الخير، ونشأ في عَرِصَة الخُبث. قد طُلِقَ الكرم ثلاثاً ولم ينطق فيه
استثناء، واعتق ألمجد بتاتاً لم يستوجب عليه ولاء. فلانُ أتى من اللؤم بنادر لم
تهتد له فطنة مادر. فلانُ قصير الشُّبر، صغيرُ القُدر، قاصرُ القُدر،
ضيق الصدر. لو قذف الليل بلؤمه، لطمس أنوار نجومه رُدَّ إلى قيمة مثله في
خُبث أصله وفرط جهله. فلانُ لا أمس ليومه، ولا قديم لقومه.

في البخل

سائله محروم، وماله مكتوم. لا يجيز إنفاقه، ولا يحلُّ خناقه. خُبْزه كالأروى
يُسمع بها ولا تُرى. خُبْزه في حائق، وأدمه في ساهق. غناه فقر، ومطبخه قفر.
يملاً بطنه وأجار جائع، ويحفظ ماله والعرض ضائع. قد أطاع سلطان البخل
بجهده، وأنخرط كيف شاء في سلكه. فلانُ لا يبض حجره، ولا يُثمر شجره.

ما هو إلا حجرٌ لا يُروى، وزندٌ لا يوري. فلانٌ لا يجلب إلا من ضرع بكى،
ولا يسقى إلا من أنضب رُكي. قد جعل ميزانه وكيله، وأسنانه أكيله، وكيسه،
أنيسه، ورغيفه، أليفه، ويمينه، أمينه، ودرهمه شقيقه، ومفتاحه رفيقه، وخاتمه،
خادمه، وصناديقه، صديقه.

القبح والدمامة والحقارة

وجهٌ كهؤل المطلع، وزوال النعمة، وقضاء السوء، وموت الفجأة، ما هو إلا
قذى العين، وشجى الصدر، وأذى القلب، وُحى الروح. وجهٌ كأنه تبرقع
بألخنداس، وأكتسى قشور ألخنافس. كأن النحس تطلع من جبهته، وأخل
يقطر من وجنته. وجهٌ مسترق بالحسن، مُنتقبٌ بالقبح. وجهه طلعة ألهجر،
ولفظه قطع الصخر. وجهه يشق على العين، وكلامه لا يسوغ في الأذنين. وجهٌ
كحضور الغريم وحصول الرقيب، وكتاب العزل وفراق الحبيب. خلقة
الشيطان، وعقل الصبيان. قد لا يزيد فيه القيام. بيدق الشطرنج في القيمة
وآلقامة. له من الدينار قصره، ومن الورد صفرته، ومن السحاب ظلمته، ومن
الأسد نكهته.

الثقل والبغض والبرد

فلانٌ ثقیلٌ أطلعة، بغیضٌ ألتفصیل وألجملة. باردٌ ألسكون والحركة، قد
خرج عن حدّ الاعتدال، وذهب ذات اليمين وذات الشمال، يحكي ثقل
الحديث العاد، ويمشي على العيون والأكباد. لا أدري كيف لم تحمل الأمانة
أرض حملته، وكيف اجتاحت إلى الجبال بعد ما أقلته. كأن وجهه أيام
المصائب، وليالي النوائب، وكأنما قربته فقد الحباب، وسوء العواقب،
وكانما وصله عدم الحياة، وموت الفجأة، وكانما هجره قوت المنة، وريح

الجنة. يا عجبى من جسم كَالْخَيَال، وروح كَالْجِبَال، كأنه يُقَلِّدُ الدِّين، عَلَى وَجَعِ
العين. مَا الْحِمَامُ عَلَى الْإِصْرَار، وَمُوَاصِلَةُ الصَّوْمِ فِي الْأَسْفَار، وَحُلُولُ الدِّينِ عَلَى
الْإِقْتَار، بِأَثْقَلِ مِنْ لِقَاءِ فُلَان. هُوَ ثَقِيلُ السَّكُونِ بَغِيضِ الْحَرَكَةِ، كَثِيرُ الشُّومِ
قَلِيلُ الْبَرَكَةِ. هُوَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْعَيْنِ قَذَاةً، وَبَيْنَ النَّعْلِ وَالْأَخْمَصِ حَصَاةً. مَا
هُوَ إِلَّا غَدَاةُ الْفِرَاقِ، وَكِتَابُ الطَّلَاقِ، وَمَوْتُ الْحَبِيبِ، وَطُلُوعُ الْرَقِيبِ. مَا هُوَ
إِلَّا الْأَرْبَعَاءُ الْآخِيرُ فِي الصَّفْرِ، وَالْكَابُوسُ فِي وَقْتِ السَّحْرِ. هُوَ أَثْقَلُ مِنْ
خَرَاكِ بَلَا غَلَّةً، وَدَوَاءٍ بَلَا عِلَّةً، وَأَبْغَضُ مِنْ مَثَلٍ غَيْرِ سَائِرٍ، وَأَبْرَدُ مِنْ خَشِيفٍ
عَلَى خَيْشُومِ مِيزَابٍ، وَأَجْمَعُ لِلْعُيُوبِ مِنْ بَغْلِ أَبِي دُلَامَةِ، وَحِمَارِ طَيَّابٍ،
وَطَيْلِسَانَ ابْنِ حَرْبٍ*.

البحر وترك التنظف

لَا يُدْرِي أَفْسًا أَمْ تَنْفَسَ، وَأَحْدَثَ أَمْ حَدَّثَ. مَدْخُلُ أَكْلِهِ أَحْبَثُ مِنْ مَخْرَجِ
ثِقَلِهِ. لَا فَرْقَ بَيْنَ مَجْشَاهُ، وَمَفْسَاهُ، أَنْتَنُ مِنْ هُذْهِدٍ مَيِّتٍ مَكْفَنٍ، فِي جَوْرَبٍ
عَفِنٍ. مَالِي أَرَى الْآبَاطَ حَاشِنَةً، وَالْآنَافَ مُعْشِبَةً، وَالْعُيُونَ مَنْوَرَةً، وَالْأَزْوَارَ
مَرْعَى، وَالْأَظْفَارَ جِمَى، وَاللَّحَى لُبُودًا، وَالْأَسْنَانَ خُضْرًا وَسُودًا.

الجهل والخرق والسخف

جَهْلٌ كَثِيفٌ، وَعَقْلٌ سَخِيفٌ، قَالِبُ جَهْلٍ مُسْتَوٍ بِثُوبٍ. فَلَانُ جَاهِلٌ لَا يُمِيزُ،
وَأَهْوَجُ لَا يَتَحَرَّزُ، أَخْرَقُ مُتَخَلِّفٌ، أَهْوَجُ مُتَعَجِّرٌ. لَا يَسْتَرُ مِنَ الْعَقْلِ
بِسِجْفٍ، وَلَا يَشْتَمِلُ إِلَّا عَلَى سُخْفٍ. يَمُدُّ يَدَ الْمُجُونِ فَيَعْرُكُ بِهَا أُذُنَ الْحَزَمِ،
وَيَفْتَحُ جِرَابَ السُّخْفِ فَيَصْفَعُ بِهَا قَفَا الْعَقْلِ. لَا تَزَالُ الْأَخْبَارُ تَوْرِدُ سَفَاتِجَ
جَهْلِهِ وَخُرْقِهِ، وَالْأَنْبَاءُ تَنْقُلُ نَتَائِجَ سُخْفِهِ وَحُمَقِهِ، قَدْ ظَلَّ يَتَعَثَّرُ فِي فَضُولِ
جَهْلِهِ، وَيَتَسَاوَقُ فِي دُيُولِ خُرْقِهِ. قَدْ أَتَى مَا دَلَّ عَلَى خُرْقِهِ، وَرَكَاعَةِ خُلُقِهِ.

الخسة مع الثروة والإقتصار من الانعام والافضال على التمتع والتجمل

وجمع المال وترك التطول

فلانٌ سمينُ آمال، مهزولُ النوال. عظيمُ الرواق، صغيرُ الأخلاق. يصونُ فلسه، ويبدلُ نفسه. الدهر يرفعه، ونفسه تضعه. ثروة في الثريا، وهمّة في الثري. لا يكدح إلا لتطيب الطّعم، وتنعيم الجسم، ثم يرى المكارم، من المحارم. قد وفر همه على مطعم يُجوده، وملبس يُجده، ومرقد يمهده، وبنيان يُشيده، ثم يُنجه، فما يشد للمكارم رحلاً، ولا يحمل للفضل كلاً، همه أن يتشبع ويتضلع، ويكتسي ويتمشقع، ويتجلل ويتبرّع، وترفّع ويترفع، وقصاراه أن ينصب تخته، ويوطيء آسته دسته، وحسبه من الشرف أن يصهرج أرضها، ويزبرج بعضها، ويكفيه من الكرم أن تعدو الحاشية أمامه، وتحمل الغاشية قدامه، ويجزيه من الفضل ألفاظُ فقاعية، وثيابُ مشقاعية. يلبسها ملوماً، ويحشوها لوماً. ما اتسعت دُورهم، إلا ضاقت صدورهم، ولا أوقدت نارهم، إلا انطفأ نورهم، ولا هملجت عتاقهم، إلا قطفت أخلاقهم، ولا صلحت أحوالهم، إلا فسدت أفعالهم، ولا كثر مالهم، إلا قلّ جمالهم.

القلة والذلة

ريحٌ صيف، وطارقٌ طيف. فوته غنيمة، وأظفرُ به هزيمة. هو العودُ المركوب، والزند المضروب، يطأه الخفُّ والحافر، ويستضيئه الوارِدُ والصادر. هو كالعصفور إن تركته فات، وإن قبضت عليه مات. يغمض عن الذكر، ويصغر عن الفكر. ذلة لا تُوسمُ أغفالها، وضعة لا تنفريجُ أفعالها. نهزة الطالب، وفرصة المغالب، وعرضة القاذف والحاذف. أقل من تنبه، في

لبنة، ومن قُلامة، في قُمامة.

خبث الطوية ومخالفة الباطن للظاهر

قَلْبٌ نَغِلٌ، وصدرٌ دَغِلٌ. طويةٌ معلولة، وعقيدةٌ مدخولة. ظاهرٌ يسُرُّ النَّاطِرَ، وباطنٌ يسوِ الخَابر. صديقُ العَيانِ، عدُوُّ المَغيبِ. ما أَكْذَبَ سَرابَ اخلاقه، وأكثرَ أسرابَ نفاقه. صَفْوَه رَنَقٌ، وبرُّه مَلَقٌ، ووُدُّه مَذَقٌ. هو لابسٌ من الغِشِّ ثوباً لا ينضوه، ولازمٌ من أَلْفَعْل سَمْتاً لا يعدوه، ينتهزُ أَلْفَرَصَةَ كيف ينشرُ أُنْجَحَةَ الأَحْتِيالِ، وكيف يُعْمَلُ أَسْلَحَةُ الأَغْتِيالِ. يدبُ الخَمَرُ، ويمشي الأَضْرَاءُ، وَيُسَرُّ حَسَواً في أَرْتِغاء. قد ملئ قلبه رينا، وشُحِنَ صدره مينا. خبيث النية، فاسدُ الطوية، مقلب لسان الملق، سائرٌ بالتخلق وجه الخُلُقِ. عند الرِّجاءِ موجود، عند أَلْبلاءٍ مَفْقُود. يمشي الأضرَاءُ في أَلْغيلة، ويتنفق بالإنفاق وألحيلة. يَبُثُّ حَبائِلَ الزُّورِ، وينصب أشراك الغرور، ويدعي ضُروب الباطل، ويتحلى بما هو منه عاطل. يدَّعي أَلْفَضْل وهو فيه دَعي. يُبْدي وجهه المطابق أَلْمُوافِق، ويخفي نظر أَلْمُسارِقِ المَنافِق. دأبه بُثُّ الخَدائِعِ، وأَلْفَنُثُ في عُقد المكاره والمكائد. ضميره خُبْثٌ، ويمينه جُنْثٌ وعهده نَكْثٌ.

ما يختص من هذا الباب بالمراثين من الفقهاء والعدول والقضاة

بَيَضَ لَحِيَّتَهُ لَيْسُودَ صَحيفَتِهِ، وأَظْهَرَ وَرْعَهُ، لِيخْفِيَ طَمَعَهُ، وَقَصَرَ سَبالَهُ لِيَطِيلَ يَدَهُ، وَتَغَشَى مِحْرابَهُ، لِيَمْلَأَ جِرابَهُ. ما ظَنَنْكَ بِذَنابٍ طُلَسَ، في ثِيابِ مِلَسَ. قَوْمٌ يَحْمِلُونَ أَلْأَمَانَةَ عَلَى مَتُونِهِمْ، لِيَأْكُلُوا أَلْأَنارَ في بَطُونِهِمْ، حَتَّى تَغْلُظَ قَصَراتِهِمْ من مالِ أَلْيَتامى، وَتَسْمَنَ أَكْفالُهُمْ من غَزَلِ أَلْأَيامى. عَدَلُ يَبْرُزُ في ظاهِرِ أَهْلِ السَّمْتِ، وَباطِنِ أَصْحابِ أَلْسَبْتِ. فَعَلَهُ أَلْظُلْمُ البَحْتِ، وَأَكَلَهُ الحَرَامُ أَلْسُحَتِ، سَوْسٌ لا يَقَعُ إِلَّا في صُوفِ أَلْأَيْتامِ، وَجِراذٌ لا يَسْقُطُ إِلَّا على أَلْزُرْعِ الحَرَامِ، وَكُرْدِيٌّ لا يَغْيِرُ إِلَّا على أَلضِعافِ، وَلِصٌّ لا يَنْقِبُ إِلَّا على

خزانة الأوقاف، وذئب لا يفترس عبادَ الله إلا بين الرُّكُوع والسُّجود،
وحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود. قاض لا شاهد عنده أعدل من
أسلة والجم، يُدلي بهما إلى الحكام، ولا مزكي أصدق لديه من الصُّفر،
الذي يرقص على الظُّفر، ولا وثيقة أحب إليه من غمزات الخصوم، على
الكيس المختوم، ولا كفيل أوقع بواقفه من خُبنة الذليل، وحمال الليل، ولا
خليل أعزُّ إليه من المنديل والطبق، في وقت العشاء والفلق، ولا حكومة
أبغض إليه من حكومة المجلس، وخصومة المفلس، ثم الوليل للفقير إذا
ظلم فما يُنجيه مجلس القضاء، إلا بالنار من الرَّمضاء، وأقسم أن أليتم إذا
وقع إليه فقد وقع بين مخالِب الأسود، وأنياب الحَبَّات السود.

الكذب والبهتان

فلانٌ مُنْغَمِسٌ في عيبه، يَكْذِبُ لذيله على جيبه. يقول بُهْتًا، وزُورًا بَحْتًا.
قد مُلِئَ قلبه رِينًا، وقوله مِينًا، يدين بالكذب مذهبًا، ويستلين الزُّور مركبًا،
الفاخنة عنده أبو ذرٍّ. لا أصغي إلى ما يلفق وينمق، ويخلق ويُزوق. أقاويل
يتمشى الزُّور في مناكِبها، ويتردد البُهتان في مَذاهبها. حسب الكاذب بفعله
شَتْمًا، وبقلبه خَصْمًا، أما يخاف الكُذُوب، أن يذُوب؟

خبث اللسان والفعل

لسانه مِقْرَاضٌ، للأعراض. فلانٌ يأكل خُبْزَه بلحوم الناس. عرضُ دنيٍّ،
وفمٌ بَذِيٍّ. لا يزال تخرج من فمه كلمةٌ يَقْطُرُ منها دمه، ويتبرأ منها لسانه
ويده، وتطلقه نفسه. من أغمَد فيه سيف آريية، انسل منه لسانُ الغيبة، ومن
طعن عِجَانَه، طعن لسانه، ومن وارى سوءَ أخيه صغيرًا، تنقل بأعراض
الكرام كبيرًا. فلانٌ مقصُورُ الهمة على ما يستهجن ذكره، فكيف ارتكابه
وفعله. فلانٌ فيه بغيٌّ مُشتق من البِغَاء، وبه وجعٌ في ألْوجعَاء. فلانٌ لسهام

الغائبين مُستهدف، ولعصي ألفاسقين مُتلفف. فلانٌ يخبأُ أعصابه، في
أدهليز الأقصى. هو أبغى من إبر الخياطين، ومحابر الوراقين.

الاستهداف لسهام الغائبين

فلانٌ غرضٌ يُرشقُ بسهام الرِّيَّة، وعَلَمٌ يُقصد بالوقية. قد تناولته الألسنُ
العاذلة، وتناقلت حديثه الأندية الحافلة، قد لزمه عارٌ لا يُمحي رسمه، ولزبه
شَنارٌ لا يزول وَسْمُه. قد قلَّد نفسه عاراً لا يرحضه الاعتذار، ولا يُغفيه الليلُ
والنهار. قد أصبح نقل كلِّ لسان، وضُحكة كلِّ إنسان، وحملت أمهاته سفاتج
إلى الأبلدان. قد صار دَوْلَةُ الألسن، ومُثْلَةُ الأعين. قد عَرَّضَ عرضه لسهام
الغائبين، وألْسِنَةُ القاذفين والحادفين. قد قلَّد نفسه عظيم العار والشَّنار،
وألْبَسَهَا أَلْبِسَةَ الخالدة عَلَى اللَّيْلِ والنَّهَار.

التيه والكبر

قد أسكرته خمرَةُ الكِبَر، وأستهوته غُرَّة التيه. كأن كسرى حاملُ غاشيته،
وقارون وكيل نفقته، وبلقيس إحدى داياته، وكأن يوسف لم ينظر إلا بمقلبه،
ولقمان لم ينطق إلا بحكمته. كأنَّ الشمس تطلع من جبهته، والغمام يندي
من يمينه. كأنه أمتطى السِّماكين، وأنتعل الفرقدين، وتناول النَّيرين بيدين،
وملك الخافقين، وأستعبد الثَّقَلَيْن. كأن الخضرَاء له عُرْشَت والغُبْرَاء باسمه
فُرْشَت.

الحسد

قد دَبَّتْ عَقارب الحَسَدَةِ، وَكَمَنْتْ أفاعيهم بكل مرصدة. فلانٌ مَعْجُونٌ من
طينة الحسد والمنافسة. مضروبٌ في قالب الضيق والمنافسة. قد وكل بي
لحظاً ينتضل بأسهم الحسد. فلانٌ جسد، كله حسد، وعقلٌ كله حقد.

الحاسد يعمى عن محاسن الصبح، بعينٍ تدرك فائق الفتح. الحسود، لا يسود. الحسد، آفة الجسد.

دناءة النفس مع شرف الأبوة

فلانٌ من الطأؤوس رجله، ومن الوردِ شوكة، ومن الماء زبدٌ، ومن النار دُخانها، ومن الخمر خمارها، ومن الدار كنيفها. يا عجباً أيلدُ البهيم، وولد أزر إبراهيم.

النميمة

لعنَ الله من يُفسد ذات البين، ويسعى بالنميمة بين المحبين. النمام يُحاربُ بسيفٍ كليلٍ إلا أنه يقطع، ويضربُ بعضُدهنٍ إلا أنه يوجع. فلانٌ لا يزال ينمنم حلة النمام، وينفث في عقد المكاره. قد هبت سمام نمامه ودبت عقارب مكائده. النميمة من سلاح النساء، وحصون الضعفاء.

الجبن

ليست البراعة الجوفاء إلا أثبت منه قوة، وأشد مئة. فهو يحسب كل صيحة عليه، وكل هيعه عدواً يقبض على يديه. فلانٌ تمثال الجبن، وصورة الخوف، ومقر الرعب، ومن لو سُميت له الشجاعة لخاف لفظها قبل معناها، وذكرها قبل فحواها، وأسمها قبل مُسمّاها. هو من تُخوفه أضغاث الأحلام، فكيف مسموع الكلام. إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل ذهب، وإذا ذكرت الرماح مس جنبه هل ثقب. كانه أسلم في كتاب الجبن صبيّاً ولقن كتاب الفشل أعجمياً.

خلف الوعد وكثرة المطل

يا له من وعدٍ أخذ من البرق الخلب خلقاً، وتناول من العارض الجهم

طبعاً، وتركني أرعى رياض رَجَاء لا تنبت، وأجني ثمرَ أملٍ لا يُورق. هو في ضمائر الانتظار، وإسارِ عِدَّةِ ضمائر. جعل يلوذ بَدْمَةِ المَطل، ويُرجي يوماً إلى غد. وعدّه بَرَقُ خُلْب، وروغان ثعلب. غيّم وعدّه جَهَام، وسيف بذله كَهَام. وعدّه مُقَرَّمَط، ومطله مفرط. حصلتُ معه على مواعيد عُقوبية، وأحزان يعقوبية. قد حَرَمه ثمرة آلِوعد، وجَرّه على شوك المَطل. أثبت بوعده روضَ الآمال، ثم حَصَدَه بالخلف والمَطلال. وعدّه كالوعيد، بمطل شديد، يُشيب الوليد. ولاية فلانٌ وعدٌ وصرفه اعتذار. وعدّه ضِمَارٌ لا ينجز، وسحابه جَهَامٌ لا يسكب. لا وعدٌ نجيج، ويأسٌ مُريح. سحائبُ الصيف أثبت من قوله، والخطُ في صفحةِ الماءِ أقوى من عهده، ومواعيدُ عُقوب أقرب إلى الإنجاز من وعده. خُلِفَ الوعد، خُلِقَ الوعد. فلانٌ يرسل برقه، ولا يسيل ودقه، ويُقدم رَعده، ولا يمطر بعده. وعدّه الخطُ في بسط الهوَاء، والرقم على بساط الماء.

صعوبة الجانب

صخرةٌ خَلَقَاء لا تستجيبُ للمُرتقي، وحيّةٌ صَمَاء لا تسمع للراقي. كأنّي استَفَرْتُ منه بِالْحُدَاءِ عوداً، وأهزُّ بِالْدُعَاءِ طوداً. كأنّي أنادي صخرةً وأرقى حيّةً. فلانٌ ثاني العطف، نائي العطف. فلانٌ صعب المَعطف، بعيد المرجع، زُحلي خطو العطف، جمادي حركة الصفح. لا تنحلُّ عُقْدَه، ولا تتحافى عن فريسة يده.

العجز

فلانٌ عاجز المُنّة، قاصرُ القوة. يتعلق بأذنان المعاذير، ويحيل على ذنوب المقادير. ما قطع في ذلك شعرة، ولا سقى قطرة، ولا فاه فيه بفصيح ولا أعجم. هو كالنعمامة يكون جملاً إذا قيل طيري، وطائراً إذا قيل سيري. الطيرُ

تغدو خماصاً، وتروح بطاناً، وهو عاجز عما يقتاتة، قاصر عما تتماسك به حياته. يُقام له نُزل، ولا يُفوض إليه شغل، ويُملأ له وَطْب، ولا يُرفع إليه خطب، وهذا وآله عيشُ العجائز، والزَّمنُ العاجز.

آخر كتاب المساوىء والمقايح، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب العيادة وما يجانسها

ذكر التشكي والمرض

عَرَضَ لي مَرَضٌ أَسَاءَ بِالنَّجَاةِ ظَنِّي، وَكَادَ يَصْرِفُ وَجْهَ الْإِفَاقَةِ عَنِّي. لَوْ رَأَيْتَنِي لِرَأْنِي خَلَالًا، وَلَوْ شِئْتَهُ لَطَرَقْتَهُ خِيَالًا. هُوَ شُورَى بَيْنَ أَمْرَاضٍ أَرْبَعَةٍ: حُمَى لَا تُغَبِّ، وَصُدَاعٌ لَا يَخْفُ، وَزَكَامٌ يَكْدُ، وَسُعَالٌ لَا يَكْفُ. عِلَّةٌ هُوَ فِي أَسْرِهَا مُعْتَقَلٌ، وَبَقِيدُهَا مُكْبَلٌ. أَمْرَاضٌ تَوَالَتْ عَلَيَّ، وَأَسَاءَتْ بِي وَإِلَيَّ، فَأَنَا أَشْكُوهَا وَأَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى إِذْ جَعَلَهَا عِظَةً وَتَذَكِيرًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا حَتَّى الْآنَ إِلَّا يَسِيرًا. أَحْسَبُ الْأَمْرَاضَ قَدْ أَقْسَمْتَ عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ أَعْضَائِي مَرَابِعَهَا، وَأَلْتَ عَلَيَّ أَنْ تُصِيرَ جَوَارِحِي مَرَاتِعَهَا. عَلَّلَ لَا يَصْدُرُ مِنْهَا آتٍ إِلَّا لَتَكْرِيرٍ وَرَدٍّ، وَلَا يُعْزَلُ فِيهَا وَالٍ إِلَّا بُولِي عَهْدٍ. قَدْ كَرَّرْتُ تِلْكَ الْعِلَّةَ فَعَادَتْ عَلَّلًا، وَسَقَانِي بَعْدَ نَهْلٍ عَلَّلًا، حَلِيفُ عِلَّةٍ أَقْعَدْتَنِي عَنِ الْحَرَكَةِ، وَالزَّمْتَنِي مِنَ الْمَنْزِلِ عَرَصَةَ الْعَجْزَةِ. عِلَّةٌ بَرَّتْهُ بَرِّي الْأَخْلَةَ، وَنَقَصَتْهُ نَقْصَ الْأَهْلَةِ. تَرَكْتَهُ حَرَضًا، وَأَوْسَعْتَهُ مَرَضًا، وَغَادَرْتَهُ وَالْخِيَالَ أَكْثَفَ مِنْهُ جُبَّةً، وَالطَّيْفَ أَوْفَرَ مِنْهُ قُوَّةً.

اشتداد العلة وسوء الظن بها

عَرَضَ لِي مِنَ الْمَرَضِ مَا صَارَ لَهُ الْقُنُوطُ يُغَادِيهِ وَيُرَاوِحُهُ، وَالْيَأْسُ يُخَاطِبُهُ وَيُصَافِحُهُ، وَرَدَّ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ أَوْخَمَ الْمَنَاهِلِ، وَبَاتَ مِنْ حُسْنِ الرَّجَاءِ

على مراحل. طالعت الكرم يترجح نجمه بين الإضاءة والآفول، وتتمثل شمسه بين الإشراق والغروب، أصبح فلان لا ينقل رأسه، ولا يجزُّ ظله. ويد ألمنية تقرع بابه. ما هو إلا حرض، ولسهم ألمنية غرض. شاهدت نفسي وهي تخرج، ولقيت رُوحِي وهي تعرج، وعرفت كيف تكون السكره، وكيف تقع الغمرة، وكيف طعم البعد والفراق، وكيف يلتف الساق بالساق.

الانزعاج لعارض العلة

مريض فلهقتني روعة، وملكتني لوعة. وجدت في نفسي ألماً مما مسه، وتخون أنسه، بلغني من شكاته ما أوحش جناب الأنس، وأراني الظلمة في مطلع الشمس. بلغني ما عرض له من المرض، وألم به من الألم، فتحامل على سوء صدري، وأقذى سواد طرفي. قد استنفذ ألقلق لعلتك ما أعده الصبر من ذخيرة، وأضعف ما قواه العزاء من بصيرة. أثقلب على حدّ السيف إلى أن أعرف أنكشف العارض وزواله، وأتحقق انحساره وانتقاله. أنهى إلي من خبر العارض حسَم الله مادته، وقصر مدته. ما أراني آفاق مُظلماً، وطريق العيش مُبهماً.

تهوين أمر العارض بحسن الرجاء

هذه العوارض قد تكون، ثم تزول بإذن الله وتهون. إن الذي يبلغني من ضعفه قد أضعف المنة، وإن لم يضعف الظن بالله والثقة. قد استشف العافية من وراء ثوب رقيق، وبات منها على وعد قريب، ربما يشفى من أشفى، وحسبنا الله وكفى، ما أكثر ما رأينا هذه العِلل جلّت ثم جَلّت، وتوالت ثم تولّت.

ذكر المشاركة في العلة

خبرني فلان بعلتك فأشركني فيها همّاً وقلقاً، ولا أعل الله لك جسماً ولا

حالاً، وردَّ إليك العافية وأدامها لك . ليست نكايةُ الشَّغل في قلبي بأقل من نكاية الشكاية في جسدك، ولا استيلاء القلق على نفسي بأيسر من اعتراض السقام لبدنك، ومن ذا الذي يَصِحُّ جسمه إذا تألمت إحدى يديه، ومن يحلُّ محلَّها في القُرب إليه . ما كنتُ أعلم خبر العارض لك حتى تحققت ذلك من مُشاركتي إياك في عِلَّتكَ وصِحَّتكَ . ما أنفرد جسمك بألم العلة دون قلبي ولا اختصت نفسك بمعاينة المرض دون نفسي . ليعلم سيدي أنني سقيمٌ بسُقمه، وواحدٌ بقلبي ما يجدُه بجِسمه .

الاهتمام لليلة ثم الاستبشار بزوالها

أنا مُنزِع لشكايتك، مُبتهِجٌ لمعافاتك . إن كانت عِلَّتكَ قد قرحت وجرحت، فإن صِحَّتكَ قد أُستِ وأنست . بلغني شكايتك فأرتعت، ثم عرفتُ خِفَّتُها فأرتحت . الحمدُ لله على قُرب المِدة بين المِحنة والمنحة، وألبوى والنِّعمة، على أنا لم نتهالك بأيدي المخافة، حتى تداركنا الله بحسن الرِّافة، ولم نستسلم لحُطة الحذر، حتى سلَّم من ورطة القدر.

شكاة أهل الفضل والسؤدد

شكااته التي تتألم لها المروءة والفضل، ويسقط لها الكرم المحض . شكااته التي غصَّت بها حُلوق المجد، وخَرِجَت لها صدورُ الآداب، وبدا الشحوب معها على وجه الحرية، وحُرِّمَ عندها البِشْرُ على غرة المروءة، عِلَّتُه التي أعلَّتْ أكثر القلوب، وطيرت الأرواح عن جُلِّ النفوس، قد اعتلَّ بعلته الكرم، وشكا بشكايته ألسيف والقلم . شكاة عرضت منه لشخص الكرم الغض، وأشرف المحض، لو قبلت مُهجتي فديةً دون وعكة تجدها، وساعة أنس تفقدها، لبدلتها علماً بأنني أفدي الكرم لا غير، والفضل ولا ضير .

أدعية العيادة

أغناك الله عن أَلْبَطِّ وأَلْأَطْبَاءِ، بِالسَّلَامَةِ وَالشِّفَاءِ. كفاك الله بِالسَّلَامَةِ،
وشفاك بالطافه أَلْخَاصَةِ وأَلْعَامَةِ. جعله الله عليك تمحيصاً، لا تنغيصاً،
وتذكيراً، لا تنكيراً، وأدباً، لا غضباً، والله يُدْرِكُ صَوْبَ العافية، ويُضْفِي عليك
ثوب أَلْكَفَايَةِ أَلْوَايَةِ. أَذِنَ الله في شفاك، وتلقى داءك بدوائك، وَمَسَحَكَ بيد
أَلْعَافِيَةِ، ووجه إليك وافد أَلْسَلَامَةِ، وجعل علتك ماحيةً لذنوبك، مُضَاعِفَةً لثوابك.
أوصل الله إليك من برد أَلشِّفَاءِ، ما يكفيك حرَّ الأَدْوَاءِ.

تنسم الاقبال بعد اليأس

قد شِئْتُ بَارِقَةَ أَلْعَافِيَةِ، وشممت رائحة الصِّحَّةِ. أَقْبَلَ صَنَعَ الله من حيث
لم أَرْتَقِبْ، وجاءني لُطْفُهُ من حيث لم أَحْتَسِبْ، وتدرجت إلى أَلْإِبْلَالِ وقد
حسبته حُلماً، ورضيتُ به دون الاستقلال غُناً. قد تخلصْتُ إلى شط
العافية، وصافحتُ كف حُسن العاقبة. كما تداركني الله بلطفيةٍ من لطائفه،
نوجعل هبة أَلرُّوحِ عارفةً من عوارفه. تنسمت روائح الحياة بعد أن أَشْفَيْتِ
عَلَى الوفاة، وثَّيْتُ وجهي إلى أَلدُّنْيَا، بعد مواجهتي أَلدَّارِ الأُخْرَى. تداركني
صنع الله ولطفه فأقالا عشرة ما خلّنتني أَقَالُهَا، وأزالا علةً لم يُحْتَسَبْ زوالها.

ذكر الابلال وحمد الله عليه والدعاء عنده

قد صافح أَلْإِقْلَالَ وأَلْإِبْلَالَ، وقارب أَلْنَهْوِضَ وأَلْإِسْتِقْلَالَ. سِيرُوكَ الله
من العافية أَلَّتِي ذَوَّقْتَ ويسبغ ثوبها عليك، ولا يُعيد مكروهاً إليك. المرض قد
آنحسر، وأَلْأَلَمُ قد آنحسم. قد آستقل آستقلال أَلْسَيْفِ حُودِثِ حَدِّهِ، وأُعيد
فِرْنُدَّهُ، والقمر آنكشف سراره، وذاعت أسرارهِ. حين آستقلت يدي بِأَلْقَلَمِ،
بشرتكَ بِآنحسار أَلْأَلَمِ. قد أقال الله بِالسَّلَامَةِ أَلْفَائِضَهُ، وأدال من أَلشِّكَايَةِ

العارضة، فأنشِرت الصدور، وشَمِلَ السرور. أبلَ فَعادت به الصُّدُور
 مثلوجة، وألْكَرَب مفروجة. الحمدُ لله الَّذي حرس جِسْمَكَ وعافاه، ومحا عنه
 أثر السُّقْم وعَفَّاه. الحمد لله الَّذي جعل الْعافية عَقْبِي ما تشكيت، وَالسلامة
 عوضاً مما عانيت. الحمد لله على أَنَّ أعفاك من مُعانة الأَلَم، وعافاك للفضل
 والكرم، ونظمني معك في سلك النعمة، وضممني إليك في مسلك الصِّحة،
 والله يجعل السلامة ثوبك الَّذي لا تنضوه، وأسفعك في كل ما تأمله وترجوه،
 والله يجعل السلامة أطول بُرْدِك، وأشدَّهما سُبوغاً عليك، ويدفع في صدور
 المكاره دون ربك، وفي نحور المحاذر قبل الانتهاء إلى ظلك. لا زالت
 العافية شعارك، ما وَصَلَ ليلك نهارك. سَوْغَكَ اللهُ الْعافية وهَنَّاكَ الْعيشة
 الرَّاضية.

الاستشفاء بكتب العيادة

كلامك قد أدى روح السلامة في أعضائي، وأوصل برد الْعافية إلى
 أحشائي، تركني كتابك والظلم ينتسب إلى صحتي بعد أمراضٍ اكتنفت،
 وأسقامٍ اختلفت. قد استبق كتابك وَالْعافية إلى جسمي، حتى كأنهما فرسا
 رهانٍ تباريا، ورسيلا مضمار تجاريا. أبدلني كتابك من حُزون الشكاة،
 سهول المعافاة، ومن شِدَّة التَّأَلَم، رخاء التَّعْنَم، ومن ضيق الصَّدْر بأضطراب
 البدن، سَعَةَ الصَّدْر باستقرار الجسد، حتى كأنه مسحة مَلَك منزل، أو سبحة
 نبيٍّ مُرسَل.

آخر كتاب العيادة، والله الحمد والمُنَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التهاني والتهادي وما ينخرط في سلكها، ويأخذ مأخذها

ألفاظ التهئة بمولود

مرحباً بالفارس المحقق للظنون، المقرّ للعيون. المقبل بالطالع السعيد،
والخير العتيد. أنجبُ الأبناء، لأكرم الآباء. أنا مُستبشّرُ بطلوع النّجم الذي
كُنّا منه على أمل، ومن تطاول أسراراه على وَجَل. إن يشأ الله يجعله مُقدمة
إخوة في نسق، كالفرد المتسق. قد طلع في أفق الحرية أسعد نجم، ونجم
في حدائق المروءة أزكى نبت. يا بُشراي بطلوع الفارس الميمون جدّه،
المضمون سعدّه. عليه خاتم الفضل وطابعه، وله سهمُ الخير وطالعه. الحمد
لله على طلوع هذا الهلال الذي نراه إن شاء الله بداراً لا يُضمر السرار ضياه،
ولا يبلغ ألمحاق سَناءة وسناه. قد بشرت قوابله بالإقبال وعلوّ الجَدّ، وأقترن
قدومه بالطائر السعد. هنّاك الله قوّة الظهر، وأشتداد الأزر، بالفارس المكثّر
لسواد الفضل، الموفر لجمال الأهل، المستوفي بشرف الأرومة، كرم الأبوة
والأمومة، وأبقاه حتى نراه، كما رأينا جده وأباه. عرفت أنفاً ما كثر الله به
عدده، وشد عضده، بطلوع الفارس الذي أضاء له أفق النجاة، وطال به باع
السعادة. بُشرت بالنور الساطع في أفق النّجاة، وألبدر الطالع في فلك
السعادة، فعظمت النعمى لديّ، وأوردت البُشرى غاية المُنَى عليّ.

ما يختص منها بالملوك

مرحباً بالفارس القادم، بأعظم المغانم. سوي الخلق، سامي العرق. تلوح عليه سيما المجد، وتتجاذبه أطراف الملك. وردت البشري بالفارس الذي أوسع رباع المجد تأهلاً، وأطراف الملك تحصناً، ومناكب الشرف ارتفاعاً، وأعضاء العز اشتداداً. أتنني بشري البشائر، وأنعمي المحروسة عن النظائر. في سلالة العز وسليله، وأبن منبر الملك وسريه. الأمير القادم، بغرة المكارم. الناهض إلى ذروة العلياء، بآباء أمره وملوك عظماء. مرحباً بالفارس المأمول لشدة الظهور، المرجو لسد الثغور. الحمد لله الذي شد أزر الدولة، ونظم قلادة الأمر، وعمر سرير العز، ووطد منابر المملكة، بالقمر السعد، وشبل الأسد ألورد. قد تبسمت المكارم والمعالي، وتباشرت الخطب والقوافي، بالفارس المأمول لشدة أزر الملك، وسد ثغر المجد، وتطاول السرير شوقاً إليه، وأهتزت المنابر حرصاً عليه. قد أفر جفن العالم عن العين البصيرة، وأستغرب مضحكه عن اللمعة المنيرة. أما الأمير المولود فالتاج بجبينه يبهى، والركاب بقدمه يزهي.

الادعية للمولود والوالد

اللهم أرني هذا الهلال بدرا، قد علا آلاقران قدرا. بلغه الله فيه مناه، حتى يراه وأخاه، مُنِيفَيْنِ عَلَى ذِرْوَةِ الْمَجْدِ، آخِذِينَ بِأَوْفَرِ الْخُطُوطِ مِنْ عُلُوِّ الْجَدِّ، وَاللَّهُ يَمْتَعُهُ بِهِ، وَيَرْزُقُ الْخَيْرَ مِنْهُ، وَيُحَقِّقُ الْأَمَلَ فِيهِ. عَرَفَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِرَكَّةِ الْمَوْلُودِ الْمَسْعُودِ، وَعَضُدِ الْفَضْلِ بِالزِّيَادَةِ فِي عَدَدِهِ، وَأَقْرَبَيْنِ الْمَجْدِ بِالسِّيَادَةِ مِنْ وَلَدِهِ، عَرَفَهُ اللَّهُ مِنْ سَعَادَةِ مَقْدَمِهِ، مَا يَجْمَعُ أَعْدَاءَهُ تَحْتَ قَدَمِهِ. عَمَّرَكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَى هَذَا الْهَلَالَ قَمَرًا بَاهِرًا، وَبَدْرًا زَاهِرًا. يَكْثُرُ بِهِ عَدُوُّ حَقْدَتِكَ، وَتَعْظُمُ مِنْهُ غُصَّةُ حَسَدَتِكَ، مِنْ حَيْثُ لَا تَهْتَدِي النُّوَابِإِ إِلَى

عِرَاصِكُمْ، ولا تطمع الحوادث في انتقاصكم. متَّعَكَ اللهُ بالولد، وجعله من أقوى العدد، ووصله بإخوة مُتَوَافِرِي العدد، شَادِينَ لِلْأَزْرِ وَالْعُضْدِ. هُنَاكَ اللهُ مولده، وقرن باليُمن موره، وأراك من بنيه أولاداً بَرَّةً، وأسباطاً وَحَفْدَةً. عرفك اللهُ بركة قدمه، ونجح مقدمه، وسعادة طالعهِ، ويُمن طائرهِ، وعمرك حتى ترى زيادة الله منه، كما رأيَتهَا به.

ما يختص منها بالملوك والسادة

الله يُبَلِّغُهُ أَفْضَلَ ما تقسمه السُّعُود، وتعلو به الجدود، حتى يستغرق مع إخوته مساعي الفضل، وَيُشِيدُوا قَوَاعِدَ الْفَخْرِ، وَيَزَحْمُوا صُدُورَ الْدَهْرِ، وَيَضْبُطُوا أَطْرَافَ الْأَرْضِ، والله يَحْرُسُهُ من نواظر الأيام أن تَرْتَوِيَ إِلَيْهِ، وَأَطْمَاعَ اللَّيَالِي أن تتوجَّهَ عَلَيْهِ، حتى يستقلَّ بِأَعْبَاءِ الْخِدْمَةِ، وينهض بِأَثْقَالِ الدَّوْلَةِ، وَيَخْفَ فِي الدَّفْعِ عَنِ الْبَيْضَةِ، وَيَتَسَرَّعَ إِلَى حِمَايَةِ الْحَوْزَةِ، والله يُدِيمُ لِمَوْلَانَا مِنَ الْعَمْرِ أَكْلَاهُ، وَمِنَ الْعِزِّ أَهْنَاهُ، لِيُطَبِّقَ الْعَالَمُ بِفَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، وَيُدَبِّرَ الْأَرْضَ بِالنُّجَبَاءِ مِنْ نَسْلِهِ.

ذكر المولود العلوي

غُصْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَجَرُهُ، حَقِيقٌ أَنْ يَحْلُو ثَمَرُهُ، وَفَرَعٌ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْإِمَامَةِ مُنْتَهَاهُ. خَلِيقٌ أَنْ يَحْمَدَ بَدْوُهُ وَعُقْبَاهُ. مَرْحَبًا بِالطَّالِعِ بِأَيْمَنِ الطَّالِعِ، وَمِنْ أَشْرَفِ الْمَنَاصِبِ وَالْمَنَاصِبِ. حَيْثُ الرِّسَالَةُ وَالْإِمَامَةُ، وَالْخِلَافَةُ وَالرِّعَايَةُ. أَبْقَاهُ اللهُ حَتَّى تَتَهَنَّأَ فِيهِ سَوَابِغُ الْمُنَنِ، وَيُعَدَّ حَسَنَةً فِي بَنِي الْحَسَنِ.

ذكر التوأمين

تيسرت مِنِحَتَانِ فِي مَوْطِنٍ، وَانْتَضَمَتِ مَوْهَبَتَانِ فِي قَرْنٍ. طَلَعَ فِي أُفُقِ الْمَلِكِ نَجْمًا سَعْدًا، وَشَهِابًا عِزًّا، وَكَوْكَبًا مَجْدًا، فَتَأَهَّلَتْ بِهِمَا رِبَاعُ الْمَحَاسَنِ، وَوُطِّئَتْ لَهُمَا أَكْنَافُ الْمَكَارِمِ، وَاسْتَشْرَفَتْ إِلَيْهِمَا صُدُورُ الْأَسْرَةِ وَالْمَنَابِرِ. عَرَّفَهُ

الله السَّعادة في طلوع بدرين انبعثا من نُوره، واستنارا في دُوره. بلغني خبر
الموهبة المشفوعة بمثلها، وآلِئِمْ المقرونة بَعَدْلِها، في الفارسين المقبلين
رضيحي العزَّ والرَّفة، وقريحي المجد والمنعة، فشملني من الاغبطاط ما يوجبه
ازدواج البُشري، واقتران عارِفَةٍ بأخرى.

في التهتة بالبنت

هنا الله سيدي وُرود الكريمة عليه، وثمر بها أعداد آلنسل الطيب لديه،
وجعلها مؤذنة بإخوة بَرَّة، يَعمرون أندية آلفضل، ويُعمرون بقية الدهر.
أتصل بي خبر المولودة كَرَم الله عُرتِها، وانبتها نباتاً حسناً، وما كان من تغيرك
عند أتصاح الخبر، وإنكارك ما اختاره ما اختاره لك سابقُ القَدَر، وقد علمت
أنهن أقربُ من أَلقُوب، وأن الله بدأ بهنَّ في الترتيب، فقال جلُّ من قائل:
﴿يَهَبْ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ وَهَّابٌ لِّمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، وما سَمَّاه الله هبةً فهو بالشُّكر
أولى، وبُحسَن التَّقبل أخرى. أهلاً وسهلاً بعقيلة النِّساء، وأمُّ الأبناء، وجالبة
الأصهار، والأولاد الأطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون.

فلو كان النِّساء كمثل هَذي لَفُضِّلَت النِّساء على الرجال
وما التَّأنيث لاسم الشَّمس عَيْبٌ ولا التَّذكير فخرٌ للهلال
والله يُعرفُك البركة في مطلعها، والسَّعادة بموقعها، فادَّرِع اغتباطاً، واستأنف
نشاطاً، والدُّنيا مؤنثة وآلِئِمْ يخدمونها، والنار مؤنثة والذكور يعبدونها،
والأرض مؤنثة ومنها خُلقت البرية، وفيها كُثِرَت الذُّرية، والسَّماء مؤنثة وقد
زُيِّنَت بالكواكب، وحُلِيت بالنجم الثاقب، والنَّفْسُ مؤنثة، وهي قِوَامُ الأبدان،
ومِلاك الحيوان. والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عُرف الأنام،
والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت،
وأوزعك الله شكر ما أُعطيت، وأطال بقاءك ما عُرف آلنسلُ والولد، وما بقي

الأبد، وكما عُمِّرَ لَبْد، إنه فعال لما يشاء وهو على كل شيء قدير.

ألفاظ التهئة بالاملاك وما يقترن بها من الأدعية

من أتصل بمولاي سببه، وشرف به منصبه. كان حقيقاً بالرغبة إلى الله في توفيره وتكثيره، وزيادته وتثمينه، لتزكو منابت الفضل، وتنمي مغارس الفخر، وتطيب معادن المجد. بارك الله مولاي في الأمر الذي عقده وأحمده إياه وأسعده، وجعله موصولاً بنماء العدد، وزكاء الولد، وأتصال الحبل، وتكثير النسل، والله يخير له في الوصلة الكريمة، ويقرنها بالمنة الجسيمة. قد عظم الله بهجتي، وضاعف غبطتي، بما أتاحه من سرورٍ ممهد، بجمع شملٍ مُجدد. فلا زالت النعم به محفوفة، والمسار إليه مزفوفة. جعل الله هذه الوصلة وكيدة العقدة، طويلة المدة. سابغة البركة والفضل، طيبة الذرية والنسل. وصل الله هذا الاتصال السعيد، والعقد الحميد. بأكمل المواهب، وأحمد العواقب، وجعل شمل مسرتك به مُلتئماً، وسبب أنسك مُنتظماً. عرفك الله تعجيل البركات، وتوالي الخيرات، ولا أخلاك في هذه الوصلة من التهاني بنجباء الأولاد، وكبت بكثرة عددك جميع الحساد. هنا الله مولاي الوصلة لتتصل بكثرة العدد، ووفور الولد، وأنبساط ألباع واليد، وعلو القدر والجَد.

ألفاظ التهئة بالولايات

عرّفت خير البلد الذي أحسن الله إلى اهله، وعطف عليهم بفضله، إذ أضيف إلى ما يلاحظه مولاي بعين إبالته، وينفي خلله بفضل أصالته. من سر في الولاية يلبس مولاي ظلالها، ويسحب أذيالها، بنعم مُستفادة، ورُتب مُزدادة، فسُروري بما يكتسبه من كل عمل يُدبره، وأمرٍ يقدره، من أحدىثة جميلة، ومثوبة جزيلة، ويؤثره من إحياء عدل، وإماتة ظلم، وعمارة لسبل

الخيرات، وإيضاح لطرق المبرات. التهئة بالأعمال وأن كُبر عنها موقعه، وكان بحمد الله يرفعها ولا ترفعه، فالرسوم تحفظ تحدثاً يولي الله مسوغاً، ويؤتي مسبغاً. سيدي يوفي على الرتب التي يهنأ ببلوغها، ويزيد على المنازل التي يدعى له بحلولها. فهنيئاً تجمُلها بولايتها، وتحليها بكفايتها. الأعمال، وإن بلغت أقصى الآمال، فكفايةً مولاي تتجاوزها، والرتب وإن جلّت قدرا، وكُبرت ذكرا، فصناعته تسبقها وتشأها، غير أن للتهاني رسماً لا بُد من إقامته، وشرطاً لا سبيل إلى نقض عادته. الأعمال، وإن بلغت الآمال، فكفاية سيدي توفي عليها إيفاء الشمس على النجوم، وترتفع عنها ارتفاع السماء عن التخوم. سيدي أرفع قدرا، وأنبه ذكرا، من أن نهته بولاية وإن جلّ أمرها، وعظّم قدرها، لأن الواجب تهنة الأعمال بفائض عدله والرعية بمحمود فعله، والآقاليم بآثار سياسته، والولايات بسمات رئاسته.

ما يختص منها بالوزراء

أنا أهني الوزير بالنعمة التي عمّت أهل الأرض، وخصّت بني الفضل، وإن كان فوق كل ولاية تُوكل إليه، وراية تخفق عليه. أهني سيدنا بالحال التي جدّدها الله له كما يهنأ ناشد الضالة إذا وجدها، لا كما يهنأ طالب الغنيمة إذا ظفر بها. قد أعطيت قوس الوزارة منه باريها، وأضيفت إلى كفوها وكافيتها، وفُسخ بها شرط الدنيا الفاسد في إهداء جظوظها إلى اوغادها، ونُقِض بها حكمها الجائر في العدول بها عن نُجباء أولادها. قديماً أَلقت إليه الوزارة بالمقاليد، ونصّت عليه بالتقليد، وتجملت منه تجمل من سواه بها، وسمت إليه سمو غيره إليها. الدنيا أيد الله الوزير مُهنأةً بانحيازها إلى رأيه وتنفيذه، والممالك مغبوبةً باتصالها إلى أمره وتدبيره. قد كانت الدنيا متطلعة لرئاسته، مُستشفةً لوزارته، إلى أن سَعِدَت بما كانت الآمال عنه مخبرة،

وحظيت بما كانت الظنون به مبشرة. وانحيازها إلى جنته واضحة الفجر،
وتوشُّحها من كفايته بغرة سائرة إلى وجه الدَّهر. الحمدُ لله الَّذي أقر عين
الفضل، ووطأ مهاده المجد، وترك الحُساد يتعثرون في ذبول الخيبة،
ويَتساقطون في فضول الحسرة، وأراني الوزارة، وقد استكمل الشيخ خلالها،
ووفاهها جمالها

فلم تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

ما يختص منها بالقضاة

القاضي عَلمُ العلم شرقاً وغرباً، ونجم الفضل غوراً ونجداً، وشمسُ
الأدب بَرّاً وبحراً، فسبيل الأعمال أن تهناً إذا رُدَّت إلى نظره الميمون،
وعُصِبَتْ برأيه أَلَمَامُونَ. أسعد الله القاضي بما جدد له من رأي مولانا
وآرتضائه، وأَعتماده لأجل أمور الشريعة وآتضائه، وأسعد المسلمين والدين
بما أصاره إليه، وجعل زمامه بيديه.

الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات

عرَّفَ الله سيدي من سعادة عمله، أفضل ما ترَقَّاه بأمله، ولَقَّاه من مناجح
أمره أبلغ ما أنتحاه بفكره. خار الله له فيما تولَّاه وتطوَّقه، وبلغه في كلِّ حال
أمله وحققه. عرَّفه الله من يُؤمن ما باشره تدبيره الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ، والبركاتِ الْحَاضِرَةِ
وَالْمُنْتَظَرَةِ، وجعل المنائج إليه أرسالا، لا تَمَلُّ تَوَالِيًا وَاتِّصَالًا. أسعده الله أفضل
سعادةٍ قُسمت لوالي عمل، وأحضر بركةً أسهمت لمُسامي أمل. أحضر الله السداد
عزمه، وألزم الرِّشَادَ همه، وكَنَفَهُ بِالْعَصْمَةِ وأَيْلَهُ، وقرن به التوفيق ولا أفرده. هَنَاءُ
الله الموهبة التي ساقها إليه، ومدَّ رُواقها عليه إذ كانت من عقائل الموهب، مُسفرة
عن خصائص المراتب، وحلَّت منه محل الإستيجاب، لا الإيجاب،
والإستحقاق، دون الإتفاق. هَنَاءُ الله نعمة الفضل التي الولاية أصغر آلاتها

والرياسة بعض صفاتها.

ذكر الخلع والأحذية ووصفها

أهنيء سيدي بمزيد الرفعة، وجديد الخلعة، التي تخلع قلوب المنازعين،
واللواء الذي يلوي أيدي المنابذين، والحُمْلان الذي لو امتطاه إلى الأفلاك
لحازها، أو سامى به الجوزاء لجازها. بلغني خبر ما تطوّعت به سماء المجد،
وجادت به أنواء الملك، فتضمن من الخلع اسناها، ومن السيوف أمضاها،
ومن الأفراس أجراها، ومن المراكب أبهاها، ومن الإقطاعات أنماها. لبس
خلعته متجللاً منها ملابس العزّ، وامتطى فرسه فارعاً ذروة المجد، وتقلد
سيفه حاصداً بحده طلى أعدائه، وغامطي نعمائه، واعتنق طوقه متطوقاً عزّ
الأبد، واعتصم بالسوارين المؤذنين بقوة الساعد والعضد، وساس أولياءه
ولوأوه عليه خافق، ولسان النصر والظفر ناطق. قد لبس عبده خلعته، التي
تعمد بها رفعتة، وامتطى حُمْلانه، الذي واصل به إحسانه، وتنطق بحسامه،
الذي ظاهر أثواب انعامه، وتختم بخاتميته، اللذين بسطا من يديه، ووقع من
دَوَاتِه، التي أعلا بها من درجاته، وتمهد له آلدست المحمول إليه. فدرّت
سماء الشرف عليه. الخلعة التي تتراءى صفحات العزّ على أعطافها، وتمتري
مرايا المجد من أطرافها، والحُمْلان الذي تتناول قاصية المُنَى من ناصيته،
والمركب الذي تستجدي حُلِيّ الثريا بحليته، وآلسيف والمنطقة الناطقان عن
نهاية الإكرام، الناظران قلائد الإنعام. خلع تخلع قلوب الأعداء عن
مقارها، وتغمر نفوس الأولياء بمسارها، وسيف كالقضاء مضاءً وحدًا،
وكلاقدار غراراً وحدًا، ولواء تخفق قلوب المنازعين إذا خفق، وحُمْلان يصرم
منكب الدهر إذا انطلق.

في التهئة بالقدوم

أهنيء نفسي وسيدي لما يسره الله من قدومه سالمًا، وأشكر الله على ذلك

شكراً دائماً. قد أعفيت ظهور ركباه، وآبت البركة بإياه. جعل الله قدومك مقروناً بالخيرة الثائمة العامة، والكفاية الشاملة الكاملة. غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك، فوصل الله قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة. هناك الله إياك وبلغك محابك، ما زلت أيام غيبتك - لا أوحش الله ربك منك - بذكرك مُستأنساً، وللشوق إليك مجالساً، إلى أن من الله من أوبتك بما عَظُمْتَ عليّ به النعمة، وجَلَّتْ لدي معه المنحة. ما زلت معك بالنية مُسافراً، وباتصال الفكر وبالذكر مُلاقياً، إلى أن جمع الله شَمْلَ سُروري بوبتك، وسكّن نافر قلبي بعودتك، فأسعدك الله بمقدمك سعادة تكون بها للإقبال مُقابلاً، وبالأمانى ظافراً، ولا أوحش منك أوطان الفضل، ورباع المجد، بمنه.

ألفاظ في التهئة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك والمشاعر

وما يتصل بهما من الأدعية

قَصَدَ البيت العتيق، والمقام الكريم، والمطاف الشريف والملتزم النبيه، والمستلم النزيه، ووقف بالمُعَرَّف العظيم، وورد زمزم والْحَطِيم. حَرَّمَ الله الذي أوسع كرامة، وجعله للناس مثابة، وللخليل خطة، وللذبيح جِلَّة، ولمحمد ﷺ قِبلة، ولأُمته الهاذية كعبة، ودعا إليها حتى لبي من كلِّ طَرَفٍ سحيق، وتسرع نحوه من كلِّ فجٍّ عميق. يعود عنه من وُفِق وقد قُبِلت توبته، وغفرت حَوْبته، وسعدت سفرته، وأنجحت أوبته، وحُمد سَعْيُهُ، وزكا حجه، وتُقْبَل عَجْه وثَجْه. انصرف مولاي عن الحج الذي انتضى له عزائمه، وأنضى فيه رواجله، وأتعب نفسه بطلب راحتها، وأنفق ذخائره، يشتري سعة الجنة وساحتها، قد زُكِيت إن شاء الله أفعاله، وتُقْبَلت أعماله، وشُكر سَعْيُهُ، وبلغ

هَدِيهِ . قَدْ أَسْقَطْتَ عَنْ ظَهْرِكَ الثَّقْلَ الْعَظِيمَ ، وَشَهِدْتَ الْمَوْقِفَ الْكَرِيمَ ،
وَمَحَضْتَ مِنْ نَفْسِكَ بِالسَّعْيِ مِنَ الْفَجِّ الْعَمِيقِ ، إِلَى آلِيَتِ الْعَتِيقِ . حَمْدًا لِمَنْ
سَهَّلَ لَكَ قَضَاءَ فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَالْمَشْعَرِ وَالْمَقَامِ وَبَرَكَةَ أَدْعِيَةِ الْمَوْسَمِ ، وَسَعَادَةَ
أَفْنِيَةِ الْحَظِيمِ وَزَمَزَمَ . قَصْدَ أَكْرَمِ الْمَقَاصِدِ ، وَشَهِدَ أَشْرَفَ الْمَشَاهِدِ . فَوَرَدَ
مِشَارِعَ الْجَنَّةِ ، وَخِيَمَ بِمَنَازِلِ الرَّحْمَةِ . قَدْ خُصَّنِي مُوَاهِبُ اللَّهِ لَدَيْكَ فِي الْحَجِّ
أَدَيْتَ فَرَضَهُ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ وَطْئَ أَرْضِهِ ، وَالْمَقَامَ الْكَرِيمَ قُتِمَتْهُ ، وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ
اسْتَلَمْتَهُ ، وَزَرْتَ قَبْرَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَافَهُاً لِمَشْهَدِهِ ، وَمَبَاشِرًا لِمَسْجِدِهِ ،
وَمَشَاهِدًا لِمَبْدِئِهِ وَمَحْضَرِهِ ، وَمَاشِيًا بَيْنَ قَبْرِهِ وَمِنْبَرِهِ ، وَمُصَلِيًا عَلَيْهِ حَيْثُ صَلَّى ،
وَمُتَّقِرِبًا إِلَيْهِ بِالْقُرَابَةِ الْعُظْمَى ، وَعُدَّتْ وَثَوَابُكَ مَسْطُورٌ ، وَذَنْبُكَ مَغْفُورٌ ،
وَتَجَارَتُكَ رَابِحَةٌ ، وَالْبَرَكَاتُ إِلَيْكَ غَادِيَةٌ رَائِحَةٌ . تَلَقَّى اللَّهُ دَعَاءَكَ بِالْإِجَابَةِ ،
وَأَسْتَغْفَارَكَ بِالرِّضَا ، وَأَمْلَكَ بِالنَّجْحِ ، وَجَعَلَ سَعْيَكَ مَشْكُورًا ، وَحَجَّكَ مَبْرُورًا .
عَرَّفَ اللَّهُ مَوْلَايَ مِنْ مَنَاجِحِ مَا نَوَاهُ وَأَتَاهُ ، وَقَصْدِهِ وَتَوَخَّاهُ ، مَا يُسَعِدُهُ فِي دُنْيَاهُ ،
وَيُحْمَدُ عُقْبَاهُ .

فِي أَلْفَاظِ التَّهْنِئَةِ بِالْإِطْلَاقِ مِنَ الْحَسَنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدُ الْإِخْلَاصِ ، عَلَى حُسْنِ الْخِلَاصِ . قَدْ فَكَّ مِنْ حَلْقِ الْإِسَارِ
وَأَنْقَذَ مِنْ حَدِّ الشِّفَارِ ، وَأَقْضَى مِنْ ذَلَّةِ رِقِّ ، إِلَى عِزَّةِ عِتْقٍ . مِنْ تَصْلِيَةِ جَحِيمٍ ،
إِلَى جَنَّةِ نَعِيمٍ . خَرَجَ مِنَ الْعِقَالِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الصِّقَالِ ، خَرَجَ مِنْ
إِسَارِهِ ، خَرُوجَ الْبَدْرِ مِنْ سَرَارِهِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَكَّ أَسْرًا ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِ
عُسْرِ يُسْرًا . خَرَجَ قَمَرُ الْفَضْلِ مِنْ سَرَارِهِ ، وَأَنَارَ فِي فَلَكِ مَدَارِهِ ، خَرَجَ مِنْ
الْبَلَاءِ ، خَرُوجَ السِّيفِ مِنَ الْجَلَاءِ . أُرْخِيَ عَنْهُ ضَيْقَ الْخِنَاقِ ، وَأُطْلِقَ مِنْ أَسْرِ
الْوَثَاقِ . قَدْ جَعَلَ لَهُ مِنْ مَضَائِقِ الْأَمْرِ مَخْرَجًا نَجِيحًا ، وَفِي مَغَالِقِ الْأَحْوَالِ
مَسْرَحًا فَسِيحًا .

التهنئة باقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية

ساق الله إليك سعادة إلهاله، وعرفك بركة كماله. أسهم الله لك في فضله، ووفّقك لفرضه ونفّله. لَقَّاكَ الله فيه ما ترجوه، ورَفَّاكَ إلى ما تحب فيما يتلوه. جعل الله ما أظلك من هذا الصَّوم مقروناً بأفضل القبول. مُؤَذِّناً بِدَرْكِ الْبُغْيَةِ ونُجَحِ المأمول، ولا أخلاك من يرِّ مرفوع، ودُعَاءِ مسموع. قابل الله بالقبول صيامك، وبِعَظِيمِ المَثُوبَةِ تهجّدك وقيامك. عرفك الله من بركاته ما يُربي على عدد الصائمين والقاتمين، ووفّقك لتحصيل أجر المتهجّدين المجتهدين. أسأل الله أن يُضاعف يُمْنَهُ لك، ويجعله وسيلةً مقبولةً إلى مرضاته عنك. أعاد الله إلى مولاي أمثاله، وتقبّل فيه أعماله، وأصلح في الدين والدُّنيا أحواله، وبلغه منها آماله. أسعده الله بهذا الشهر، ووفّاه فيه أجزل المَثُوبَةِ والأجر، ووفّر حظّه من كل ما يرتفع من دُعَاءِ الدّاعين، وينزل من ثواب العاملين، وتقبّل مساعيه وزكاها، ورفع درجاته وأعلاها، وبلغه من الآمال مُنتهاها، وأظفّره بأبعدها وأقصاها.

الأدعية في التهنئة بالعيد

عاودتك السعود، ما عاد عيد وأخضر عود. عاد السرور إليك في هذا العيد، وجعله الله مُبَشِّراً بِالْجَدِّ السعيد، والخير العتيد، والعمر المديد، جعلك الله من كل ما دُعي ويدعى به في الأعياد، آخذاً بأكمل الحظوظ والأعداد، أفطر وأكباد أعدائك تنفطر، والدُّنيا بعينيك تنظر وبالسعود تُبشّر. أسعد الله سيدي بهذا العيد سعادةً توفّر من الخير أقسامه، وتَقْصُرَ على النُعمى أيامه، وتحقّق آماله، وتزكي أعماله. جعل الله أيامه توارىخ وأعيادا، وجعل له السّعادات آماداً وأمدادا.

ما يختص منها بالاضحى

يا أكرم من أمسى وأضحى، سعدت بطلعة الأضحى. عرفك الله فيه من

السَّعَادَاتِ مَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ وَاعْتَمَرٍ، وَسَعَى وَنَحَرَ، وَمَا يُرَبِّي عَلَى عِدَدٍ مِنْ حِجٍّ، وَعَجَّ وَثَجَّ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِهَذَا الْعِيدِ سَعَادَةً تَجْمَعُ بِهِ حِظُوظُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمُصَالِحُ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَجَعَلَ أَعَادِيهِ كَأَصْحَابِهِ، وَأَوْلِيَاءَهُ الْمُسْرُورِينَ الْمُحِبُّورِينَ فِيهِ، وَقَضَى لَهُ بِكَفَايَةِ الْمَهْمِ، وَالْحَيَاظَةِ مِنَ السُّوءِ الْمُلَمِّ.

التهنئة بالنيروز وفصل الربيع

هَذَا الْيَوْمُ مِنَ الْأَيَّامِ، كَسِيدْنَا فِي الْأَنَامِ. هَذَا الْيَوْمُ غُرَّةٌ فِي وَجْهِ الدَّهْرِ، وَتَاجٌ عَلَى مَفْرَقِ الْعَصْرِ. أَسْعَدَ اللَّهُ مَوْلَايَ بِنِيروزِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ، وَأَعَادَهُ كَيْفَ شَاءَ مَا شَاءَ إِلَيْهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِالْنِيروزِ الطَّالِعِ عَلَيْهِ بِبَرَكَاتِهِ، وَأَيْمَنَ طَائِرُهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ وَمُتَصَرِّفَاتِهِ، وَلَا زَالٍ يَلْبَسُ الْأَيَّامُ فُيْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ، وَيَقْطَعُ مَسَافَةً سَعْدَهَا وَنَحْسَهَا وَهُوَ سَعِيدٌ. أَقْبَلَ النَّيروزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِراً حُلَّهُ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ شَيْمَتِهِ، وَمُبْدِئاً حُلِيهِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ، وَمُسْتَصْحَباً مِنْ أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ عَنْ مُحَاسِنِ أَيَّامِهِ، وَمِنْ أَمْطَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ عَنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَمُؤَكِّدَ الْوَعْدِ بِطَوْلِ بَقَائِهِ حَتَّى يُمَلِّى الْعُمُرَ، وَيَسْتَغْفِرَ الدَّهْرَ. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي لَا يَذُبُّ شَجَرَةً، وَلَا يَنْقُطِعُ ثَمَرَةً، وَلَا يُقْلَعُ غِمَامُهُ، وَلَا تُبْتَذَلُ أَيَّامُهُ، فَأَسْعَدَهُ اللَّهُ بِهَذَا الرَّبِيعِ الْمُتَشَبِّهِ بِأَخْلَاقِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْلِ قَدْرَهَا وَلَمْ يُحْصَلْ فَضْلُهَا، وَلَمْ يَجِدْ بَدْءاً مِنَ الْإِقْرَارِ لَهَا. سَيِّدُنَا الرَّبِيعُ الَّذِي يَتَّصِلُ مَطَرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُؤْمَنُ ضَرَرُهُ، وَيَدُومُ زَهْرُهُ، مِنْ حَيْثُ يُتَعَجَّلُ ثَمَرُهُ. فَلَا زَالٍ أَمراً نَاهِياً، سَامِياً عَالِياً، تَتَهَنَّأُ الْأَعْيَادُ بِمُصَادَفَةِ سُلْطَانِهِ، وَتَسْتَفِيدُ الْمُحَاسِنُ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ. أَسْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَنَا بِهَذَا النِّيروزِ الْحَاضِرِ، وَالْيَوْمِ الْجَدِيدِ النَّاضِرِ. سَعَادَةً تَسْتَمِرُّ لَهُ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِ عَلَى الْعُمُومِ دُونَ الْخُصُوصِ، لِتَكُونَ مُشْتَبِهَاتٍ فِي اكْتِنَافِ الْمَوَاهِبِ لَهَا، وَاتِّصَالِ الْمَسَارِّ فِيهَا، لَا تَفْرُقُ إِلَّا بِمُقْدَارٍ يَزِيدُ الْآتِلِي، عَلَى الْخَالِي، وَتَدْرُجُ الْآتِي، إِلَى الْمَاضِي.

التهنئة بالمهرجان

عرّف الله سيدنا بركة هذا المهرجان، وأسعده فيه وفي كلّ أوّانٍ وزمان وأبقاه ما شاء في ظلّ الأمان والأمان. هذا اليوم من محاسن الدُّهور المشهورة، وفضائل الأزمنة المذكورة، فلقى الله سيدنا بوروده، وأجزل حظّه من أقسام سعوده. هذا اليوم من غُرره الدُّهور، ومواسم السُرور، مُعظّم في الأصل الفارسي، مستطرف بالملك العربي. فوفّر الله فيه على مولاي السَّعادات، وعرفه في سائر أيامه البركات، على الساعات واللحظات.

اقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر بمثل هذا اليوم الجديد، والأوان السعيد، سنّة على مثلي فيها أن يُهدي ويُلاطف، وعلى مثل سيدنا ولا مثل له أن يقبل ويُشرف. لليوم رَسْمٌ إن أُخل به الأولياء عُدَّ هَفوة، وإن منع منه الرُّوساء حُسب جفوة، ومولاي يُسوغني الدّالة فيما اقترن بالرقعة، ويكسبني بذلك أتمّ التّشرف والرفعة، الهدايا تكون من الرُّوساء مُكاثرة بالفضل، ومن النظراء مُقارضة بالمثل، ومن الأولياء ملاطفة. بالقل، وقد سلكت مع مولاي في إقامة رسم هذا اليوم سبيل أهل طبقتي من الأتباع، مع أهل طبقته من الأرباب. قد حملت إلى مولاي هديّة الملاطف، لا هدية المحتفل، والنفس له والمال منه. العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالى في هداياها، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً محسوباً في عطاياها. أنا في المودة لمولاي كنفسه، وفي الطاعة كَيّده، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما الطفه من فضله، وقد بعثت بما يستخدمه في سفره.

اهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والآداب والعلوم

حضرة مولاي تجل أن يُهدي إليها غير الكتب التي لا يترقّع عنها كبير، ولا يمتنع منها خطير. قد أفكرت فيما أتقرب به مقيماً الرّسم في جملة الخدم،

حافظاً الاسم في غمار الحشم . فلم أجد إلا الرق الذي سبق ملكه له ،
والمال الذي منحه وخوّله ، فعدلت إلى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا
ولا تكسّد ، وتهبّ ريحه في جنبه ولا تركد ، وأنفذت كتاب كذا راجياً أن
أشرف بقبوله ، ويوقّع إلي بحصوله . لما حظر على ذوي الاختصاص سيدنا
إهداء ما جرت العادة بتسامي الأولياء إلى الاحتشاد في إهدائه ، وجب العدول
في إقامة رسم الخدمة إلى اتباع ما صدر عنه من الرخصة في ما تسهل كُلفتُهُ ،
وتعجلُ عند ذوي الاخطار قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علم يُقتنى ، وأدبُ
يجتنى .

آخر كتاب التّهاني والتّهادي وما ينخرط في سلكهما ، والله الحمد
وبه الحول والقوّة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التعازي وما يليق بها

وصف الخبر الهائل المزعج

خبرٌ عزَّ عليَّ مَسْمَعُهُ، وأثّر في القلب مَوْقِعُهُ. خبرٌ تستكُّ له المسامعُ، وترتجُّ له الأضالعُ. خبرٌ تسقط منه الحبالُ، وتصحو له السُّكارى. خبرٌ ما تلتقي شفتاي بذكره، ولا يثبت بالي بخطرهِ. خبرٌ يَهْدُ الرواسي، ويفلق الحجر القاسي. خبرٌ كادت له القلوب تطير، وألعقول تطيش، والنُّفوس تطيح. خبرٌ يخفض الناظر ويُقْذِيهِ، ويقبض الأمل ويقدح فيه. خبرٌ أخرج الصَّدْرَ، وأحلَّ البُكَاءَ وحرَّم الصبر، وأطار واقع السكون، وأثار كامن الوجوم، وثقلت وطأته على أجزاء النفس، وتأذت معرّته إلى سوء القلب. خبرٌ يُشيب الوليد، ويذيب الحديد.

الكناية عن موت الرؤساء والأعزة

انقضت أيامه، استأثر الله به. انتقل إلى جوار ربّه. انقلب إلى كرامة الله وعفوه. خانته عمره. لم تَسْمَحِ النّوائب بالتّجافي عن مُهجته. أجاب داعي ربّه. نفذ قضاء الله فيه. لحق بالسبيل التي لا احتزار منها، ولا مجاز عنها. قبضه الله إليه. أسعده الله بجواره. دعاه الله فأجاب دُعاه، ولبّى نداءه. نقله الله إلى دار رضوانه، ومحلّ غفرانه. ناداه الله فلّياه وفارق دُنياه. قضت عليه

المشيئة، فارتجعت تفي العطية، وخانتة الأمانة، واستأثرت به المنية. كتبت له سعادة المحتضر، وأنتهى به الأمر إلى الأجل المنتظر. علةً ترامت به إلى أنقضاء نَحْبِهِ، ولقاء ربه. طَرَفَهُ طَارِقُ الْمَقْدَارِ، واختار الله له النقلة من دار البوار إلى دار القرار. تداولته أَلْعَلُّ الْمَتَطَاوِلَةِ، وآلت به إلى ما كل نفسٍ إليه آيله. أفضى من غصارة هذه الدنيا، إلى قرارة داره بآخرة.

ذكر النعي بالفقد

قد كان من الحق أنه تنقبض الألسن عن هذا النعي لفادح وتخرس، وتقصّر الأيدي عن التّعزية بهذا الرّزء أَلْفَادِحٍ وتيبس، يا سوء صباحٍ أتى فيه الخبر فرأينا الرّجاء قد أنقطع، وأصم به النّاعي وقد أسمع. نعيّ ورد فأكد وفجع. ناعي أَلْفَضَائِلَ قائم، وأنف المحاسن راغم. نعيّ من لا أسمىه إكباراً، ولا أكنيه إعظاماً. فحقيق هو بأن تخرس نعاةً ففقدته، وتحرم رسوم التعازي من بعده.

نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم

أتى الناعي بأنهداد الطّود المنيع، وزوال الجبل الرّفيع. قد نَعَتَهُ السَّمَاءُ صائحة، والأرض نائحة. كتبت والأرض راجفة، وآلشّمس كاسفة، للرّزء العظيم، والمصاب الجسيم، في فَلَكِ الْمُلْكِ، ورُكْنِ الْمَجْدِ، وقريع الشّرق والغرب. ماعسى أن يقال في أَلْفَلَكِ الْأَعْلَى إذا أنهار من جوانبه، وتهافت من مناكبه. أتى الناعي، ونُذِبَتِ الْمَسَاعِي، وقامت بواكي المجد، وكُسِفَتِ شمس الفضل، وعاد النّهار أسود، وآلعيش أنكد. غرب بموته نجم الفضل، وكسدت سوق الأدب، وقامت نَوَادِبُ السّماحة، ووقف فَلَكُ الْكَرَمِ، وَلَطَمَتِ عَلَيْهِ الْمَحَاسِنُ خُدُودَهَا، وشقّت عليه المناقب جيوبها. قد كانت الرّزية بحيث مارت السّماء مَوراً، وسارت الجبال سَيراً، حتى شوهدت الكواكب

ظُهِرَا، ثُمَّ تَهَاوَنَتِ شَفَعَاوَتَرَا. قَبَضَهُ اللهُ فَأَرْتَاعَتِ الْأَمَّةَ، وَأَنْبَسَطَتِ الظُّلْمَةُ،
وَوَقَفَتِ الرَّحْمَةُ وَأَضْطَرَبَتِ الْمَلَّةُ، وَقَامَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ مِنْ
الْقِيَامَةِ عَلَى وَعْدٍ. إِنَّ الْمُصَابَ بِهِ فَتَّ الْأَعْضَادَ، وَفَتَّتِ الْأَكْبَادَ. إِنَّ الْمَجْدَ
بَعْدَهُ لَجَارِي أَلْدَمَعٍ، وَإِنَّ الْفَضْلَ لَمَزْعَجِ النَّفْسِ، وَإِنَّ الْكَرَّمَ لَحَرِجِ الصَّدْرِ،
وَإِنَّ الْمَلِكَ لَوَاهِي الظَّهِرِ. كِتَابِي وَأَنَا مِنَ الْحَيَاةِ مُتَذَمِّمٌ، وَبِالْعَيْشِ مُتَبَرِّمٌ. بَعْدَ
مَا هَوَى السُّطُودَ الشَّامِخَ، وَزَالَ الْجَبَلَ الْبَاذِخَ، وَنَطَقَتِ نَوَادِبُ الْمَجْدِ، وَأُقِيمَتِ
مَاتَمُ الْفَضْلِ. نَعِي فَلَانٌ فَتَنَكَرَ وَجْهَ الدَّهْرِ، وَقُبِضَتْ مُهْجَةُ الْعَزِّ وَالْفَخْرِ. فَلَا
قَلْبَ إِلَّا قَدْ تَبَيَّنَ صَدْعُهُ، وَلَا عَيْنَ إِلَّا وَهِيَ تَرْشَحُ بِالدَّمِ.

مَا يَخْتَصُّ مِنْ ذَلِكَ بِأَبْنَاءِ النُّبُوَّةِ

قَدْ نَعِي سَلِيلٌ مِنْ سُلَالَةِ النُّبُوَّةِ، وَفَرَعٌ مِنْ شَجَرَةِ الرِّسَالَةِ، وَعُضْوٌ مِنْ
أَعْضَاءِ الرُّسُولِ، وَجُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْوَصِيِّ وَابْتَوَلِ، كَتَبْتُ وَلِيْتَنِي مَا كَتَبْتُ فَإِنِّي
نَاعِي الْفَضْلَ مِنْ أَقْطَارِهِ، وَدَاعِي الْمَجْدَ إِلَى شِقِّ ثَوْبِهِ وَصَدَارِهِ، وَمَخْبِرٌ بِأَنْ
شَمَسَ الشَّرْفُ كَاسْفَةً، وَأَرْضُ الْكَرَمِ رَاجِفَةً، وَالْمَآثِرُ مَوْدَعَةً، وَبَقَايَا النُّبُوَّةِ
مُرْتَفَعَةً، وَأَمَالُ الْإِمَامَةِ مُنْقَطَعَةً، وَالْدِّينُ مُنْخَزَلٌ وَاجِمٌ، وَلِلتَّقْوَى دِمْعَانٌ هَامٍ
وَسَاجِمٌ. كِتَابِي وَقَدْ شَلَّتْ يَمِينُ الدَّهْرِ، وَفُقِّتْ عَيْنُ الْمَجْدِ، وَقُصِرَ بَاعُ
الْفَضْلِ، وَكَسَفَتْ شَمْسُ الْمَسَاعِي، وَخَسَفَتْ قَمَرُ الْمَعَالِي، وَتَجَدَّدَ فِي بَيْتِ
الرِّسَالَةِ رُزْءُ جَدِّ الْمَصَائِبِ، وَاسْتَعَادَ النُّوَابِثُ، كُلُّ هَذَا لَفَقْدٍ مِنْ حِطِّ الْكَرَمِ
بِرَبْعِهِ ثُمَّ أُدْرِجُ فِي بُرْدِهِ، وَأَمْتَرُجُ الْمَجْدَ فُذْفُنَ بَدْفَنِهِ. إِنَّهَا الْمَصِيبَةُ عَمَّتْ بَيْتَ
الرِّسَالَةِ، وَغَضَّتْ طَرْفَ الْإِمَامَةِ، وَتَحَيَّفَتْ جَانِبَ الْوَحْيِ الْمَنْزِلِ، وَأَذْكَرَتْ
بِمَوْتِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ. كَتَبْتُ تَنَعِي مُهْجَتَهُ وَالْمَجْدَ يَنْدُبُ بِهَيْجَتِهِ، وَمَهَابِطُ
الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ تَحْنِي ظُهُورَهَا أَسْفَاً، وَمَعَادُنُ الْوَصِيَّةِ وَالْإِمَامَةِ تَذْرِ دُمُوعَهَا لَهْفَاً،
وَذَاكَ لِأَنَّ حَادِثَ قَضَاءِ اللهِ آسَتْ أَثَرُ بَفْرِعِ النُّبُوَّةِ، وَعُنْصُرُ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ.

ذكر البكاء

كُتِبَتْ وَأَلْأَحْشَاءُ مُحْتَرَقَةٌ، وَالْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غَرَقَةٌ. الدَّمْعُ وَاكْفٌ، وَالْحُزْنُ عَاكِفٌ. مُصَابٌ أَطْلَقَ أَسْرَابَ الدُّمُوعِ وَفَرَقَهَا، وَأَقْلَقَ أَعْشَارَ الْقُلُوبِ وَأَحْرَقَهَا. مُصَابٌ فَضَّ عُقُودَ الدُّمُوعِ، وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضَّلُوعِ. مُصَابٌ أَذَابَ الدُّمُوعَ الْجَامِدَةَ، وَأَلْهَبَ أَلْهَمُومَ الْخَامِدَةِ. تَحَلَّيْتُ سَحَابَاتِ الدُّمُوعِ الْغِزَارِ، وَأَنْسَدْتُ مَسَالِكَ السَّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ. كُتِبْتُ عَنْ عَيْنٍ تَدْمَعُ، وَقَلْبٍ يَجْزَعُ. وَنَفْسٍ تَهْلَعُ. قَدْ أَذَلَّتْ حِصُونُ الْبَرَّةِ، وَحَجَبَتْ وَافِدُ الْحَبْرَةِ. قَدْ مَدَّ أَلْهَمٌ إِلَى جِسْمِي يَدَ السُّقْمِ، وَجَرَّ الدَّمْعُ عَلَى خَدَيَّ ذُبُولَ الدَّمِّ. لَوْلَا أَنَّ الْعَيْنَ بِالدَّمْعِ وَالْدَّمَ انْطَقَ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَقَلَمٍ، لَأَخْبَرْتَ عَنْ بَعْضِ مَا أَوْهَنَ ظَهْرِي، وَأَوْهَى أَرْزِي.

ذكر الاستراحة بالبكاء والجزع

إِنْ أَلْفَجِيعَةٌ إِذَا لَمْ تَحَارِبْ بِجَيْشٍ مِنَ الْبُكَاءِ، وَلَمْ يُخَفَّفْ مِنْ أَثْقَالِهَا بِالنَّشِيجِ وَالْإِسْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا، وَزَادَتْ أَعْيَاوُهَا، وَعَزَّ وَأَعُوزَ دَوَاوُهَا. قَدْ شَفِيتُ غَلِيلِي بِمَا أَسْتَدْرَرْتَهُ مِنْ أَسْرَابِ الدُّمُوعِ الْمُتَحِيرَةِ، وَخَفَّفْتُ عَنِّي بَعْضَ الْبُرْجَاءِ بِمَا أَمْتَرَيْتَهُ مِنْ أَخْلَافِهَا الْمُتَحَدِّرَةِ. إِنْ فِي إِسْبَالِ الْعَبْرَةِ، وَإِطْلَاقِ الزُّفْرَةِ، وَالْأَجْهَاشِ بِالْبُكَاءِ وَالنَّشِيجِ، وَإِعْلَانِ الصِّيَاحِ وَالضُّجُجِ تَنْفِيساً مِنْ بُرْحَاءِ الْقُلُوبِ، وَتَخْفِيفاً مِنْ أَثْقَالِ الْكُرُوبِ.

وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها

أَتَى أَلْدَهْرُ بِمَا هَدَّ الْأَصْلَابُ، وَأَطَارَ الْأَلْبَابُ مِنَ النَّازِلَةِ الْهَائِلَةِ، وَالْفَجِيعَةِ الْفَظِيعَةِ. يَا لَهَا مِنْ حَادِثَةٍ كَارِثَةٍ حَسَّنَتْ لِي الْغُلُوفَ فِي الْإِعْتِمَامِ، وَأَذَكَّرَتْنِي بِفَقْدِ الْأَعْزَةِ وَالْأَعْمَامِ. رُزُّهُ أَوْعَفَ أَلْعَزَائِمَ الْقَوِيَّةِ، وَأَبْكَى الْعَيْنَ الْبَكِيَّةَ، مُصِيبَةً زَلْزَلَتْ الْأَرْضَ، وَهَدَمَتْ الْكَرَمَ الْمُحَضَّ. مُصِيبَةٌ سَلَبَتْ الْأَجْفَانَ كِرَاهَا، وَالْأَبْدَانَ قُوَاهَا. فَجِيعَةٌ لَا يُدَاوِي كَلِمَهَا آسٍ، وَلَا يَسُدُّ ثَلَمَهَا تَنَاسٍ. مُصِيبَةٌ

أُلمت فآلمت، وثُمَلت فكلمت، وتركت النفوس مؤلَّهة، والعُقُول مُدلَّهة. رُزء هَضٌّ وهاض، وأطال آلانخزال والانخفاض، ولم يرض بأن فضَّ الأعضاء حتى أفاض آلِدِماء. رُزء ملاً الصُّدور آرتِباعاً، وقَسَم الألباب شعاعاً، وترك آلْعُقُول مجروحة، وآلْدُمُوع مسفوحة، وآلْقَوَى مَهْدُودَة، وطُرُق آلْعِزَّاء مَسْدُودَة، ورُزء نكأ القلوب وجرحها، وآحر الاكباد وآقرحها. مُصِيبَة آقَرحت آلأكباد، وآوهنت الأعضاء، وسودت وُجوه المكارم والمعالى، وآعادت آلأيام في صُور آلليالى.

ذكر الانخزال وكسوف البال والجزع والتوجع والاكتئاب لحادث المصائب

كتبت عن أجفانٍ شَرِيقَةٍ بِالْدُمُوعِ، ونيرانٍ مُتَقَدَّةٍ بَيْنَ آلأَحْشَاءِ وآلْضُلُوعِ، وبنانٍ تَوَدُّ لو بانت قبل أن تَحْطَّ بِذِكْرِ نازلِ آلْخُطَّةِ، وَنَفْسٍ أَشْاطَتْ بِهَا بِلَابُ آلْهُمُومِ الْمُشْتَطَّةِ. كتبتُ وآلنَفْسُ في شدة الانخزال وآلْكَمَدِ، وفقد آلاصطبار وآلجَلَدِ، عَلى ما لا يَسْتَطاع ذكره، فكيف يُتَحَمَلُ ثِقَلُهُ. ما لي يَدٌ تَحْطُ إِلَّا بِكُلْفَةٍ، ولا نفس تتردد إِلَّا عَلى غُصَّةٍ، ولا عَيْنٌ تَنْظُرُ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ قَذَى، ولا صَدْرٌ يَنْطَوِي إِلَّا عَلى أذى. الدُّمُوعِ وآكِفَةٍ، وآلْقُلُوبِ وآجِفَةٍ، وآلْهُمِ وآرِدِ، وآلأنس شارد، وآلنَاسُ مَاتَمَهُمْ عَلَيْهِ واحداً، اين مَني كَنَدَة تَأْسَفُ عَلى حُجَرٍ، أم إلخِساء تبكي عَلى صَخَرٍ. كم عُبرَة وزفرة، وآنَّةٍ وآحسرة، وكم تَمَلُّمُ وآضطراب، وكم آشتعال وآلتهاب. مُصِيبَة أَصْبَحْتُ لَهَا وَقِيدَ غُمة، وآأخِذَ كُربة، ما أم سبعة ركبوا الجياد، وشهروا السِیُوفِ الحِداد نُعُوا إلِها قَتِیلاً بعد قَتیلٍ، وعَرَضُوا عَلِها صَریعاً بعد صَریعٍ، بأشد مَني انخزالاً وآضعف بالاً، وآصدق تَقَلُّلاً، وآكثر تَمَلُّماً. ملك الجزع صبري وعزائي، وجعل ناظري في إِسار بُكَائِي، فَآلْقَلْبِ دَهْشٍ، وآلبنان مُرْتَعْشٍ، وآنا مِنْ آلْبَقَاءِ مُسْتَوْحِشٍ. كتبت عن قَلْبِي يَزِيدُ ولا يَفُتِّرُ، وَجَزَعٌ يَتَضاعِفُ ولا يَضَعُفُ. انتهى بن الَهْلَعِ إلِى حَيْث لا التَّاسِي مُصْحَبٌ، ولا التَّاسِي مُصاحب. انزعاجٌ يَحُلُّ عُقُودَ

الحزم، وأكتئاب يُنْقَضُ شُرُوط العزم. قد بلغ الْحُزْنَ مِنِّي مبلغاً لم أبتدله
للنوائب وإن جَلَّتْ وقعاً، وبلغ مني منالاً لم يؤمله طُرُوق المصائب وإن
عظمت فجعاً. كتبتُ عن اضطراب نفس، وأضطرام صدر، والتهاب قلب،
وانتهاب صبر.

التأبين والندبة

ما أعظمه مفقوداً، وأكرمه ملحوداً. إني لأنوح عليه بنوح المناقب، وأرثيه
مع النجوم الثواقب، وأبكيه مع المحاسن والمعالي، وأثنى عليه بشأن المآثر
والمساعي. ليت يمين الدهر شَلَّتْ قبل أن فتكت بمُهجة ألفضل، وعين
الزمان كُفَّتْ قبل أن رأت مصرع الفخر. لقد رُزْنَا من فلان عالماً في
شخص، وأمة في نفس. مضى والمحاسن تبكيه، والمناقب تعزى فيه، لَمَّا
قرّت به العيون، أسخنت فيه المَنون، ولما أنشِرت به الصدور، قبضها
لفقده المقدور. علَى المحاسن من بعده العفاء، ولا أنبت الأرض ولا جادت
السماء. قد ركب الأعناق، بعد العِناق، وعلا الأجياد، بعد الجياد، وفاح
فتيتُ المسك من سآثره، كما كان يفوح من مجامره. كان منزله مآلف
الأضياف، ومأنس الأشراف، ومنتجع الركب، ومقصد الوفد. فاستبدل بالأنس
وحشة، وبالنضارة عُبرة، وبالأضياء ظلمة، واعتاض من تراحم المواكب تلادم
المآثم، ومن ضجيج النداء والصهيل، عجيج البكاء والعويل. هذي المكارم
تبكي شَجْوَهَا لفقده، وتلبس جِدادها من بعده، وهذه المحاسن قد قامت
نوادبها مع نوابه، وأقترنت مصائبها بمصائبه. ما أقبح العيش من بعده، وما
أنكر العمر مع بعده.

في أن الفدية لا تغني

لو قبلت في فلان ألفدية لَوْفَيْتَهُ بنفسي، وأيام عمري. علما بأن العيش

بمثله من إخوان الصفاء يصفو، وبظعنه عن الدنيا يَكْدُر ويعفو. لو أمكن
أفتداؤه بأنفس الدُّخائر، وأعز الاملاك والممالك لكنا أحقَاء بإرخاص كلِّ علق
نفس، وبذل كلِّ مُلك كريم. لو وُقي منه عزيز قوم لعزته، أو كبيرُ أهل بيت
بولده وأسرته، أو قوي سلطان باستطالته وقدرته، أو زعيم دولة بحشده وعدده
لكان الماضي أولى من فُدي، وأحقُّ من وُقي، وكُنَّا أقدر النَّاس على دفع ما
حدث وطرق، وذَبَّ ما كَرَّث وأرْهَق، لكنه الأمرُ المُسوى فيه بين من عزَّ جانبه
وذَلَّ، وكَثُر ماله وقلَّ، حتى تأسى المفضول بالفاضل، والناقص بالكمال.

ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر

هو الدهر فلا تعجب من طواره، ولا تنكر هجوم بوائقه، عطاؤه في ضمان
الارتجاع، وجباؤه في قران الانتزاع. الدهر ما عرفت، وعلى ما خبرت، فلا
نُكر إذا فجع بالدُّخائر، ولا غرَّوَ إذا استأثر بالأخاير. هو الدهر وعلاجه الصبر
لا تهنأ فيه المواهب، حتى تتخلَّلها المصائب، ولا تصفو فيه المشارب، حتى
تكدرها الشوائب. من عَرَف الزَّمان، لم يستشعر منه الأمان، وتصورُ تصرفُ
الحوادث بين المورث والوارث. الدهر مشحونٌ بطوارق الغير مشوبٌ صفو
أيامه بالكدر، مجروحُ صابُه بالعسل، موصولة حبال الأمل فيه بأسباب
الأجل، يَفْطَم أمام تكامل الرِّضاع، ويفرقُّ قبل الامتاع بحُسن الاجتماع. هي
الأيام ترتجع العارية، وتتلقى بالمنية الأمنية.

ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها

قد جعل الله الدنيا دار قُلعة، ومحل نُقْلة. فمن راحل ليومه، ومن مدَّعُو
لغده، وكلُّ مُستوفٍ لأجله، وجارٍ لأمْله. ما الدنيا إلا دارُ النُقْلة، وما المقام
فيها إلا للرحلة. إن المرءَ حقيقٌ إذا طرقه ما يتحيف صبره، ويتطرف صدره أن
يعود إلى علمه بالدُّنيا، كيف نُصبت على النُقْلة، وجُنِبَتْ طول المُهْلة،

وَأَبْتَدَتْ لِلنِّفَادِ، وَشُفِعَ كَوْنُهَا بِالْفَسَادِ، وَإِنْ الثَّأْوِي بِهَا رَاحِلٌ، وَالْأَيَّامُ فِيهَا مَرَّاحِلٌ. مَوْهَبُ الدُّنْيَا مَسْلُوبٌ، وَإِنْ أُرْجِيءَ إِلَى مَهْلٍ، وَمَمْهُودَهَا مَحْرُوبٌ، وَإِنْ أُخِرَ إِلَى أَجَلٍ. لَوْ خَلَدَ مِنْ سَبَقٍ لَمَا وَسَعَتِ الْأَرْضُ مِنْ لَحَقٍ، وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الدَّارُ الْأُولَى مَنْزِلَ قُلْعَةٍ، وَمَحَلُّ نُجْعَةٍ، وَمَجَازاً إِلَى أُخْرَى تَزِيدُ، وَلَا تَبِيدُ. خَيْرُهَا عَتِيدٌ، وَعَمَرُهَا تَأْيِيدٌ. نَحْنُ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَفَازٍ، وَمَجَازٍ وَجَذَارٍ وَآنْتَظَارٍ. الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَفْرَحْ بِمَوَاهِبِهَا، وَلَمْ يَتَضَاعَلْ لِنَوَائِبِهَا، وَلَمْ يَرِ شِيَائِهَا (كَذَا) إِلَّا كَالْخِيَالِ الْمِلْمِ، وَالْفِيءِ الْمُنْتَقِلِ، وَالْعَارِيَةِ الْمُرْتَجِعَةِ، وَالسَّحَائِبِ الْمَتَقَشِّعَةِ، مَا تَصْنَعُ بِهِذِهِ الْغَدَارَةُ الْغَرَارَةُ؟ وَهِيَ تَرْتَجِعُ أَعْزَ مَا تُعْطِي، وَتَتَزَعُّ أَحَبَّ مَا تُؤْتِي. قَدْ تَنَكَّرَتِ الدُّنْيَا حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا، وَأَصْغَرَ دُنُوبَهَا فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ يَمَنَةً هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً؟ ثُمَّ لِيَعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً؟

الامر بالصبر والنهي عن الجزع

لَوْ كَانَ فِي الْجَزَعِ فَضْلٌ لَمَا تَقَدَّمَتْ فِيهِ ذَوَاتُ الْحُجُولِ وَالْحِجَالِ، عَلَى الْفُحُولِ مِنَ الرِّجَالِ. مَا تَضَعُ وَالْقَضَاءُ نَازِلٌ، وَالْمَوْتُ حُكْمٌ شَامِلٌ، وَإِنْ لَمْ نَلْذُ بِعِصْمَةِ الصَّبْرِ، فَقَدْ أَعْتَرَضْنَا عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ. اْعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لِلرَّبِّ مَسْخُطَةٌ، وَلِلْأَجْرِ مَحْبُطَةٌ. عَلَيْكَ عَزِيمَةُ الصَّبْرِ، وَصَرِيمَةُ الْجُلْدِ، فَإِنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ حُتْمٌ، وَفِي الرَّأْيِ حَزْمٌ، وَلَيْسَ فِي خِلَافِهِمَا لِلْحَيِّ آتِنْفَاعٌ، وَلَا لِلْمَيِّتِ ارْتِجَاعٌ. اْعْلَمْ أَنَّ الْمَتَوَفَّى لَا تَرْدَهُ نَارٌ تُلْهَبُهَا مِنَ الْهَمِّ عَلَى كِبْدِكَ، وَلَا يُرْجَعُهُ أَنْزَعَاؤُ تَسْلُطِهِ بِالْحُزَنِ عَلَى جَسَدِكَ، وَخَيْرٌ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ الذَّاكِرُونَ، وَتَقُولَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ شَوَائِبَ الدَّهْرِ لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ. اجْعَلْ بَيْنَ هَذِهِ اللَّوْعَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْدُّمْعَةِ السَّابِكَةِ، حَاجِباً مِنْ فَضْلِكَ، وَحَاجِزاً مِنْ عَقْلِكَ، وَمَانِعاً مِنْ يَقِينِكَ. أَنْتَ أَعْرَفُ بِالْأَدَّاهِ وَمَصَارِفِهِ، وَالزَّمَانِ وَمَخَافِهِ، مِنْ أَنْ تَدْعَ التَّمَاسِكَ وَهُوَ مَرْجِعُ اللَّيْبِ وَمَثْوَاهُ،

وتتهالك في الجزع وهو منزع الجهول ومغزاه. إن المِحن إذا لم تُعالج بالصبر، كانت كآلمنح إذا لم تُعالج بالشُكر. إذا رأيت أن تأتي في توخي الصبر، واحراز الأجر ما يوجبه الحجاب، فإنه أحرى بك وأحجى، صبراً صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الأيام بخطوبها، كما أن مُتون الجبال لا تهزها العواصف بهبوبها. المرء لا بُد سال، ولو بعد أحوال وأحوال. فما عليك أن تعجل ما يغتنمه البررة، وتقدم ما يؤخره الفجرة؟

ذكر الموت

إن الله قد سَوَّى بين البرية، في ورود حَوض المنية، وحملهم فيها على عدل الحكومة والقضية، لينظر كل احدٍ لنفسه، ويعلم أنه مستثمر ما أنبت من غرسه. ما حيلة الإنسان وقد خانته أمله، وجاءه أجله، فبينما هو في رجاء، فسيح الأرجاء، إذا به قد دُعي فأجاب من دون تعريض على استعداد، ولا تنفيس لأخذ زاد. الموتُ مَشْرَعٌ لا بد مَورود، وكلُّ وإن طال المدى مفقود. ما دوام أمرٍ آخره انقطاع، واتصال عطاءٍ عاقبته أنتزاع؟ معلومٌ أن الموت كلُّ شارب بكاسه، ومُكتسبٍ من لباسه، وإنما هو تقدم أيام، وتأخر أعوام. وكلُّ ذي نهاية يصير كأن قد قطعت مراحلها، ولحق بعاجله أجله. الموتُ خطبٌ عظيم حتى هان، ومس خشنٌ حتى لان، فطُنَّ أنه مؤخر لتمام، ومُنْسَأٌ لأيام وأعوام، والمُنون تطلبه حثاً وحضاً، حتى تدركه خيباً وركضاً. هذه سبيل، فيها تعجيل وتأجيل، وإلا فاللَّهْر كله أمس، والنفوس في مُصافحة المنية كنفس، لله ما أغوص الموت على حَبَّات القلوب، وأعرفه بمودات الصدور، وأخلصه إلى مكامن الروح، وأيقظه لأناسي آلعين، فإننا لله وإننا إليه راجعون. معلومٌ أن المورد فيه واحد، وسيان فيه ولد ووالد. هذه فُرقة محتومة على كلِّ شمل منتظم، ومكتوبة على كلِّ حبلٍ متصلٍ وقديماً نُعيت على الناس غربانها، وطارَت في دُورهم عقبانها.

في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه

ما الحيلة وقد حلَّ الْقضاء، وفُرض الْعزاء لِقَدَرِ اللَّهِ، ونزل أَلْبلاءُ الْجسيم
وَكُتِبَ الرِّضاءُ والتَّسليمُ. لا تَسَخُّطُ لِقَدَرِ اللَّهِ وهو عدل، ولا تَكْرَهُ لِقضاءِ اللَّهِ
وهو فضل. لِيُعلمَ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ عدلٌ كيف تَصَرَّفَتْ أَلْأقدارُ، ووقعت من كراهيةٍ
واختيار. أَلْقضاءُ غالب، والزَّمانُ مُعْطٍ وسالب، ولا خِيارَ على أَلْقَدَرِ، ولا
إِثْثارَ على أَلْغَيْرِ. وآللهُ العَدْلُ، وحُكْمُهُ الفَصْلُ، ومِنْ عِنْدِهِ أَلْفَضْلُ، قضاءُ اللَّهِ
ماضٍ، وهو عدلٌ قاضٍ. يُؤْلِي، وَيَبْتَلِي، وَيَسْلُبُ، وَيُعْطِي، وَيُعِيرُ، وَيَرْجِعُ،
وَيُمْتَعُ، وَيَنْتَزِعُ. لَهُ الخَلْقُ، وفَعْلُهُ الحَقُّ. أَمْرُ اللَّهِ لا يُقَابَلُ إِلَّا بِالرِّضاءِ،
وَأَلصَّبِرَ عَلَى ما قَضَى وأَمْضَى.

في حمل قضاء الله على الاصلح لعباده

مولاي أُولَى مَنْ سَلَّمَ، وقد عَلِمَ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ ما عَلِمَ، وأَيَقِنُ أَنَّهُ يَحْيِي ما
دَامَتْ الحَيَاةُ أَفْنَعَ وأَرْوَحَ، وَيَمِيتُ إِذا كانَ المَماتُ أَصْلَحَ. لَوْلا أَنَّ المَوْتَ
طَرِيقٌ يَسْلُكُهُ البَرِيُّ وأَلْسَقِيمُ، وَمَشْرَعٌ يَرِدُّهُ أَلْبَرُّ وأَلْأَثِيمُ، لَمَّا أَنْشَرَحَ بِالْعِزِّ
صَدْرُ، ولا صَحِبَ مَعَ أَلْبَلَاءِ صَبِرٍ. غَيْرَ أَنَّهُ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبادِهِ وَأَنْبِيائِهِ وَأَوْلِيائِهِ.
يَبْقِيهِمْ ما كانَ البَقاءُ أَعْمَرُ لِمَكانِهِمْ، وَيَتَوَفاهُمْ ما كانَتِ الوَفاءُ أَصْلَحَ لأَدْيانِهِمْ.
إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، عِلْماً بأنَّ مَقادِيرَهُ لا تَجْري إِلَّا عَلَى مَوجِباتِ
الحِكمةِ، وتَدبِيرِهِ لا يَخْلُو مِنْ باطِنِ المِصْلَحَةِ، أو ظاهِرِ النِّعَةِ. فِي بَقاءِ
مَوْلانا ما يَوجِبُ أَلتَّسْلِيمَ لما قَضَى اللَّهُ وأَمْضاهُ، إِذا كانَ يُدَبِّرُنَا بِأَصْلَحَ ما يَخْتارُ
ويؤثِّرُ، وأَحْكَمَ ما يُقَدِّمُ وما يُؤَخِّرُ عِلْماً مِنْهُ تَعَالَى بِالْعِواقِبِ، وإِحاطَةِ بالشَّاهِدِ
وَأَلْغائِبِ. أَحَقُّ أَلْأَناسِ عِنْدَ حَدوثِ النِّوائِبِ، وأَعْتِراضِ الشَّوائِبِ، بِقِصْدِ
التَّجَلُّدِ، وَتَرْكِ التَّبَلُّدِ، مَنْ عَلِمَ أَنَّ أَقْضِيَةَ اللَّهِ جاريَةٌ مَعَ الصَّلاحِ، ماضِيَةٌ عَلَى
الرَّشادِ، يَبْقَى ما كانَ البَقاءُ لِلْعَبْدِ أَنْظَرُ، وَيَتَوَفَّى إِذا كانَ الفَناءُ فِي الحِكمِ

أوجب. معلوم أن الله يُبقي ما كان البقاء أنجح، ويتوفى إذا كان الفناء أصلح، ولذلك قُبض الأنبياء والمرسلون، وأنزل على المصطفى إنك ميت وإنهم ميتون.

ذكر الأعمار والأجال

إن أيام العُمُر وساعات الدَّهر كمراحل معدودة، إلى وجهةٍ مقصودة. فلا بد مع سلوكها من أنقضائها، وبلوغ الغاية عند انتهائها. للنفوس مواعيدٌ تطلبُ آجالها، وللموت تغدو الوالدات سخالها. وما نحن إلا كالركب. فمن ذي منهلٍ قصيدٍ يبلغه دانيا، ومن ذي منزلٍ شحط يلحقه متراخيا. مولاي يعلم أن الأعمار مُقدَّرةٌ لامادها، والآجال مؤخرةٌ لميعادها. فلا استزادة ولا استنقاص، ولا فوات ولا مناص. الآجالُ آماذٌ مضروبة، وأنفاسٌ محسوبة ولذلك استأثر الله بوجوب البقاء، وآثر لخلقه صلة الوجود بالفناء. الآجال بيد الله، فإذا شاء مدَّها بحكمةٍ وافية، وإذا شاء قصَّرها بلطفيةٍ خافية.

في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي

نعمةُ الله في فلانٍ عظيمة. قد جبرت الكسر، وأوجبت الصبر، وأقامت الظَّهر، وألزمت الشكر، والحمد لله الذي أولى كما أبتلى، وأعطى بإزاء ما اقتضى. لئن كانت المصيبة بمصرع فلانٍ عظيمة، لقد سدَّها الله من سيدي بأفضل خَلَف، لأمجد سَلَف، وأنجب فرع، لأكرم أصل. في بقاءٍ مولاي مسلاةٌ للجازع، وأسوُّ للنجائع. يا لها من حادثةٍ كارثة، وفجعةٍ فظيعة. لولا أن الله سدَّ ببقائك ثلَمَها، وداوى بالدفاع عن حوائك كلمها. في بقاءٍ مولاي ما يُلزم تخطي الأَحزان، إلى شكر الله للإحسان. اللهم لا كُفران فقد أبقيت من فلان من ضمنت به شمل الأمم، وجلَّوت وجه الكرم. قد أعان الله على الرزية، بحسن البقية، وسهل سبيل التسلية، بعظم المزية، وجعل الموهوب،

أفضل من المسلوب. في بقاء مولاي ما سدَّ ثَلَمَ المرزية، وأغنى عن إطالة التعزية. إذا تحامت ألنوائب جانب مولاي وتوقَّته وبَقَّته، وهبنا ما انتهكت، لما تركت، وتسلينا عما آحتنكت، بما كفَّت عنه وأمسكت، وألشمسُ تسليك عما حلَّ بالقمر. مامات من خلَّفك، ولا غاب عن أهله من استخلفك. إن تكُ أيدينا بالأمس أمسكت على القلوب خوف أنصداعها وأنزعاجها، لقد مسحت أليوم على الصدور عند أنشراحها وأنفراجها، ولئن سخنت عيونٌ عند حدوث الحادث، لقد قرَّت عيونٌ عند انتصاب الوارث. تأملت في أثنا الرزية، جزيل العطية. ببقاء مولاي، فرأيت ألموهوب، أكبر من المسلوب، والمبقي، أجل من المضي، فعطفت على ألبلوى بالصبر، وتلقيت النعمى بالشكر. من كان مثلك القائم من بعده، السادُّ ثَلَمَةً فَقَّده، فهو في حكم الخالد، وإن أصبح فانيا والمقيم في أهله وإن أمسى بالعراء ثاويا. إن الزمان لا بدُّ خائن، والمقدور لا محالة كائن، وإذا بقي الله أكرم النفوس، وحرس أجلَّ محروس. فالرز وإن جلَّ جلل، وما أتى الدهر، وإن كُبر هدر. سيدي يعرف أحكام الليالي والأيام، وتصرفها بين الإعطاء والإحترام. فإذا تعدَّت أكرم الأنفس، وتجاغت عن الأنفس، وجب تجاوز الصبر، إلى الحمد لله والشكر.

فيما يجمع بين التعزية والتهنئة

قد لزمنا رفع اليدين إلى الله: واحدة تستنزل الصبر، وأخرى تتحمل الشكر. الحمد لله الذي لمَّا ارتجع أكرم العواري، بلغ أفضل الأمانى، ولما امتحن بأعظم الأهوال، تطول بأشرف الأبدال. ما آكتأبنا للمنعى إلينا، حتى اغتبطنا بالمستخلف علينا، ولا أجهش باكيا عند الرزية حتى استهل ضاحكاً للعطية. الفجعة فظيعة وجيعة. كادت تذهل ألعقول، وتحبس الأليسة عن أن تقول، والأفلام عن أن تجول. إلا أن الله لطف فجعل سيدنا وارث الماضي كابراً عن كابر، وحافظاً بعده لغر الآثار والمآثر. فلم يحسر الظل حتى مده،

ولا مَكَّنَ الثَّلَمَ حتى سَدَّهُ، ولا نَقَلَ الإِحْسَانَ حتى رَدَّهُ، ولا أَوْهَنَ الْعَقْلَ حتى شَدَّهُ. قد كَانَ الرُّزْءُ أَعْظَمَ من أَنْ يَوْصَفَ هَذَا لِلْأَرْكَانِ، وَإِفَاضَةً لِلْأَحْزَانِ، فِي كُلِّ قُطْرٍ وَمَكَانٍ. إِلَّا أَنَّ اللَّهَ بَلَطْفِهِ كَشَفَ الظُّلْمَةَ، وَأَحْيَا الْأُمَّةَ، وَأَنْزَلَ الرَّحْمَةَ، وَحَسَمَ النِّقْمَةَ بَعْدَ مَوْلَانَا إِلَى سُرِيرِ سُلْطَانِهِ، وَاسْتَقَرَّارِهِ فِي عَالِي مَكَانِهِ. لَئِنْ كَانَتْ الْمُصِيبَةُ أَصَابَتْ سُوبْدَاءَ الْقَلْبِ، فَقَدْ تَدَارَكَ اللَّهُ الْعَالَمَ بِمَا أَقَرَّ سَوَادَ الْعَيْنِ. يَا لَهَا مِنْ رَزِيئَةٍ نَاحَتْ لَهَا السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ، وَأَقْلَ مَعَهَا قَمَرُ الْمَلِكِ وَالْمَجْدِ، حَتَّى تَلَاغَى اللَّهُ الْمَلِكَ بِمَوْلَانَا فَأَعَادَ بِهِ الشَّمْلَ جَمِيعًا، وَالْعَاصِيَ مُطِيعًا، فَقَرَّ الْأَمْرَ قَرَارِهِ، وَلَزِمَ فَلَكَ التَّدْبِيرَ مَدَارِهِ.

استظهار المشاركة والمساهمة

أَنَا أَقَاسِمُ مَوْلَايَ الْهَمُومَ وَالْمَسَارَّ، وَأُسَاهِمُهُ الْمَكَارَهَ وَالْمَحَابَّ. فَلَا يَعْرِضُ لَهُ مَا يَشْغَلُ فِكْرَهُ إِلَّا أَزْعَجَ قَلْبِي، كَمَا لَا يَتَّفِقُ عِنْدَهُ مَا يَشْرَحُ صَدْرَهُ إِلَّا وَفَّرَ أُنْسِي. قَدْ شَارَكْتَ سَيِّدِي فِي الْمُصِيبَةِ مَشَارَكَةً مِنْ لَا يَتَمَيِّزُ عَنْهُ فِي مَنَحِهِ وَمَحْنِهِ، وَسُرُورِهِ وَحُزْنِهِ. كِتَابِي وَأَنَا لَا أَعْلَمُ أَغْزِيكَ أَمْ نَفْسِي، فَلَيْسَ الْمَصَابِ عِنْدَكَ بِأَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدِي. أَنَا وَإِنْ كُنْتُ أَقَاسِمُكَ الْمَسَارَّ، وَأُسَاهِمُكَ الْمَضَارَّ، فَإِنِّي لَا أَحَاسِبُ الْأَيَّامَ إِذَا تَخَطَّكَ، وَلَا أُنَاقِشُ سَهَامَهَا إِذَا أَخْطَأَتْكَ. لَئِنْ فَقَدْتُ مِنْ فُلَانٍ أَبًا وَعَمًّا. لَقَدْ أُوفِيْتُ عَلَيْكَ أَسْفًا، وَعَلَيْهِ هُمَا. أَنَا أَقَاسِمُكَ مَصَارِفَ الْأَحْوَالِ وَمَجَارِيهَا، وَعَوَائِدَ الْأَيَّامِ وَعَوَادِيهَا، فَأَخْذُ مِمَّا شَرَحَ صَدْرُكَ بِحِظِّ الْمُبْتَهَجِ، وَمِمَّا شَغَلَ قَلْبُكَ بِقِسْطِ الْمُنْزَعِجِ. قَدْ تَحَمَّلْتَ لِمَشَارَكَتِكَ أَثْقَالًا مِنَ الْوَحْشَةِ تَنْقُصُ الصَّبْرَ، وَتَنْقُضُ الظَّهْرَ، وَمَا أَغْزِيكَ إِلَّا وَالْعِزَّاءَ لِي مُعْجِزٍ، وَلَا أُسْلِيكَ إِلَّا وَالسَّلْوَ عِنْدِي مُعَوِّزٍ، لِاشْتِرَاكِنَا فِي الْإِفْرَاحِ وَالْأَحْزَانِ، وَتَعَادُلِ أَقْسَاطِنَا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ.

عظات التعزية

لَا مُصِيبَةَ مَعَ الْإِيمَانِ، وَلَا مُعْزِيَ مَعَ الْقُرْآنِ، وَكَفَى بِكِتَابِ اللَّهِ مُعْزِيًا،

وبعموم الموت مُسلياً. إِنَّ الَّذِي يُخَفِّفُ ثِقْلَ الْنَوَائِبِ، وَيُحَدِّثُ السُّلُوَ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، تَذَكَّرْ حُكْمَ اللَّهِ فِي سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ. لِيَذْكُرْ مَوْلَايَ فَقَدْ أَرْسَلَهُ وَالْوَصِيَّ وَآلِ ابْنِ أَبِي تَالِبٍ وَالْحَسَنَيْنِ مِنْ مَسْمُومٍ وَمَقْتُولٍ، ثُمَّ لِيُحْصِنِ الْأَجْرَ الْمَسْجُوقَ إِلَيْهِ وَلِيَحْصِلْهُ، وَلِيَنْصِبَ أَدَبَ اللَّهِ إِزَاءَ قَلْبِهِ وَلِيَمْتَثِلْهُ. أَلْخُلُودُ فِي الدُّنْيَا لَا يُؤْمَلُ، وَالْفَنَاءُ لَا يُؤْمَنُ، وَلَا سَخَطُ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَا وَحْشَةٌ مَعَ خِلَافَتِهِ، وَالْأَنْسُ بِطَاعَتِهِ، فَأَدِّمَا أَسْتَرِدَّ صَابِرًا، وَأَسْمَحْ بِمَا اسْتَرْجَعَ مُسْلِمًا. أَنْتَ تَعْرِفُ مِنْ شُرُوطِ الزَّمَانِ وَعَادَاتِهِ، وَتَخْبِرُ مِنْ شُؤْنِهِ وَتَارَاتِهِ وَتَمْلِكُ مَعَهُ حِلْمَكَ، وَتَرَاجِعُ لَهُ حَزْمَكَ، مَتَى أَتَى اللَّيَالِي بِمَا تَعَاقَبَتِ الْقُرُونُ عَلَى مِثْلِهِ، وَأَعِيتِ الْحِيلَ دُونَ دَفْعِهِ. حَمْدًا لِإِلَهِهِ بِتَفَضُّلِ فِيهِ، وَبِاسْتِرْدِّ فِي أَجْرِهِ، وَيُبْقَى آثَابِهِ، وَيُقْنَى آحْزَنِهِ. كُلُّ مُصِيبَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَصَغِيرَةٌ فِي جَنْبِ ثَوَابِ اللَّهِ، ضَمِيلَةٌ بَيْنَ نَعَمِ اللَّهِ قَبْلِهَا وَبَعْدَهَا.

الادعية للمتوفي

غفر الله ذنبه، وخَفَّفَ حَسَابَهُ، وَجَعَلَ رَحْمَتَهُ حُسْبَةً تَغْمِدُهُ اللَّهُ بِغُفْرَانِهِ، وَمَهَّدَ لَهُ فِي أَعْلَى جَنَانِهِ. تَغْمِدُهُ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ بِمَا يَفُوتُ آمَالَ الْمُؤْمَلِينَ، وَيَرْجِبُ لَهُ مِرَافِقَةَ الْإِنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ. جَعَلَ اللَّهُ فِرَاطَهُ مَغْفُورَةً وَحَسَنَاتِهِ مَشْكُورَةً. قَدَّسَ اللَّهُ ثَرَاهُ، وَأَكْرَمَ مَأْوَاهُ. أَكْرَمَ اللَّهُ مَرْجِعَهُ، وَرَحِمَ مَصْرِعَهُ، وَبَرَّدَ مَضْجِعَهُ. رَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ لِلْأَبْرَارِ، وَحَطَّ عَنْهُ ثِقْلَ الْأَوْزَارِ. نَوَّرَ اللَّهُ بُرْهَانَهُ، وَأَلْبَسَهُ رِضْوَانَهُ، وَفَسَّحَ لَهُ جَنَانَهُ. غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَغْفِرَةً تُخَفِّفُ بِالرُّوحِ وَالسَّلَامِ، وَتَفْسَحُ لَهُ فِي دَارِ الْمَقَامِ. جَعَلَ اللَّهُ مَا نَقَلَهُ إِلَيْهِ، خَيْرًا مِمَّا نَقَلَهُ عَنْهُ. قَدَّسَ اللَّهُ ضَرْيَحَهُ، وَبَرَّدَ صَفِيحَهُ، وَأَفَاضَ الرَّحْمَةَ السَّابِغَةَ عَلَيْهِ، وَلَقَّنَهُ الْحُجَّةَ الْبَالِغَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ. سَقَى اللَّهُ ضَرْيَحَهُ وَلَقِيَ (كَذَا).

ما يختص منها بالملوك

وَاللَّهُ يُبَوِّئُهُ مِنْ جَنَّاتِ عَدْنِهِ، وَمَقَارَ أَمْنِهِ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ رَفَعَ إِلَيْهِ عَبْدًا مُخْلِصًا

هداه، ومؤمناً آتبه، وولياً مكن له في أرضه، فقام فيها بفرضه، وأصلحها بعدله، وغمر أهلها بفضله. نسأل الله أن يرحمه أتم رحمة وأوسعها، ويلقيه أفضل مغفرة وأفسحها، ويبوئه جنات النعيم التي أعدها لأمثاله داراً، ولأشكاله قراراً، ممن أحسن السيرة في عباده وبلاده، وأنتهى إلى رضاه بوسعته وأجتهاده.

ما يختص منها بالاشراف

اللهم صلّ على شجرة هذا الغصن من كرائم أغصانها، وخصائص أفنانها، صلاة ترفع الدُّخْر، وتعلي القدر، وتمهد في جنة المأوى، والدَّرَجَاتِ أَعْلَى. قدّس الله تلك التربة الزّكية، والأرض المرضيّة. إذ أودعت نفس الشرف والأشرف، وسر هاشم بن عبد مناف، وكيف أستسقي لها الغمام، وبحر المكارم في بطنها، وغيث الأمحال في ضمنها، وثم القبر الذي لو كُتِمَ لَمَ عليه عرف الكرم، ورّيا حسن الشّيم. نقله الله إلى خِطّة الغفران، وعرصة الرضوان، حيث الرّسول، والوصيّ والبتول، والحسنان، وسائر شجر الجنان. صلوات الله عليهم ما طلع الفرقدان، وتعاقب الملوان. أقرّ الله عينه في عرصة الموقف المحذور، والصباح المشهود المشهور بلقاء جدّه، وخيرة الله من خلقه، وأمينه على وحيه، وأداء حقّه، ووفّاه من حظوظ شفاعته، ما يزيده في علو الدَّرَجَاتِ وسبوغ الكرامات، وشرف الوقوف على الحوض المورود، وعزّ النُّشور في اليوم الموعود. رضي الله عن شقيق الكرم والمجد وعقيد الشرف المحض، وسلالة الرّسالة، وسليل الإمامة، وقدس روحه وقد قدّس، وألبسه ثوب الغفران وقد ألبس.

في الدعاء للمعزي بالصبر والاجر

ربط الله على قلبك بالتّماسك الذي يؤمن من التّهاك في القلق، والتّمالك الذي يدفع عواديّ الحرق. أفرغ الله على سيدي تجلداً يضيّاهي اجتماع رأيه

ولَّبه، وتصبراً يحفظ عليه ذخائر جِلمه، حتى يمنحه في الثَّواب ما لم يحتسبه كما أمتحنه من المُصاب ما لم يرتقبه. ورث الله مولاي عمره، وأحضر سلوانه وصبره، وشرح بالتسليم صدره. أعظم الله لسيدِّي من الذَّخر، وجزِيلِ المَثوبة والأجر، وبعده محاسن من فُقِد، ومحامد من عُدِم. وفَقَّك الله لما يحصن الأجر، ولا يُحبطه، ويوفِّر الثَّواب، ولا يُسقطه. ثَقُلَ الله به ميزانك، كما ضاعف بَقوته أحزانك. أحسن الله لك العَزاء وأجمله، ولَقَّك من الصَّبر أكمله. جَبَر الله مُصابك، وعظَّم ثوابك. آتاك الله صبراً يأسو كلوم المُصاب، ويحلَّ عُقود الإكتئاب. كتب الله لك من جسيم الثَّواب، ما يصغر عنده عظيم المُصاب. كتب الله لك من الأجر أفضل ما كتبه لمن سلَّم له أمره وحُكمه، ولم يتسخط قَدْرَه وحتَمَه.

سائر الادعية للمعزى

أطال الله مُدتك، وجعل الشكرَ في النعمي ما دُتكَ، والصبر على البلوى عُدَّتكَ. حرس الله مُهجتك، وحرَّم على الحوادث أعزتك. وجعل ما عرض خاتمة الرِّزايا قبلك، وبلغك في دينك ودُنْيَاك أملك. ورث الله مولاي عمر من قَدَمه، وغفر لمن اختار له جواره فأستقدمه، جعل الله الأعمار صلةً لعمره، وفقاً عنه عيون الصُّروف من دهره. وقاك الله في أعزتك ونفسك، وجعل مسرَّة غدك ماحيةً مساءة أَمسك. لا أُصبت إلا بمن الخيرة لك في البقاء بعده، وله في التقدُّم قبلك. مدَّ الله في مُدَّتكَ، وغضَّ لَوَاحِظَ الأَيام عن عَقَوَاتِكَ. لا نقص الله لك عدداً، ولا أنكلك ولداً، ولا أشمت بك أحداً.

ما يختص منها بالملوك

أبقى الله مولانا وارثاً للأعمار، مصرفاً للأقدار. وجعل ما عرض خاتمة ما

يوزّع له فكرا، أو يُخرج له صدرا، وقُدّم ألعالم عنه، فدية له. رغبْتُ إلى الله في إطالة بقاءه، كاشفاً بدوام مُدته الغم، وساداً بنضارة دولته الثلم، والله يُطيل بقاءه وارثاً للأعمار، مفسوحاً له في الامهال والانظار. مُحصّن الدولة عن النوائب اللاحقة، مُحميّ العرصة عن المصائب الطارقة. أطل الله بقاءه، وارثاً للأجل، حائزاً للأمني والآمال، ينسخ مُدّة الملوين، ويخلق جدّة الجديدين، وعمّره عمر النّسرين، وأبقاه بقاء العصيرين. عمّره الله محوط النفس والسّاحة، مُبشراً للخيرات المُتاحة. مُصْرِفاً عِنان الملوين، مقلباً زمام الزّمان بكلتا أيدينا.

ما يختص منها بالاشراف

أحسن الله عزاء مولاي عن الشّريف، وورّثه عمره، كما ورّثه فخره، وذخّر الله له الأجر عليه، كما أعلّى ذكره بالانتساب إليه، والله يُجبر مصابه كما أكرم نصابه، ويقيه المحاذر، كما ورّثه المفخر، ويبارك له في إحسانه الجسيم، وفضله العميم، كما بارك على إبراهيم، وآل إبراهيم صلى الله عليه وعلى محمدٍ وآله أجمعين.

مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية

أحقُّ الناس بالتسلي عند طروق المصائب، وأولاهم بالتسليم مع هجوم النوائب، من آتاه الله من العلم ذخيرة، وجعل على نفسه بصيرة، وهذه حال الشّيخ في فقد فلان. ورّثه الله عُمره، وأبقاه ما شاء بعده. إذا كان الشّيخ هو القُدوة في العلم وما يقتضيه، والأسوة في الدّين وما يجب فيه، لزم أن يُتأدّب في حالات الصبر والشّكر بأدبه، ويؤخذ في تارات الأسى والاسى بمذهبه، فكيف لنا بتعزيته، عند حادث رزيثته، إلا إذا رويناه له، بعض ما أخذناه عنه، وأعدنا إليه طائفة مما آستفدنا منه. قد علّم الشّيخ أنّ من خُلق للعرض

الْعَظِيمِ، وَعُرِضَ لِلثَوَابِ الْجَسِيمِ. وَطَنَ نَفْسَهُ عَلَى تَحْمِلِ الْحَوَادِثِ، وَمَرَّنَ قَلْبَهُ عَلَى تَجَرُّعِ النَّوَائِبِ، وَكَانَ تَأَسُّفُهُ عَلَى مَا يَفْقَدُ مِنْ رِيَاحِينَ دُنْيَاهُ قَلِيلًا، وَتَصَبُّرُهُ لَمَّا يُنْقَلُ مِنْ مَوَازِينِ أَجْرِهِ جَمِيلًا.

ذَكَرَ مَوْتَهُمْ وَتَأْيِينَهُمْ

قَدْ فَقَدَتِ عَيْنُ الْفَضْلِ مِنْهُ قُرَّةٌ، وَجِبْهَةُ الْعِلْمِ مِنْهُ غُرَّةٌ. لِلْفَجَائِعِ، اخْتِلَافُ مَوَاقِعَ، وَلِلْمَصَائِبِ، تَبَايُنُ مَرَاتِبَ، وَمِنْ أَشَدِّهَا لَذْعًا، وَأَعْظَمُهَا وَقَعًا. فَجِيعَةُ أُحْرِجَتْ صُدُورُ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَمَصِيبَةُ خَصَّتْ أَلْعِلْمَ وَالِدِينَ كَفَقَدَ فُلَانًا، فَقَدْ كَانَ لِلْإِسْلَامِ جَمَالًا مُمْتَدًّا، وَلِلدِّينِ رُكْنًا مُشْتَدًّا، وَلِلْعِلْمِ شَهَابًا لَا يَخْبُو، وَلِلْأَدَبِ سَهْمًا لَا يَنْبُو. تَمَثَّلَتْ كَيْفَ يَضَامُ الْعُلَى وَتُقَامُ مَاتِمُ الْحِجَى، وَتَبْكِي أَعْيُنُ الدِّينِ وَالْتَقَوَى. قَدْ فَجَعْنَا بِشَيْخِ الْفَضْلِ، وَشِهَابِ الْعِلْمِ، وَالنَّاضِحِ عَنْ أَلْدِّينِ نَاطِرًا لِعُقْبَاهُ، وَالصَّادِعِ بِالْحَقِّ رَافِضًا لِرُقْبَاهُ. قَدْ أَخْلَ لَيْثُ الْعِلْمِ بَغِيلَهُ، وَمَضَى شَيْخُ أَلْدِّينِ لِسَبِيلِهِ. فَاضَتْ عَلَيْهِ عَيُونُ الْمُحَارِبِ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ، وَبَكَتْهُ عُيُونُ الْمُحَاسِنِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ. رَحِمَ اللَّهُ فُلَانًا وَهَلْ خُلِقَتْ الرَّحْمَةُ إِلَّا لِأَمْثَالِهِ أَلَّذِينَ خَافُوا اللَّهَ، فَخَافَهُمُ النَّاسُ مِنْ دُونِ مَلِكٍ قَاهِرٍ، وَلَا سُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَكِنِهَا هَيْبَةُ أَلْعِلْمَاءِ، فِي نَفُوسِ أَلْدَّهْمَاءِ. اللَّهُمَّ مَحْصٍ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. فَطَالَ مَا أَنْتَصَبَ فِي أَلْدَّبِّ عَنْ دِينِكَ، وَالنَّاسِ فِي أَشْتَغَالٍ بِمَعَاشِهِمْ، عَنْ مَعَادِهِمْ، وَبَعَقْدِهِمْ، عَنْ أَعْتِقَادِهِمْ.

ذَكَرَ مَوْتَ الْأَدْبَاءِ وَالْكِتَابِ

نَجْمٌ مِنْ نَجُومِ أَلْعِلْمِ هَوَى، وَغُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ أَلْأَدَبِ ذَوَى. قَدْ عَادَتْ لِفِرَاقِهِ أَلْأَدَابُ شُعْثًا، وَوُجُوهُ الْفَضْلِ غُبْرًا. شَابَتْ بَعْدَهُ لِمَمُ الْأَقْلَامِ، وَجَفَّتْ غُرُرُ أَلْكَلَامِ. قَامَتْ نَوَادِبُ أَلْأَدَبِ، وَتَعَطَّلَتْ حَوَالِي أَلْكِتَابِ. قَدْ نَضَبَ مَاءُ

ألفضل، وركدت ريح العقل، وصدى رَونق التبيين والبيان، وأنثلم حدّ القلم
واللسان.

ذكر موت الاولاد الصغار والكبار

بلغني خبرُ مُصائبك بالريحانة التي اختار الله لك المثوبة عنها، على المُتعة
بها. لَمَّا قوي فيه الأمل، عاجله الأجل، فكسفته أيدي الأيام، هلالاً استسرَّ
قبل التمام. أطلتُ التلَّهف على ظلِّ عاجلته الأيام أن يكون فناً زائلاً،
وأكثرُ التأسف على هلالِ فاجأته الليالي أن يصير بديلاً كاملاً. يا لهفي على
غُصنٍ هُصِرَ قبل أن يورق، وكوكب أفل قبل أن يُشرق. هلال استسر قبل
التمام، وثمرة أجتنتها يدُ الحمام. فجعله الله أجراً مذخوراً، وثواباً موفوراً.
كيف يستقرُّ على الأرض وفلذته في بطنها، ويُراجع الأيام ومُهَجته في كفها.
يا أسفي على غُصنٍ مهصور بالموت، معصورٍ في الترب. قد كنت فيه قوي
الأمل، لو لم تطاولني يدُ الأجل، ومستحكِم الرجاء، لو لم تغالبنِي يمينُ
القضاء. تصوّرت حالك وقد أخذت من قبلك ثمرته، ومن نفسك زهرتها،
ومن ناظرك قوته، ومن كِبْدِكَ فلذتها. عارية سرك الله بمُدَّتِها، وأثابك عند
ارتجاعها. فأبشر بعاجلٍ من صنعه وإخلافه، وأجل من مَثوبته وجزائه. لئن
حُرِمَ الأجر بيدك، لقد كُفِيَ الإثم بعقوقك، ولئن فجعت بفقده، لقد أمنت
الفتنة به. الرُّزء ما كان أوجع، كان الأجر عليه أوسع، وأنت وإن أحتجت إلى
الأولاد، فحاجتك العُظمى إلى حُسن المعاد. أسأل الله أن يجعل لوعة
مُفارقته، أنفع لك من فتنة مُقاربته، وحسرة الرزية فيه، أجدى عليك من حبرة
الإمتاع به.

ما يختص من ذلك بأولاد الملوك

كتبتُ والأحزان مُستولية على الخلق والزمان، والأرواح متبرمة بالأجسام

والأبدان. مُنْذُ أَفْلَ النَّجْمِ الزَّاهِرِ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ وَذَوِي الْغَصْنِ الْناضِرِ مِنْ دُوْحَةِ الْمَجْدِ، خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ فِي أَفْقِ الْمَلِكِ. وَهُوَ بِيَدِ الْقَضَاءِ، عِنْدَ انْتِهَاءِ الْعَمْرِ، فَاسْتَوْحَشَ رُبِعَ مَوْلَانَا بِفَقْدِهِ، وَذَوَى عَوْدَ النِّجَابَةِ مِنْ بَعْدِهِ. عَلَى حِينِ قَوِيَتْ فِيهِ الظُّنُونُ، وَقَرَّتْ بِهِ الْعُيُونُ. عَرَفَتْ نَادِرَةَ الزَّمَانِ، فِي قَرَةِ عَيْنِ الدَّهْرِ، وَثَمَرَةَ فَوَادِ الْمَلِكِ، وَقَدْ خَانَتْ فِيهِ يَدَ الدَّهْرِ، وَاسْتَحْطَفَتْهُ مِنْ جِمَى الْمَلِكِ، وَإِنَّمَا نَقَلَهُ اللَّهُ إِلَى جَوَارِ كِرَامَتِهِ مَثُوبَةً بِمَوْلَانَا مُقَدَّمَةً، وَأَعَدَّ لَهُ مَعُوضَةً مُسَوِّمَةً، وَجَعَلَهُ فَرَطًا صَالِحًا، وَمَتَجَرًّا رَابِحًا. قَدْ خَبَا ذَلِكَ الشَّهَابُ الْمَضِيءُ، وَخَوَى ذَلِكَ الْكَوْكَبُ الدَّرِيءُ، فَأَغْبَرَتْ وَجُوهَ النِّجَابَةِ، وَاسْتَوْحَشَتْ مَعَاهِدَ الْإِمَارَةِ.

ذِكْرُ احْتِضَارِ الشَّبَابِ

يَا أَسْفِي عَلَى فَلَانٍ، وَقَدْ احْتَضَرَ شَبَابَهُ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ طَرَاوُتُهُ فِي الْعُيُونِ، وَحَلَاوُتُهُ فِي الْقُلُوبِ. قَدْ احْتَضَرَ فَلَانٌ أَنْضَرَ مَا كَانَ غَصْنًا، وَأَكْمَلَ مَا كَانَ حُسْنًا، مَا أَتَذَكَّرُ إِقْبَالَ شَبَابِهِ مَعَ اكْتِهَالِ فَضْلِهِ، وَجِدَّةِ أَيَامِهِ مَعَ وَفُورِ عَقْلِهِ، إِلَّا رَأَيْتُ التَّعْزِيَّ مُسْتَقْبِحًا، وَالتَّسْلِيَّ مُسْتَهْجِنًا. يَا لَهْفِي عَلَى شَبَابٍ مُقْتَبِلٍ احْتَضَرَ، وَفَضْلٍ مَكْتَهَلٍ فَقِدَ، وَجَانِبٍ مِنَ الْمَجْدِ اخْتَلَّ وَأَنْتَشَرَ، وَنَجْمٍ مِنْ فَلَكَ الْفَخْرِ هَوَى وَغَرَبَ. قَدْ أَخْتَرَمَ عُنْفُوَانُ شَبَابِهِ آخْتِرَامًا، نَبَّهْنَا مِنْ سَنَةِ الْإِغْتِرَارِ وَهَدَانَا لَوْجَهَ الْإِعْتِبَارِ. انْتَقَلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الدُّنُوبِ، بَرِيَّ السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ. لَمْ تُطَلْ فِي الدُّنْيَا مُدَّتُهُ، وَلَا آسُودَتْ فِي جَرَائِدِهَا صَحِيفَتُهُ، وَلَا عَلِقَتْ بِهِ أَجْرَامُهَا، وَلَا جَذَبَتْهُ أَشْطَانُهَا، لَكِنَّهُ وَرَدَهَا نَجِيبًا رَشِيدًا، وَأَنْصَرَفَ عَنْهَا مَهْدِيًّا سَعِيدًا. قَدْ صَانَهُ الْإِحْتِضَارُ، عَنْ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ، وَحَاطَهُ الْإِخْتِرَامُ، عَنْ مُقَارَفَةِ الْآثَامِ. لَوْ كَانَ هَذَا الْجِمَامُ يَبْدَأُ بِإِدَارَةِ كَأْسِهِ فِي الْأَسْلَافِ، وَيَتَجَافَى عَنِ الْأَخْلَافِ، لَخَفَّتْ أَعْبَاؤُهُ، بَلْ طَابَ لِقَاؤُهُ، وَلَكِنَّهُ يَدْنُو فِينَا وَيَبْعُدُ، وَيَهْتَصِرُ مِنَّا وَيَحْتَطِبُ.

في التعزية عن الاب

قد أُصبت من أبيك بمن لا لوم إذا بكيت عليه ملء الشؤون، ووجعت له مدى الظنون (كذا). فالأب سماء مظلة، وأرض مقلّة، وأصل أنت فرعه، وشجر أنت غصنه، ولكن أدب الله أحرى بالاستعمال، من بواعث الرقة والآنخزال. لو خيّر أبوك لاختار ما اختار له تقدماً بين يديك، وتعويضاً للبقاء إليك. إذ كنت مع عقلك وبصيرتك أبا، ولأهلك وعشيرتك نسباً. سدّ الله بك مكانه، وورثك عمره وفضله، وعوضك الأجر عنه، وأيدك بالعصمة بعده. بقي أن نجعل هذه النوائب عبراً تُبصرنا ألعواقب، ونقول ما حال شجر أوهنت أصوله، ثم أخذت غصونه، وننظر في أصل البقاء، بعد فناء الآباء والأبناء، فنأتي ما فيه حصول النجاة، تخليصاً لهذه الأنفس من التبعات.

في التعازي عن الحرم

تُبّهت بموعظة، ورُزقت ثواباً، وسترت عورة، وكُفيت مؤونة. فعظم الله أجرك فيمن أمضى، وأخلف عليك الإمتاع بما أبقى. لا ستر أستر من أرض، ولا ختن أكرم من جن. بهذا أتى الشرع، وعليه أجمع العقل والسمع. ستر العورات، من الحسنات، ودفن البنات، من المكرمات، وتقديس الحرم، من النعم، وقد قاسمتك الفجائع، فأعطتك أوفر الحظين، وساهمتك النوائب فوفّتك أجزل القسطين، ورضي الحمام بأن يتخطى نجباء ولدك، وإن أنتقص الإناث من عددك، فالشكر أوجب عليك، من الصبر أن تدعى إليه. إن كان الله قد سلّب لمولاي ريحانة وروضة، فقد وعده في كتابه بشاراً وصلاة ورحمةً وهداية. قد كُفيت مؤونة، وصُنعت حرمة، وسترت عورة، وقدمت إلى الجنة بضعة، وبعثت على مقدّمك إلى الآخرة شقيقاً ووسيلة، ورجعت إلى شبابك مرحلة. فليس بشيخ من لا بنت له، ولو كان أبن مائة سنة، وليس

بشأب من وراء بنت ولو كان أبن يوم وليلة. طوبى لمن صاهره القبر وخطب
إليه الدهر.

آخر كتاب التعازي وما يليق بها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الإخوانيات

وما يأخذ ماخذها

ذكر المودة

مَوَدَّةٌ سَكَنَتْ سِوَاءَ الصُّدْرِ، وَحَلَّتْ سِوَاءَ الْقَلْبِ. مَوَدَّةٌ تَلُوحُ عَلَيْهَا غُرُرُ الْخُلُوصِ، وَتَبْدُو فِيهَا آثَارُ الْخُصُوصِ. مَوَدَّةٌ طَالَتْ بِهَا الْمُدَّةُ، وَاسْتَحْكَمَ غَرْسُهَا، وَتَمَهَّدَ فِي الْقَلْبِ أُسُهَا. صَحِيفَةٌ وُدٌّ يُمْلِيهَا عَلَيَّ الْمَلَوَانِ، وَأَنْطَقُ فِيهَا بِلِسَانِ الزَّمَانِ. مَوَدَّةٌ لَا يَضْطَرْبُ حَبْلُهَا، وَلَا يَنْحَسِرُ ظِلُّهَا. وُدٌّ سَلِيمٌ الصَّفْحَةُ، أَمْلَسَ الْجِلْدَةَ، مَشَرَّقُ السَّحْنَةِ، وَاضِحُ الْجَبْهَةِ. مَوَدَّةٌ أَدِينُ بِهَا عَنْ خَالِصَةِ النَّفْسِ، وَأُودِعُهَا وَاسِطَةَ الْقَلْبِ، وَأَجْمَعُ عَلَيْهَا نَوَاحِيَ الصُّدْرِ، وَأَحْرُسُهَا عَنْ لَوَاحِظِ الدَّهْرِ. قَدْ آتَخَذْنَا الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا دِينًا وَخَلِيقَةً، وَرَأَيْنَاهَا بَيْنَ النَّاسِ مَجَازًا، فَأَعَدْنَاهَا حَقِيقَةً. صَدْرُ الْوُدِّ سَلِيمٌ، وَطَرِيقُ الْعَهْدِ مُسْتَقِيمٌ. وَدٌّ أَنْتَهَى الْصَفَاءُ إِلَيْهِ وَقَدْ بَلَغَ أَقْصَاهُ، وَعَهْدٌ خَيَّمَ الْوَفَاءَ عَلَيْهِ فَأَلْقَى عَصَاهُ. قَدْ مَلَكَ مَوَدَّتِي عِذْرَاءٌ، حِينَ الْقَلْبُ فَارِغٌ، وَحَازَ طَاعَتِي بَكْرًا، وَظَلُّ الْصَبِيِّ سَابِغٌ. بَيْنَنَا مَوَدَّةٌ تَتَصَلُّ مُدَّتُهَا، وَلَا تَنْقُطُعُ مَادَّتُهَا.

حسن المخالصة

لَا أَحُولُ عَنْ عَهْدِكَ وَإِنْ حَالَتْ النُّجُومُ عَنْ مِمَارِّهَا، وَلَا أَزُولُ عَنْ وَدِّكَ وَإِنْ زَالَتْ الْجِبَالُ عَنْ مَقَارِهَا. عَهْدُكَ سَجِيرُ فِكْرِي، وَوُدُّكَ سَمِيرُ ذِكْرِي. عَهْدُ

كعهده لا يميل، ووُدُّ كحاله لا يستحيل. نفسي وقَاءَ نفسك، كما صَدري وعَاءَ وُدِّك، ولساني ناشِرُ فضلك، وضميري وَقَفْتُ عَلَى عَهْدِكَ. بيننا عَصِمَ لا تُنْقَضُ، وذِمَّتُ لا تُرْفَضُ. الله يعلم أَنَّ مَوَدَّتَكَ شِعَارُ ضميري، والاعتصام بعهدك بُنْيَةُ معتقدي. نلي قلبُ قريح، حشوه وُدٌّ صحيح، وكَبْدُ دامية، كُلُّها محبَةٌ نامية.

لطف الحال وتشبهها بالقرابة

حالٌ هي الْقُرْبَى أو أَخَصُّ، وأَمْتِزَاجُ الْنُفُوسِ أو أَمْسٌ. الحالُ بيننا أُرْبِتْ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْحُرْمَةِ، وَأُرْمِتْ عَلَى الْمِشَارَكَةِ وَالْخُلَّةِ، وَعُدَّتْ فِي شَوَاجِرِ الرَّحْمِ وَاللُّحْمَةِ، وَمَزَجَتْ الدَّمَّ بِالدَّمِ، وَالْمُهْجَةَ بِالْمُهْجَةِ. الْمَوَدَّةُ إِذَا اسْتَمَرَّتْ قُوَاهَا، وَاسْتَحْصَفَتْ غُرَاهَا، لَمْ تَبْعُدْ أَنْ تَزِيدَ عَلَى الرَّحْمِ وَقُرْبَاهَا. قُرْبِي لَا كَقُرْبَى خَالِصَةِ الْوَدَادِ، وَلَا رَجِمَ أَصْدُقِ وَأَدْنَى مِنْ صَدُقِ الْإِنِّيَةِ وَالْإِعْتِقَادِ، وَبَيْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا يَضْمَنُهُ الدَّوَامُ وَالْتَّائِبُ، وَتَفْتَقِرُ إِلَيْهِ الْقُرْبَاتُ وَالْمَوَالِيدُ. رَبُّ طَارِفٍ مَوَدَّةٍ يَفُوقُ فِي الْخُلُوصِ وَالصَّفَاءِ، مَنَازِلَ التَّشَابُكِ فِي الْقُرْبَى وَالْإِخَاءِ. الْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرَامِ ذِمَّةٌ، وَالْمَوَدَّةُ لُحْمَةٌ. زَادَ فِي أَمْرِي عَلَى مَا يَبْلُغُهُ الْإِخَاءُ وَأَبْنُ الْعَمِّ، وَالْمُتَنَاسِبُونَ بِاللَّحْمِ وَاللِّدْمِ. صَوْرَتُهُ لَدِي صَوْرَةَ الْإِخَاءِ، وَوُدُّهُ أَرْسَخٌ، وَمَحَلُّهُ مَحَلُّ الْعَمِّ، أَوْ أَشْتَرَاكَةُ أَعَمِّ.

الاختصاص والانحداد

محبَّةٌ لَا تَتَمَيَّزُ مَعَهَا الْأَرْوَاحُ، إِذَا مُيِّزَتِ الْأَشْبَاحُ، وَمُخَالِصَةٌ لَا تَتَبَايَنُ بِهَا الْنُفُوسُ وَالْمُهْجُ، وَإِنْ تَبَايَنَتِ الْأَشْخَاصُ وَالصُّوَرُ. نَحْنُ كَالنَّفْسِ الْوَاحِدَةِ لَا تَجْزُوْ وَلَا أَنْقَسَامُ، وَلَا تَمَيَّزُ وَلَا أَنْفَصَامُ. الْنُفُوسُ مَمْتَزِجَةٌ، وَالْأَمْلاَكُ مُشْتَرَكَةٌ، وَالنِّعَمُ مُتَفَاوِضَةٌ، وَذَاتُ الْبَيْنِ صَافِيَةٌ، وَدَخَائِلُ الصَّدُورِ خَالِصَةٌ. نَحْنُ نَرْتَضِعُ لِبَانَ الْمَمَازِجَةِ، وَنَأْوِي إِلَى وِلَاءِ الْمَوَدَّةِ، وَوَرَاثَةِ الْإِخَاءِ وَالْمِشَارَكَةِ، أَرَى بِهِ

القمرين، وأعدّه ظهيراً على الْمَلَوَيْنِ، ولا أعظم كحق مودّته حقاً، ولا أرى بين النَّفْسَيْنِ فكيف بين المالين فرقا. أنت جارٍ مني مجرى أبعاض جسمي وأعشار قلبي. أنت جزءٌ من نفسي، وناظم شَمْلٍ أنسي. أنت تحلّ مني محلّ العضو من الجسد، واللب من الكبد. فلان يُعزُّ عليّ، ويكبرُ لدي، ويحلّ مني محلّ عَيْنِي وَيَدَيَّ. أنت مني كالعين الناطرة التي تصان عما يُفْذِيها، وآليد ألباطشة التي تُحفظ مما يُدويها. هو شقيق رُوحه، وعديل حياته، وشريك دولته، وقسيمُ نعمته. ما زال مُستودع سري وجهري، ومُشتكى بشي وحزني. هو مني بمنزلة الولد، والعضو من الجسد. قد أحله الله مني محلاً بعيداً في رفعتي، قريباً في أثرته.

المنادمة والمؤانسة

له مدخلٌ في المُداخلة، يثبت في مواقف الأنس قدمه. هم إخوان كما أنفجَ المِشط، وندماء كما أنتظم السِسط. إذا اعتُقت المُنادمة، صارت نسباً دانيا، وكانت رِضاعاً ثانيا. العِشرة رِضاعٌ تثبت حُرمتُه، والمودّة لبان تلزم ذِمّته. قد تقلّبنا في أعطاف العيش بين ألوقار والطيش، وارتضعنا ثُدَي العِشرة، إذ ألزمان رقيق القشرة. كلفة ألودّ هينة، وفروضه مُتعيّنة وأرض العِشرة لينة، وطريقها بينة. أفضنا في العِشرة كيف نضع قواعدها، والأخوة كيف نُحكم مقاعدها. فلان يخرج في العِشرة، من القشرة. أنسي به أنس من نشد الضالة فوجد، وناهض الأمل فبلغ ما قصد. ألمرء مقيسٌ بقرينه وسميره، ومحمولٌ على حُكم جليسه وعشيرته. إخوانٌ مُتوافقون، قد تطابقوا في الآراء، وتآلفوا في الأهواء، وتماالحوا في الطعام، وتراضعوا بالمُدام.

التودد والافصاح عن صدق المحبة والموالة

أنا أتهم عليك عيني وإن كنت لا أتهم قلبي. وأرضي لمودّتك نيتي، وإن كنت لا أرضى لها طاقتي. أنا ما غبت كالمضل أناشد، وإذا رجعت فكالغانم

الواجد. أنا أودُّك بأجزاء قلبي، وأحبك من سوء نفسي. لا مرحباً بعيشٍ
أنفرد به عنك، ويوم لا أكتحلُّ فيه بك، ووددت أن أضرب بحضرتك أطناب
عمري، وأنفق على خدمتك أيام دهري. لا أزالُ أحنُّ إليك، وأحنو عليك.
يا ليت قلبي يتراءى لك، فتقرأ فيه سطور ودي لك، وتقف منها على رأيي
فيك. إني لأسف على كلِّ يومٍ فارغٍ منك، وكلِّ لحظةٍ لا تؤنسها برويتك.
يعزُّ عليَّ أن ينوب في خدمتك قلبي، قبل قدمي، وخطي، دون خطوي،
ويسعد برويتك رسولي، قبل وُصولي، ويردُّ مشرَع الأُنس بك كتابي، قبل
ركابي. أنت من لا يسافر وُدِّي إلا إليه، ولا يُرفرف طيرٌ محبتي إلا عليه. لو
آلتبستُ بك آلتباساً، يجعلُ رأسينا راساً، ما زدتك ودّاً. ولو حال بيني وبينك
سُور الأعراف ما نقصتك حُباً. قد ملّت إليك فما أعتدل، ونزلت بك فما
أرتحل، ووقفت عليك فما أنتقل، مسكنك الشَّغاف وحبة القلب، وخلبُ
الكبد وسواد العين. أنت سابقُ الإخوان البررة، وصاحبُ بيعة الرضوان
والشَّجرة. أنا أتصبح بأسمك، وأتفأل بذكرك، وأحلم بوجهك، وأحتلب ضرع
الشَّعر بذكرك. أنا أعد نفسي بعض إخوانك في آلعدد، وأفوقهم بالتودُّد. ما
في نفسي بقعةٌ أعر من محللك، وأنضرُّ من مسكنك، ولا في قلبي مكانٌ إلا
موشي بذكرك، مُطرزٌ بأسمك. المحبة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسلمٌ إلى
كل شيء وإن علا. أنا والله أجتني قُربك، وأجتوي بُعدك. دوري، هي دورك
وحللك، ووكلاتي هم وكلاؤك وخولك. والله ما تظُلُّ الخضراء، ولا تُقلُّ
الغبراء. عبداً هو أشدُّ مني لك مخالفة، وأقلُّ مخالفة. عهدي لك أكرم
العهود، ووفائي لك وفاء العرق للعود. أسباب المَوَدَّة بيننا موصولة، وطرقُ
الإخلاص عامرةٌ مأهولة.

العبودية والخدمة

عَبْدُهُ حَقًّا، ومملوكه رِقًّا. عبده الصَّريح، وخادمه المُشيع، ووليه

النصيح . عبده الذي سبق له رقه ، ولا يجوز بيعه ولا عتقه . ستجدني متصرفاً مع أمرك حتى تقول خادم ، وطوعاً ليدك حتى تقول خاتم . هو له المملوك والوكيل المكثرى ، والعبد المخلص ، والخادم المتخصص . ما أنزع عن عُقِّي رِباق الرِّقِّ ، ولا أُخرج إلا أتساع العِتق (كذا) .

المناسبة بالعلم والادب والمذهب

كلمةُ الأَدَبِ جمعُتنا ، ولُحمةُ العِلْمِ نظمُتنا . قد أشرَكنا في العقيدة ، وأسْتَهْمنا في السَّريرة . فأكثر من تراه من إخواني ، بنو عَلاَّت أنا وهو من بني الأعيان الأدب نسب واشج ، وألعلم سببٌ ممازج . الأدبُ أقربُ الأنساب ، وألعلمُ أوكدُ الأسباب ، الشُّكولُ أقارب ، وإن تباعدت بهم المناسِب . فرحةُ الاديب بالاديب ، كفرحة المحبِّ بالمحبيب ، والعليلِ بالطبيب .

وصف الشوق

الشوقُ إليك سَمِيرُ ذكري ، ونديمُ فكري . شوقي إليك زادي في سَفْري ، وعَتادي في حضري . شوقٌ لا يُعدى عليه صبر ، ولا يستقلُّ به صدر . شوقٌ يكاد يكون لزاما ، ويُعدُّ غراما . الشوقُ إليك أمامي وورائي ، وحشو ثوبي وردائي . شوقٌ جَرَحَ جوانحي ، وجنحَ عَلى جوانحي . شوقٌ استخف نفسي وأستفزها ، وحركَ جوانحي وهزَّها . شوقٌ قد استنفد جَلدي ، ومَلِكَ خَلدي شوقٌ لو أعلجه الأعرابي لما صبا إلى رَمَلٍ عالِج ، أو كابده الخليُّ لانشئ عَلى كَبِدِ ذات حُرْقٍ ولواعج . شوقٌ تركني أرى الصبر حسرة ، وألوجد يَمَنَةً وِيسرة . شوقٌ يتلهب في الأحشاء قَدْحَه ، ولا يبرح الجوانح برحه . قلبي عَلى جمرة الغضا يتقلَّب ، وكجناح الطير يضطرب . شوقٌ لو خُوف المجرمون بحرّه ، وتُوَعِدَ المشركون بجمره . لَمَّا عُبِدَ صنمٌ ، ولا نُقِلَت في الضلال قَدَم . شوقٌ يجيل قَداحه ، ويُدِيمُ اقْتداحه . شوقي إليك شوقُ الروض إلى الغيث

وَأَلْمَلْهُوْفَ إِلَى الْغُوْثِ.

سوء آثار الفراق والاشتياق وما يتصل بذلك

حالي بعدك حالٌ عودِ ذَوِي بعد آرتوائه، ونجمِ هوى بعد اعتلائه. ما حال
ذاوي نبتِ أَمْسَك مطره، وساري ليل غاب قمره. قد تركني فراقك، وأنا
أشتاقك، وغادرني بُعدك، أفا سي بُعدك. قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيم
الْحُرْقَة، ومع قليل ألبعد، كثير أَلَوْجِد. قد آثنت بجسم ناحل، وبت من
صبري على مراحل. فارقَني فَأَرَقْتَنِي، وفَرَقْتَ جمع صبري، وآستصحب
فريقاً من قلبي. فارقْتُكَ وقد تفرَّق عني شملُ أنسٍ منتظم، وتمكن مني برح
شوقٍ مضطرم. فارقَني ففرقت بين الروح والبدن، وتركَني وآلنزاع في قرن. ما
فارقْتُكَ بعيداً، حتى أَصْحَبْتُكَ من نفسي فريقاً، ولا سِرت مَيْلاً حتى مال
صبري جميعاً. فارقَني ففرقت بين جنبي والمهاد، وجمعت بين عيني
والشهاد. من شاهدني شهدت له حيرتي، دون محاورتي بما أَلَاقيه، وأخبرته
عبرتي، دون عبارتي عما أَعَانِيهِ. ما أُعَوِّلُ إلا على أَلْعَوِيل لو كان يُغْنِي، ولا
أستنصر غير الوجد لو كان يُجِدِي. لولا حَصَانَة الأجل، لخرجت رُوحِي على
عجل. قد صرْتُ حَلِيفَ وَحْشَةٍ وإن كنت ثاوياً في وطن، وفَرِين كُرْبَةً وإن
كنت بين جيرةٍ وسكن. لا آنس بسُكْنَى دار عنك بعيدة، تولا أَسْتوطنها وهي
منك غيرُ قَرِيبَةٍ.

ذكر الوداع

أودعَني إذ ودَّعَني شوقاً يجور حكمه، وقلقاً ينفذُ سهمه. قد ودَّعت
بوداعك أَلْعَافِيَةَ، وفارقت مع فراقك العيشة الراضية، لا أقول إنه بان مني
بينك سيّدٌ وعضدٌ وعميدٌ وسندٌ، ولكني أقول ودعت أيام وداعك دُنْيَايَ التي
كنت أستمع بها، وحياتي التي كنت أُنْتَفِعُ بعوائد أَلِنِعم معها. ودَّعتُ بوداعك

الدعة، والروح والسعة. ملكتني حُرقة تتغلغل بين أللهة والترقي، وخنقتني
لوداعك عبرة تتحير بين الجفون والآقي.

تذكر أيام اللقاء وصفوها

يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأنس. إذ ظهائنا أسحار،
وليلينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار. يا أسفي على رداء من الأيام دقيق
ما لبسناه، حتى خلعناه، وروض من الزمان مربع، ما حللناه حتى فارقناه.
أيامنا والذهر غافل، والباغ قاصر، وروض التلاقي ناضر، حين الذهر غلام،
والجلم حرام. كانت أيامنا من غرر العمر، وغرر الذهر. كيف أنسى تلك
اللمعة من عمري، والصفوة من شربي، وهما غرة في أدهم، وشهاب في
ليل مظلم. سقى الله أياماً لو كان ذهري عقداً كانت واسطته، أو كان عمري
جيداً لكانت قلاته. أيامنا وطرف أبعد أرمداً لا يطرف، ويد الزمان مغلولاً لا
تعسف. أيامنا، والذهر كال المنسر، لين المكسر لا يسود أعتنانه، ولا يجمع
عنانه. أيام طابت مشارعها، ولانت أخادعها. أيام في عود النوى خور،
وليل في باع الدجى قصر. أيام حسنت فكانها أعراس، وقصرت
فكانها أنفاس. أيام مغم رياها، وطاب جناها، وصفا نسيماها،
وخلص نعيمها، وقد خفض الذهر جناحه لنا، ولئن الزمان مهاده بيننا، نأخذ
ما نشاء ونذع، ونلعب كيف شئنا ونرتع، أيامنا التي حازت أيام الشباب حسنا
ورقة، وفاتت أعلام المطارف ليناً ودقة، التي تحجل خدود الرياض، وتفضح
حواشي الحلل، وساعاتنا التي هي الطف من مسارقة النظر، ومخالسة القبل.

الادعية الاخوانية

أعادنا الله للالتقاء فما أرق نسيمة، وألذ نعيمه. أسأل الله أن ينتقم من أيام

النزاع، برد أيام الاستمتاع بالاجتماع. جمع الله شَمْلَ سُروري بك، وعَمَّر عمري بالنظر إليك، وجَعَلَ باقي عيشي معك، والله يُطِيلُ مُدَّتَكَ، ويَحْرُسُ مَوَدَّتَكَ، وَيَصِلُ جناحي بما ينشره عليك من جناح العِزِّ، وَيَمُدُّ عَلَى ساحتك من ظلِّ الكفاية والوقاية. أغناك الله عن إخوانك، ولا أغناهم عنك. إِنْ من أباح لي وَدُّكَ وهو أَكْرَمُ موهوب، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُيسِّرَ لي قُرْبَكَ وهو أَنفُسُ مطلوب. لا وَكَلَّ الله إلى الزمان ما جمعنا عليه من إِخَاءٍ ومصادقة وَصَفَاءٍ ومُخالصة فتبعث بنا أحكامه، وتعيث فينا أيامه. أعاذ الله سيّدي من الأسواء، وسقى ربه غُررَ الأنواء.

ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق

شَكُوتُ الشَّوْقِ فَكَأَنَّمَا عَبَّرَتْ عن قلبي، وقرأت وصفه من صحيفة وُدِّي. ذكرت يا مولاي الشَّوْقَ فهيجت ما يُهيجُه تغريدُ الأَطْيَارِ بالأسحار، والوُقُوفِ بعد الأَحْبابِ عَلَى الدِّيارِ. أما ما شكاه مولاي من الشَّوْقِ وأستطالة سُلْطانه، وآلِيبِ وأستطالة زَمَانِه. فهو عبارة أَحْشَايَ لو نَطَقَتْ، وتعبيرُ رُؤْيَايَ إِذَا صدقت. أما ما شكوت من الشَّوْقِ فأحلف بالله إِنَّكَ صادقٌ فيه، مُستغْنٍ عندي عن إقامة شاهده، بما أجده من مثله. أما شكوى الشَّوْقِ فقد شكوت إلى شاك، وتوجَّعت إلى متوجَّع.

اهدآء السلام

أهدي له السَّلَامَ غُصْنًا طريًا، وورداً جَنِيًّا، وأَحْمَلِه أنفاسَ الشَّمَالِ. فطال ما تَرَدَّدَتْ بين مُحِبٍّ ومُحَبَّوبٍ، وأستودعه نسيم الصبا، فنعم السَّفِيرُ بين شائقٍ ومشوق. سلامٌ كأنفاسَ الأَحْبابِ، وأيامَ الشُّبَّابِ. فلانٌ مَخْصُوصٌ بِالسَّلَامِ الرَّاهِنِ، كما هو مَخْصُوصٌ بِالْمَحَاسِنِ. سلامٌ عليه ملءَ عِراصِه، وتحيّة بحسب إخلاصي وإخلاصه. أخص من السلام بأوفر الأقسام، وأجزل

السَّهَامِ، وَأَسْتَدِيمُ اللَّهَ مُدَّتَهُ بَقَاءَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ. أَخَصُّهُ مِنَ السَّلَامِ بِمَا يُضَاهِي
مَحَاسِنَهُ كَثْرَةً، وَأَشْكُو قَلْقًا لِفِرَاقِهِ وَحَسْرَةً. سَلَامٌ كَأَيَّامِي عِنْدَهُ نَضْرَةٌ، وَأَيَّادِيهِ
عِنْدِي كَثْرَةٌ. أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ عِدَدَ مَحَاسِنِهِ وَمَعَالِيهِ، وَأَثَارِهِ الْحَمِيدَةِ
وَمُسَاعِيهِ. أَهْدِي لَهُ مِنَ السَّلَامِ مَا يَفُوتُ الْعَدَّ، وَلَا يَقِفُ عِنْدَ حَدٍّ. سَلَامٌ
عَلَيْهِ كَأَخْلَاقِهِ الْعَذَابِ، وَمَحَاسِنِهِ الرَّحَابِ.

ذِكْرُ الْعِتَابِ

الْعِتَابُ جَلَاءٌ لِلْمَوَدَّةِ، وَصِبْقٌ لِلْأَخْوَةِ، يُسْتَثَارُ رَوْنُهَا، وَيُسْتَخْرَجُ
فِرْنُدهما. بَيْنَا عِتَابٌ جَحْطَةٌ، كَعِتَابٍ لِحِظَةٍ. مِنْ مَنَافِعِ الْعِتَابِ أَنَّهُ يُطْرِي
خَلْقَ الْوُدِّ، وَيَجْلُو غُبْرَةَ الْعَهْدِ، وَيَدَاوِي أَدْوَاءَ الْقُلُوبِ، وَيُتْرَجَمُ عَنْ خَفِيَّاتِ
الْغُيُوبِ. الْعِتَابُ حَدِيقَةُ الْمُتَحَابِّينَ. وَرَوْضَةُ الْمُتَاصِفِينَ. الْعِتَابُ نِعَمُ الدَّوَاءِ
إِذَا عَرَضَ فِي الْوُدِّ دَاءٌ وَلَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يُصَادَفِ الْعِلَّةُ، أَفْسَدَ الصِّحَّةَ، وَمُعَاتَبَةُ
الْبَرِيِّ وَالسَّلِيمِ، كِمُعَالَجَةِ الصَّحِيحِ غَيْرِ السَّقِيمِ.

شَكْوَى الْأَعْرَاضِ وَالْجَفَاءِ وَسُوءِ الْعَهْدِ

قَدْ رُمِيتُ بِسُوءِ إِعْرَاضِهِ، وَنَصَبَنِي جَفَآؤَهُ أَقْرَبَ أَغْرَاضِهِ. صِرْتُ عِنْدَكَ مِنْ
مَحَا أَلْسِيَانِ صُورَتِهِ مِنْ صَدْرِكَ، وَأَسْمُهُ مِنْ صَحِيفَةِ حِفْظِكَ. أَدْرَجْتَنِي فِي
أَثْنَاءِ الْعَقْلَةِ، وَطَوَيْتَنِي فِي أَدْرَاجِ الْجَفْوَةِ. نَسِيتَنِي وَمَا كَانَ مِنْ حَقِّي أَنْ أُنْسَى،
وَطَوَيْتَنِي فِي صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. بَعْتَنِي بَيْعَ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ فِيمَنْ زَادَ
وَلَكِنْ فِيمَنْ نَقَصَ. أَظُنُّ الدَّهْرَ قَدْ فِطَنَ لَصَفَائِكَ فَكَدَّرَهُ، وَاهْتَدَى لِإِخْوَانِكَ
فَأَفْسَدَهُ. قَدْ هَجَرَنِي هَجْرَةً مُرَّةً، وَقَطَعَنِي قَطِيعَةً فَظِيعَةً. أَنْتَ تَتَذَكَّرُ إِخْوَانَكَ
مَعَ أَهْلَةِ الْأَعْوَامِ، وَتُظْهِرُ لِأَصْدِقَائِكَ مَعَ ظُهُورِ الْإِمَامِ. أُنْزِلْتَ عَلَيْكَ فِي
الْصُدُودِ آيَةً؟ أَمْ رُفِعَتْ لَكَ فِي النُّبُوِّ رَايَةٌ؟. فَلَا نَ عَلَى قَدْرِ عُلُوِّ سَيْنِهِ،
أَنْخَفَاضِ وُدِّهِ. وَبِحَسَبِ عِبَالَةِ جِسْمِهِ، نَحَافَةِ عَهْدِهِ. قَدْ تَرَكْنِي بِدَارِ ضِيَاعٍ،

ومدرجة أضعاف. أدرجني في أثناء الغفلة، كما طوي ثوب على غيره، وأهملني إهمال النسي الذي نُهي عن ذكره، صدّ صدود المخمور عن الخمر، وأعرض إعراض الغواني عن بياض الشعر أراني كلما بُعِدَتْ صُحبة، رَجَعَتْ رُتبة، وكلما طالت خدمة، قُصُرَتْ حِشمة حرّ شوقي لا يصبر على يرد جفائك، ورقّة قلبي لا تُقاوم غِلظة إعراضك. كأنّ الزّمان يستملي انواع الجفوة من طبعك، ويستقي أصناف القسوة من بحرك لا أدري هل أشكوك إلى الدّهْرأم أشكوه إليك؟ فإنكما في قطيعة الصديق رضيعا لبان، وفي استيطاء مركب العقوق شريكا عنان.

سائر ألفاظ العتاب والاستزارة

لا يكادُ خيالك يُغني نوما، فما لكتابك لا يسُرني يوما. أنت سخي بمالك على من يُطالبك. بخيل بكتابك، على من يُكاتبك. تتوسع في ألوف فتضايق في حروف. قد طواني منذُ نشرته، وجفاني حين برّته، وترك أن يُطالع بحرف، أو يطيل المودة إلا على حرف. إن لم يكن لنا مطمع، في درك دَرَك، فأعفنا من شركٍ شرك. في الأرض مجالٌ إن ضاقت ظلالك، وفي الناس واصلٌ إن رثت حبالك. كنتُ أحسبك تهتر إذ لوَحَتْ فصرت ترتز وإن صرحت. قد قام بيني وبين أصلك حاجز من فعلك، سيستحيي لك فضلك من فعلك، وكفى بك نائباً عني في عدلك. هنيئاً لك من جمانا ما تحله، ومن عُرانا ما تحله، ومن أعراضنا ما تستحله. أين يا سيدي ذمار العشرة، وذمام الصُحبة. أتميل عمّن يميل إليك، وتصرف وجهك عمن وجهه لك، وتولي عمن قبلته أنت. هذا ألفناء خصب المراد، فما بالي فيه عسر المراد، وتوفر مولاي على غير مُستزاد، فما بالي حصَلْتُ على غير زاد. ما بالك تبخل علي بالألف من خط قلمك، وتجدد على سائليك بالألف من كرمك، وتناقشني بالأسطر من حوارك، وأنت تسامح الإخوان بشطر يسارك.

وصف العتاب عند الجواب عنه

عتابٌ سماءُوه تمور، ومراجله تفور. تعتابُ يهزُّ الفوارع، وتقرع يحكي القوارع. قد قرع سمعي من عدله، ما جاوز خفق الرعود، وصكَّ قلبي من توبيخه. ما أنسى زئير الأسود. وصلَ كتابك بعثٍ كالعضب، وملامٍ كالחסام. عتابٌ يفلق الحجر، ويقطع الماء العد. عتبٌ مقابله تكرر كرة الأقدار، وعدلٌ كتابه تصول كالفلك المدار، حتام هذا التوبيخ والتهجين والعتاب الهجين. وصلَ كتابك الذي كله عتب وليس ذنب، وعدلٌ وليس عدل، وتقرع وليس تضجيع، وتأنيب وليس تثريب، وتظلمٌ وليس تألم وشكاية وليست نكاية.

لبس الصديق على علاقته والاغضاء عن هناته

قاربته إذا جاذب، وواصلته إذا جانب، وشربته على كدورته، ولبسته على خشونته، وكاتبته أستمداً وداده، وأستلين قياده، وأستميل فؤاده. قد تركته بعرةً، وطويته على غرة. جررت أذيال التغافل دون فرطه، وسرت بأجنحة التجاوز على سقطته. أعرته أذنًا صماء وهي سماعة، وعيناً عمياء وهي بصيرة. سحبته عليه ذيل التغافل، وغضضت دونه طرف التساهل.

وصف الغيظ والحدرد

اضطرب وأضطرم، وأحتد وأحتدم. جاء بأوداج لا يسعها الزران، وعيناه في رأسه تذرانه. فلان يتصلى بنار الصبر ويتصلب، ويتقل على جمر الغيظ ويتقلب. يفور غيظاً، ويتميز حقداً، ويتلظى غضباً، ويتزيد حنفاً. غالب غيظه وهو يغلبه، وكظمه وهو يشغله. قد التهبت جمرة الغيظ في صدره، ونطقت ترجمته ألحدق عن عينه. يغالب نفسه على الاغضاء، ويتلوى تلوى الحية في الرمضاء. فلان غضبان حتى ما تنفع فيه حيلة، ولا تصلحه رقية، ولا تهزه

نادرة، ولا تبسطه مُضحكة. إن أقبلت عليه أعرض عني، وإن حدثته
ازورّ عني، وإن قبلت في عينيه دفع في صدري.

الاعتذار والاستصفاح والاستعطاف

الكرِيمُ إذا قَدِرَ غفر، وإذا أوثق أطلق، وإذا أَسَرَ أعتق. قد هربت منك
إليك، وأستعنت بعفوك عليك، فأذقني حلاوة رضاك عني، كما أذقتني مرارة
انتقامك مني. الحرُّ كريم الظَّفر. إذا نال أقال، وألثيم إذا نال استعطال. قد
هابك من أستر، ولم يذنب إليك من أعتذر. تكلف الاعتذار بلا زلة، كتكلف
الدَّواء بلا علة. لا تُضيقنَّ عني سعةَ خُلقك، ولا تكدرن عليَّ صفوة ودك،
مثل بين يدي، وأذرى مطامع الاستعطاف لديه. إذا شاهدت تلك الشمائل لم
تهبَّ بيننا شمال موجدة، ولم يسكب علينا سحاب معتبه. مولاي يوجب
الصَّفح عند الزَّلة، كما يلتزم البذل عند الخَلَّة. مولاي يولياني صفحة صفحه،
ويولياني العفو من عفوه. مالي ذنبٌ يضيق عنه عفوك، ولا جُرم يتجافى عنه
تجافيك وصفحك، قد زَلَلْتُ وقد يزل العالم الذي لا أساويه، وعثرتُ وقد
يعثر الجواد الذي لا أجاريه. ينبغي أن يكتفي في من التَّأديب بما لا يتجاوز
حدَّ الإصلاح والتهذيب. العفو عن المُجرم من مواجب الكرم، وقبول
المعذرة من محاسن الشَّيم. أعيد مولاي من أن يغلُظ وقد لاطفته، ويقسو وقد
أستعطفته.

ذكر العذر الضعيف النافذ

هذا عُدْرٌ إن كنت عَوَلت عليه، وأتترحت إليه. فقد قطع بك وقت الحاجة
قطعتك في موقف المُحاجة. عذرُك ما زال ينقبض فأبسطه، ويقلق فأمهده
ويتأخر فأقدمه، ويعثر فأنعشه. تلقاني بعُدْرٍ كنار الحباب، ونسج العناكب.
عذرٌ يتعدَّر قبوله، ويتلاشى محصولة. عُذرٌ متضائلُ الشخص، تلوح عليه

سِمَةُ النقص. هذا عُدْرٌ مُنَمَّق، واحتجاج مُلَفَّق. كم هذا التّعثر في أذيال المعاذير، والتعلّق بأسباب المقادير. معاذيرٌ تتعثر في أذيالها، وتنكص على أعقابها، وتطمسُ وجوهها على أذارها، وترد رؤوسهما إلى أذناها. عُدْرٌ لکنه لسانُ الزور، وحاكته يدُ الغرور. أتاني عُدْرٌ يتعثر في ذیل الخجل، ويتلقّع بِقناع العيِّ والوَجَل. عُدْرٌ لم يتول الحقُّ نَسَجَه، ولم يوضح الصّدق نَهَجَه.

ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة والموجدة

قد نَزَعَ الله ما كان في صدري من غلٍّ، وجعلتُ فلاناً ممّا سلف في حلٍّ. قد أنطفأت تلك ألوقدة، وأنحلت تلك العُقدة، وزال سُكْرُ الغيظ، وسكت لسانُ الغضب. كم نابٍ بعطفه أناب، ومزورٌ بجانبه تاب. وصلَ فلانٌ جبلَ الأخوة، ورَمَّ أسباب المودة، وطوى بساط الوحشة، وطوى ما كان يَنهَج من ثوب الثقة. قد رأيت بأن أطوي بساط الوحشة، واخفض عماد النبوة، وأخرجه وأخرج معه عن ضيق المناقشة، إلى فُسحة المسامحة، وعن حزونة المعاصرة، إلى سُهولة المعاشرة. قد زال عَتْبُنَا، وأنقطع مَلَأْمُنَا، وصيرنا إلى الْحُسْنَى ورق كلامنا. قد أنطفأت نارُ عتبه، وسكنت شِقْشِقَةُ سَبِّه. أما سَوْرَةُ الغضب فقد بَرَدَتْ، وفورة الغيظ فقد خمدت. أما الْعُدْرُ فقد تصرفَتْ منه فيما لو أتى الدَّهْرُ بمثله، لصفح عن صُروفه، وأمن المحذورُ من مخوفه. لا جَرَمَ أنه عَفَى معالمَ الجُرم، ولم يُبق من العتبِ على رَسَمٍ ولا اسم.

آخر كتاب الإخوانيات وما يأخذ مأخذها، والله الحمد والمنة

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب السلطانيات

وما يأخذ مأخذها

ذكر الخلفاء

قد خصَّه الله بشرف الولادة ، وحاز له إرث النبوة ، وبوّاه محلّ الخلافة ،
وأسترعاه أمر الأُمة . لا دُنْيا إلّا به ومعه ، ولا دين إلّا لمن تولّاه وأتّبعه . قد
أجْتباه الله لوراثَةِ الرِّسالة ، وجعل طاعته فرقاً بين الهدى والضلالة ، وجعل
آيَتَه الكبرى ، ورايته ألعلياً ، إذ كان راعي دين الله وإمامه ، ووارث عِلْمِ
رسول الله ومقامه . كافِلُ الأُمة وراعيها ، وسائس اللّهُ وحامِيها . سليل النُّبوة ،
وعَقِيدُ الخلافة ، وسيد الأَنام ، والمستنزل بوجهه دُرُ الغمام . إن الله شفّع
النُّبوة بالخلافة إكمالاً للرحمة والرأفة ، وقرن الرسالة بالإمامة نظراً للخاصّة
والعامّة . قد حاز الله لمولانا أمير المؤمنين موارث آبائه الراشدين الدّائدين
عن حوزته ، اللاحنين بحجّته ، العامرين لبلاده ، الرّاعين لعباده ، الأمرين بما
أمر ، الناهيين عما حُظر . مولانا كَفُوُ الملُك ، وكافي الخَلْق ، ورب السّرير ،
ورب التّدبير .

ذكر السلطان وطيب ثمره من والاه وسوء مغبته من ناواه

السلطان ظلُّ الله في أرضه ، والمؤتمِنُ على حقّه ، وأليدُ المبسوطة على
خَلْقِهِ ، يَرْحَمُ ما وسَّعت الناس النُّعمة ، ويُعاقب إذا أصلحتهم النُّقمة ، عالماً

أَنَّ اللَّهَ قَرْنَ وَعَدَهُ بِوَعِيدِهِ وَثَوَابَهُ بِعِقَابِهِ مَنَحَةً سَابِغَةً، وَحَكَمَةً بِالْغَةِ. السُّلْطَانُ زِمَامٌ عَلَى الْمِلَّةِ، وَنِظَامٌ لِلْجُمْلَةِ، وَجَلَاءٌ لِلْغَمَّةِ، وَرِبَاطٌ لِلْبَيْضَةِ، وَرِعْمَادٌ لِلْحَوِزَةِ. مَنْ عَصَى السُّلْطَانَ فَقَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ. السُّلْطَانُ يَدَافِعُ عَنْ سَوَادِ الْأُمَمَةِ. وَبِيَاضِ الدَّعْوَةِ. مَنْ شَايَعَهُ حَمْدَ يَوْمَةٍ وَعَدَهُ، وَرَعَى مِنْ أَلْعِيشِ أَرْغَدَهُ، وَمَنْ نَابَذَهُ كَانَ فِي الْأَشْقَيْنِ مَكْتُوبًا، وَلِلْغَمِ وَالْيَدَيْنِ مَكْبُوبًا. مَا يَلْجَأُ إِلَيْهِ لِأَجِيءٍ إِلَّا سَعِدَ جَدُّهُ، وَوَرَى زَنْدُهُ، وَنَفَذَ حَدُّهُ، وَزَادَ عَلَى يَوْمِهِ غَدُهُ، وَلَا يُفَارِقُ الْإِعْتِسَامَ بِحَبْلِهِ مَفَارِقُ إِلَّا حَالَفَهُ الْخُسْرَانُ، وَعَانَقَهُ الْخُذْلَانُ، وَرَصَدَتْ لَهُ الْمَنُونُ، وَلَمَحَتْهُ الْحَرْبُ الطَّحُونُ.

العدل وحسن السيرة

سَطَعَتْ مَصَابِيحُ الْعَدْلِ وَأَنْوَارُهُ، وَطَلَعَتْ شَمُوسُ الْأَمْنِ وَأَقْمَارُهُ. قَدْ أَحْيَا سُنَنُ الْعَدْلِ، وَأَمَاتَ سِيرَ الْجَوْرِ فَحَمَى الدِّينَ مَنِيعٌ، وَجَنَابُ الْمَلِكِ مَرِيحٌ. قَدْ بَسَطَ لِرَعِيَّتِهِ فِرَاشَ الْعَدْلِ، وَرَدَّ إِلَيْهِمْ رِيَاشَ الْفَضْلِ. قَدْ أَنَامَ الْأَنَامُ فِي ظِلِّ عَدْلِهِ، وَوَسِعَهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَفَضْلِهِ. رَعِيَّتُهُ نِيَامٌ نَوْمَ الْأَمْنَةِ، وَسُكَارَى سُكْرِ الثَّرْوَةِ، وَمَتَكُونُونَ عَلَى فِرَاشِ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ، فِي يَدِهِ خَاتَمُ عَدْلٍ، وَفِي حُكْمِهِ صَارُمُ فَضْلِ. نَفُوسُ الرُّعِيَّةِ فِي ظِلَالِ السَّكُونِ وَادِعَةٌ، وَفِي رِيَاضِ الْأَمْنِ رَاتِعَةٌ. أَقْلَعَتْ غَمَائِمُ الشَّرِّ فِي أَيَّامِهِ، وَأَنْقَطَعَتْ سَمَائِمُ الظُّلْمِ بِأَحْكَامِهِ. بَرَزَ الْهَقُّ فِي أَحْسَنِ مَلَابِسِهِ، وَنَجَمَ الْعَدْلُ فِي أَزْكَى مَغَارِسِهِ. أَطْلَعَ كَوَكَبَ الْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيًا، فَأَوْضَحَ مَذْهَبَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيًا.

حسن السياسة وتصريف أئنة المملكة

قَدْ صَرَفَهُمْ بَيْنَ مِيعَادِهِ، وَخَشُونَةِ إِيعَادِهِ، وَأَرَاهِمَ بِرِيقِ حُسَامِهِ، مَشْفُوعًا بِبُرُوقِ إِنْعَامِهِ. صَرَفَهُمْ عَلَى مَا هُوَ لَشْمَلُ الدِّينِ أَجْمَعِ، وَلِكَلِمَةِ الضَّلَالِ أَقْمَعَ. مُسْتَقَرٌّ فِي ذُرْوَةِ عِزِّهِ، مُسْتَقِيلٌ بِأَعْبَاءِ مُلْكِهِ. يَتَصَرَّفُ لِلسِّيَاسَةِ بَيْنَ رِفَقٍ مِنْ غَيْرِ

ضُغْف، وَخُشُونَةٌ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، عَلَى بِلَادٍ مَمْلُكَةٍ، مِنْ حُسْنِ سِيَاسَتِهِ. حَرَسَ
تَتَبَعَ الْمَرْقَةَ بِشُهْبِ الْإِرْدَاءِ وَالْإِتْوَاءِ، وَرَصَدَ يَعْقُبُ الْفَسَقَةَ بِرُجُومِ الْإِبَادَةِ
وَالْإِفْنَاءِ. لَا يَدْعُ الْفَسَادَ يَسْرِي، وَدَاءَ الضَّلَالِ يَسْتَشْرِي. قَدْ عَوَّدَ فِي مَمَالِكِهِ
الْحِيَاطَةَ حَتَّى لَا يُحِلَّ حَرَامُهَا، وَلَا يُنْفَذَ سَوَامُهَا، وَلَا تُذْعَرُ جَوَانِبُهَا، وَلَا تُدَبُّ
عَقَارِيهَا. قَدْ بَسُطَ ظِلُّهُ عَلَى النَّهَارِ حَتَّى لَا تَشُبُّ نَوَائِبُهُ، وَعَلَى اللَّيْلِ حَتَّى مَا
تُدَبُّ عَقَارِيهِ. رَعَاهَا وَهِيَ تُغْرِي رَاعٍ، وَحَمَاهَا وَهِيَ سَرَحَ يَضَاعُ، هُوَ عَلَّمَ فِي
الْعِلْمِ بِالسِّيَاسَةِ، وَجَامَعَ مَصْلَحَةَ الْعَامَةِ إِلَى مَصْلَحَةِ الْخَاصَّةِ.

يَمْنُ النَّقِيبَةِ

قَدْ عَظَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ أَلَمَنَ، وَبَسَطَ بِمَكَانِهِ عَلَيْهِمُ الْإِمْنَ، وَعَرَقَهُمْ بِطَلْعَتِهِ
الْيُمْنِ. أَوْلِيَاؤُهُ مِنْهُ بَيْنَ ظِلٍّ مَمْدُودٍ، وَنَجْمٍ مَسْعُودٍ. قَدْ أَهْدَى إِلَى أَلْبِلَادِ أَمْنًا،
وَقَدْ خَيَّمَ فِيهَا الذُّعْرَ، وَأَسْتَحْفَظَ عَلَى أَلْبِلَادِ خَيْرًا، وَقَدْ حَوَّمَ عَلَيْهَا الشَّرَّ. أَيَّامُهُ
تُشْرِقُ إِشْرَاقَ الصَّبَاحِ أَلْلَامِعِ، وَأَثَارُهُ تَضِيءُ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ أَلطَّالِعِ. جَرَى مَجْرَى
الْغَيْثِ إِذَا عَمَّ وَطَبَّقَ، وَقَرْنَ الشَّمْسُ إِذَا ذَرَّ وَأَشْرَقَ، حَلَّ مَحَلَّ الْغَيْثِ عِنْدَ
اللَّذْبَةِ، وَالْغَوْثِ عِنْدَ الْكُرْبَةِ. أَفَاضَ الْخَيْرَ وَدَوَاعِيَهُ، وَحَسَمَ الشَّرَّ وَعَوَادِيَهُ.

اتساع المملكة والإستظهار بالرجال وكثرة الأموال

قَدْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ ثَرَةً مِنَ الدُّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَثْرَةً مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَبْطَالِ، اسْتَظْهَرَ بِكُلِّ
مَا أَقَامَ مِنْ دِينِ اللَّهِ أَوْدًا، أَوْ هَاضَ مِنْ عَدُوَّةٍ جَنَاحًا وَيدَا. قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْهِ الدُّنْيَا
أَزْمَتَهَا، وَمَلِكْتَهُ الْأَرْضُ أَعْتَتَهَا. قَدْ وَطَّأَ اللَّهُ لَهُ مِهَادَ الْمُلْكِ، وَأَعْطَاهُ مَفَاتِيحَ
الْأَرْضِ لَانتَ لَهُ أَخَادِعُ الْبِلَادِ، صَفَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا، وَدَانَتْ لَهُ الْجِيُوشُ
بِجَمَاهِيرِهَا. قَدْ أَعْلَى اللَّهُ كَلِمَتَهُ، وَرَفَعَ حَكْمَتَهُ، وَأَعْلَى يَدَهُ وَجُنْدَهُ، وَجَمَعَ
أَسْبَابَ السَّعَادَةِ عِنْدَهُ، قَدْ مَلَكَهُ اللَّهُ أَقْطَارَ بِلَادِهِ، وَنَوَاصِي عِبَادِهِ، قَدْ عَوَّدَ اللَّهُ
دَوْلَتَهُ ثَبَاتَ الْأَرْكَانِ، وَتَظَاهَرَ الْعِزَّ وَالسُّلْطَانَ، وَاسْتَظْهَرَ الْأَنْصَارَ وَالْأَعْوَانَ.

بنود مرفوعة بالنصر، وجنود كعدد القطر وأموال ككثبان الرمال، وذخائر أملاء
الهمم والآمال.

ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجدد الميمون الطالع

لأن أمره كل متصغر، ودان لحكمة كل متوغر، واستجاب لإرادته ما
ارتاد، وأنضاف إلى مملكته ما استضاف وأزداد. سعادته تستخدم الأفضية،
وتعبد الدروب أفضية. أفضى به فتح إلى فتح، وقضى الله بنجح إلى نجاح،
وورع منابذه بين أظفار الدهور، وقسم مخالفه كأعشار الجزور. البلاد
تتراحم على قصده، والفتوح تتسابق إلى يده. صولته سيان عندها المفاتيح
والمغاليق، والمنديح والمضايق. سعادته تدع الدروب صحاصح، وتذر البحور
صحاصح. هو من يخدمه النصر والنصل، ويقدمه القضاء والفصل. لورقى
إلى ألفلك حتى يتناول السعدنين بيديه، ويطاء النحسين بنعليه، لكانت همته
تعدوعدة بأزيد من ذلك وأكثر، وأعلى وأفخر. ما يهيم بأمر إلا أنفتح رتاجه، وهان
علاجه، ولأن شديده، وقرب بعيدة. لم ترد له قط راية، ولا فاتته من مطالبة
غاية. مخاطب من تفضل الله بالسنه الظفر، موعود في مناويته بتصاريف
الغير. ما يتعذر على أمره معتاص، ولا يكون عن رأيه مناص. العز شامل،
والتمكن متكامل، والعدو مذل، والولي مدال. قد ساق الله إليه عظام
المناجح والمنايح، وكتب له في صحائف النصر بأقلام الصفائح. السعادات
إلى حضرته تتوالى توالي القطار، وتعم كافة العراض والأقطار. الملائكة
جنوده، وأخذات عبدة. آراؤه مفاتيح كل فتح، وراياته ضوامن كل
نجاح.

اصلاح المملكة وإحسان الآثار وتطبيب الأخبار فيها

أحمد جمر آفنته، ومحا رسم الفرقة وجمع شمل الألفة. أقام قنات الدين،

وَمَدَّ رِوَاقَ الْمَلِكِ، وَبَسَطَ بَاعَ الْعَدْلِ، وَأَطَالَ عِنَانَ الْإِحْسَانِ. تَوَفَّرَ عَلَى
الْأَطْرَافِ فَحْرُسَهَا، وَأَنْتَدَبَ لِأَثَارِ السُّوءِ فَطَمَسَهَا. لَمْ يَدْعُ لِلْبَاطِلِ عِلْمًا إِلَّا
وَضَعَهُ، وَلَا رُكْنًا إِلَّا ضَعُضَعَهُ. أَذَكَّى مِنْ نَوْرِ الْحَقِّ مَا خَبَأَ، وَأَنْهَضَ مِنْ نَوِّ
الْعَدْلِ مَا خَوَّى، وَحَاطَ مِنْ جَمَى الْخِلَافَةِ مَا وَهَنَ وَوَهَى، ثَقَّفَ قَنَاةَ الصَّلَاحِ
فَلَا تَنَادَى، وَقَطَعَ مَوَادَّ الْفُسَادِ فَلَا تَعْتَادُ. حَقَّنَ الدَّمَاءَ، وَسَاسَ الدَّهْمَاءَ، وَأَقْبَلَ
عَلَى مَصْلَحَةِ الْكَافَّةِ، وَبَسَطَ الْمَعْدِلَةَ وَالرَّافَةَ. كَمَ مُثَمِّمٌ كَفَاهُ، وَدَاءَ فُسَادٍ
شَفَاهُ، وَجَنَاحَ ضَلَالٍ حَصَّه، وَرَاشِشَ خَبَالٍ عَمَّهُ بِالْكَوَالِ وَخَصَّهُ. قَوَّى كَاهِلَ
الدِّينِ وَسَاعَدَهُ، وَمَهَّدَ أَسَاسَ الْمَلِكِ وَقَوَاعِدَهُ. قَدْ حَصَلَ لَهُ مِنْ جَزِيلِ
الْأَجْرِ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ، مَا لَا تَزَالُ الرِّوَاةُ تَدْرُسُهُ، وَالْأَتَوَارِيخُ تَحْرُسُهُ. رَفَعَ اللَّهُ
بِمَعَالِيهِ أَعْلَامَ الْإِسْلَامِ، وَدَفَعَ بِمَسَاعِيهِ صَوَاعِقَ الْأَيَّامِ. اجْتَنَّتْ أَصُولُ الضَّلَالَةِ
وَفَرَّوَعَهَا، وَحَصَدَ نَجْوَمُهَا وَزَرَّوَعَهَا، وَأَبْطَلَ الْبَاطِلَ، وَأَحَقَّ الْحَقَّ، وَأَحَلَّ
النَّقْمَةَ بِمَنْ فَارَقَ الْعَصَا وَشَقَّ.

ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب الدولة وأوليائها

سَافِرُ رَأْيِهِ وَهُوَ دَانٍ لَمْ يَنْزَحْ، وَسَارَ تَدْبِيرُهُ وَهُوَ ثَائِلٌ لَمْ يَبْرَحْ. النِّجَاحُ مَقْصُورٌ
عَلَى تَدْبِيرِهِ، وَالصُّوَابُ مَقْرُونٌ بِإِمضَائِهِ وَتَقْدِيرِهِ، فَمَا قَدَّمَ فَعَنَ عَجُزُ أَمْرِ حَدِّثِهِ
بِهِ صَدْرَهُ، وَمَا أَخَّرَ فَلَعَزَمَ حَزْمُ تَحَقُّقٍ لَدَيْهِ قَدْرُهُ. وَرَثَ ذَاكَ الْمَقَامَ بِحَكْمِ
الْإِسْتِحْقَاقِ الزَّائِدِ، لَا الْإِتْفَاقِ الْمُسَاعَدِ، وَالِإِسْتِثْنَاءِ بِالْمَحَامِدِ وَالْمَنَاقِبِ، دُونَ
الْإِثَارِ بِالْهَوَى الْغَالِبِ. سَهَّلَ الْمَتَعَدِّرَ، وَذَلَّلَ الْمَتَوَعِّرَ، وَأَنَالَ الْبَعِيدَ، وَأَلَانَ
الشَّدِيدَ. هَدَى إِلَى إِجْهَادِ النَّفْسِ فِي الْمَصَالِحِ، وَوَقَفَهَا عَلَى سَبِيلِ الْمَرَاشِدِ
وَالْمَنَاجِحِ، وَآسْتَفَاءَ الْحَقَّ بِأَقْصَى الْإِسْطَاعَةِ، وَإِعْطَاءَ لَهُ مِنْ غَيْرِ إِضَاعَةِ. هُوَ
بَيْنَ صَدْعٍ يُشْعِبُ، وَثَائِي يُرَاقِبُ، وَشَعْتٍ يُلَمُّ، وَشَتَاتٍ يُجْمَعُ، وَخَرَقٍ يُرْقَعُ،
وَدِمَامٍ يُؤَكَّدُ، وَعَهْدٍ يُؤَيَّدُ، وَثَغْرِ يُسَدُّ، وَعَضْدٍ يُشَدُّ، وَعَقِيرٍ يُوسَى، وَمُهْجَةٍ
تُسْتَحْيَى، وَحُشَّاشَةٍ تُسْتَبْقَى. هُوَ بَيْنَ نُصْحٍ يُؤَثِّرُهُ، وَجَمِيلٍ يُؤَثِّرُهُ. هُوَ مُدَبِّرٌ

أَلَامْرُو مَقْدَرِهِ، وَمُورِدُ الرَّأْيِ وَمُصْدِرُهُ لَيْسَ قَلَمُهُ إِلَّا أَوْضَحَ مِنْ أَلْسِيفِ غَرَرَا،
وَأَحْسَنَ مِنْ أَلَذْبِ عَنْ أَلْبِيضَةِ أَثَرَا، قَلَمُهُ نَاسِجٌ وَشَيْ مَمْلَكَتِهِ، وَنَاطِمٌ عِقْدِ
دَوْلَتِهِ.

ذِكْرُ حَضْرَةِ الْمَلِكِ وَسَاحَةِ السُّلْطَانِ

حَضْرَتُهُ مَوْقِعُ الْوُفُودِ، وَمَطْلَعُ الْجُودِ، حَضْرَتُهُ مَلَقَى الرِّجَالِ، وَقَبْلَةُ الْأَمَالِ
مَثَابَةُ الْمَجْدِ، وَكَعْبَةُ الْمَلِكِ. مُحِطٌ رَحْلَ الْكَرَمِ، وَغَايَةُ مَبْلَغِ الْهَمِّ. مَنَزَعُ الْمَجْدِ،
وَمَطْلَعُ الْفَضْلِ، وَمَرْجِعُ الْأَمَلِ، وَمَوْضِعُ الْإِحْسَانِ، وَمَرْبِعُ الْمَلِكِ، وَمَوْقِعُ
الرَّجَاءِ قَدْ حُطَّ بِأَخْصَبِ رِبْعٍ، وَأَقْرَبِهِ مِنْ زَرْعٍ وَضَرَعٍ. حَضْرَةُ يَنْصَبُ إِلَيْهَا
مَوَادُّ الرِّغْبَاتِ، وَتُنْشَدُ فِيهَا ضَوَالُّ الطَّلِبَاتِ. مَثَابَةُ الْجُودِ، وَمَطْلَعُ الْوُفُودِ،
وَمَوْسِمُ الْأَدَابِ، وَمَوْكِبُ الْكِتَابِ. كَعْبَةُ الْأَمَلِ، وَقَبْلَةُ الطَّلِبِ، وَالْحَاكِمَةُ
بِبُلُوغِ الْأَرْبِ، وَحُسْنِ الْمُنْقَلَبِ. عَرْضُهُ هِيَ حَضْرَةُ الْعَدْلِ، وَسَاحَةُ الْفَضْلِ،
وَمَقَرُّ الشُّكْرِ، وَمَضْرَعُ الْفَقْرِ. مَجْمَعُ الْفَضَائِلِ وَمَعْدِنُهَا، وَمَرْتَعُ الْمُحَامِدِ
وَمَوْطِنُهَا. هِيَ كَعْبَةُ الْمُحْتَاجِ، إِنْ لَمْ تَكُنْ كَعْبَةُ الْحَاجِّاجِ، وَمَشْعَرُ الْكَرَمِ، إِنْ
لَمْ تَكُنْ مَشْعَرُ الْحَرَمِ، وَمُنَى الضَّيْفِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مَنَى الْخَيْفِ وَقَبْلَةُ الصَّلَاتِ،
إِنْ لَمْ تَكُنْ قِبْلَةُ الصَّلَاةِ.

ذِكْرُ الْوُصُولِ إِلَيْهَا وَالْخِدْمَةِ بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ وَالْيَدِ

وَصَلَ إِلَى رِوَاقِ الْعِزِّ، وَمَسْتَقَرِّ الْمَلِكِ. حَلَّ بِرَبْعِ مَانُوسٍ، وَمَلِكٍ
مَحْرُوسٍ، وَأَسْتَقَرَّ بِسَاحَةِ خَضِرَةٍ، وَحَصَلَ عَلَى عَيْشَةٍ نَضِرَةٍ، مِثْلُ إِزَاءِ
السَّرِيرِ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْأَرْضِ بِالتَّقْبِيلِ. فَرَشَ الْأَرْضَ بِيَدَيْهِ فَرَشًا، وَنَقَشَ
الْأَتْرَابَ نَقْشًا. أَقْبَلَ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَضِ، بِتَقْبِيلِ الْأَرْضِ. لَمَّا رَأَى قِبْلَةَ الْأَمَلِ،
أَقْبَلَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْقَبْلِ مَسَحَ الْأَرْضَ بِتَعْفِيرِهِ، وَوَصَلَ سَجُودَهُ بِتَكْفِيرِهِ، قَبْلَ
الْيَدِ الْعَالِيَةِ بِالْمَكَارِمِ، الطَّاهِرَةِ مِنَ الْمَآثِمِ. قَبْلَ مَنْ أَنْأَمَلَهُ مَفَاتِيحَ الْأَفَاقِ،

وينابيع الأرزاق. قبل اليد التي هي قبلة القبل وكنز الأمل.

ما يقع في هذا الباب

من ذكر العُصاة والأعداء ووصف أحوالهم ونعت أفعالهم

البطر وكفران النعمة والضميم والإستيلاء

فلانٌ قد أثرى فبغى، وأستغنى فطغى. أرضته الموهبة فتسخطها، وشملته النعمة فغمطها. نعم تترتع في أكلائها، وتغفل عن شكر آلائها. ما زالت الأيام تكشف لنا عن مساويه، وغلط رأينا فيه، وتدل على أن الإحسان إليه يفسده بقدر ما يصلح من النجيب، والإيناع يضر فيه بقدر ما ينفع في ألبيب. انكشف عنه حس الإصطناع، عن قبح الإمتناع، وكثرة البر، عن قلة الشكر أشر حين أنست وحشته، وغدر يوم صفت عيشته، جحد النعمة بعد أن رفعت عن حمول، وغمط الصنيعة وقد أطلعت عن أفول. غمط النعمة التي أوجدته عن عدم، وحلته عن عطل. أساء مجاورة النعم فكفرها، وجلل صفحة الصنيعة بالغموط فأنكرها. لبس ثوب الخذلان، وجاهر بالبغي والعدوان، وقابل النعمة بالكفران. حسب أن الغنم في الكفران والكنود، وأن الثعالب تسطو في مرائب الأسود.

ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة والآراء الفاسدة

قد ركب أضاليل الهوى، وأباطيل المنى، وأحاديث النفوس الكواذب، وسؤوس الآمال الخوائب، هيهات ما أضل ذلك من رأيٍ واسوأه من اختيار وأبعده من سدادٍ وصواب، وأخلقه بعائدة وبالٍ ونكال. يفتل في حبل المنى غارباً وذرى، ويخبط خبط العشواء سبراً وسرى. قدر أن مغمز رأينا يلين له، وأيدي انتصارنا تقصر عنه، فركب راسه، وأطاع وسواسه. يتمنون الأماني

الكاذبة، ويظنون الظنون الخائبة. وقد غرته نفسه، وكذبه أمله وحسه. حسب أنه يزاحم لُيُوثَ الشرى، بنعام القرى، وآساد الغابة، بأعيار العانة. تأمروا بنجوى الضلالة، وترددوا في كواذب الآمال. رَعَوْا مَرَاتِعَ الظُّنُونِ، ولم يَرَوْا مَطَالِعَ الْمَنُونِ.

المداجاة والمراوغة في تربص الدوائر

قد طالت للدولة مُداجاتُهُ، ودامت لأوليائها مماراته. يوهم طاعةً يُضمِرُ خلافها، ويتربص فتنةً يَسْتَدِرُّ أخلافها. ما زال يُوهِمُ وِفاقاً، ويُضمِرُ نفاقاً، ويبدلُ صِدْقَ طاعةٍ وولاءٍ، وَيُسِرُّ حَسْوَاً في ارتغاء. قد تحلَّى بموالاتٍ وموافقةٍ لِبَسْهَما عَلَى مُداجاةٍ ومُنافقةٍ وتجلبب طاعةً شاكر طائع، قد أَفاضها على جُثمان خالغ. هو يوكي عَلَى الْغِشِّ عِيَابَهُ، وَيَحْنُو عَلَى الْكَثِّ ضُلُوعَهُ وحجابه، ولا يُبدي لنا باديةً وفاق، إِلَّا عن خافيةٍ نفاق، ولا يُطلعُ طالعةً وداد إِلَّا عن خيبةٍ عناد، ولا يبرُزُ في شِيمَةٍ من شِيمِ التَّقَرُّبِ إلى قلوبنا، إِلَّا كانت غِطَاءً عَلَى حيلةٍ يَعمَلُها، وغيلةٍ يَرُصدُ لها، وغشاءً عَلَى فُرْصَةٍ يَنْتَهِزُها، وغِرةٍ يَهْتَلِها. طاعةٌ تُبدى صفحتها، وإن لم تُخلص صفقتها، يُظهر المُعاضدة، ويُطنِ المعاندة. هو مُضِبٌّ على النفاق، مُعَدٌّ للشقاق. يلقي الأُلياءَ بوجه، والأعداءَ بقلب، ويكشر لهؤلاء عن بُغض، ولهؤلاء عن حُب. أظهر تسليماً يتخلله لجاج، وأبدى استقامةً يُكدرها أعوجاج.

تسويل الشيطان لمن يقرع باب العصيان

قد نعي الشيطان في آذانهم فاستجابوا لدُعائه، وحسَّن لهم إسخاط سُلطانهم فأسرعوا إلى ندائه. أوسعهم الشيطان تسويلاً، وأستهواهم تغريراً وتضليلاً. نفخ الشيطان في سَحَرِهِ ومناخره، وضرب بالأَسداد بين أوائل أمره وأواخره، وحَبَّبَ له العِنادَ حتى شَيَّطَ بلحمه ودَمِهِ، وكرَّه إليه الرِشادَ حتى ألقاه وراء ظهره وتحت قدمه. صافح الخِذلانَ فغادره رهيناً، وقَارَنَ الشيطانَ وساء

قرينا. استزَل الشيطان قدمه، وعَرَضَ دمه، وأطال ندمه، نَزَغَ له شيطانه، وامتدت في الغي أسطانه، وجد الشيطان بينهم منزعا، ولصائب سهمه فيهم منزعا. عاد الشيطان يُسدي ويلجم في إلقاح الشحناء، ويُسرج ويلجم في إلقاء العداوة والبغضاء. طاوَعَ شيطانه إذ أظله، وزلَّ معه حين استزله. قد أنخرط في سلك، وأظهر كلمة العصيان. أبى إلا امتداد عِنايه، في الانقياد لشيطانه، واشتداد قُواه، في الاستسلام لهواه.

ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما يتعلق بخلال العصيان

أقام عَلَى الغي الذي هو له موضع، وآلبي الذي هو فيه موضع. حلف عَلَى الموالاة فحنث، وعَهد في المصافاة فنكث، علمتُ حال فلان في حينه وشقائه، وسفاهة عقله ورأيه ودُخوله في ظلمة المَعصية، وخروجه من نور الطاعة، وركوبه المركب الذي لا بُدَّ أن يترجَّل راكمه، بل يتخذل فارسه. فلان قد عصى، وشقَّ العصا، وخلع ربة الطاعة، وفارق ظل الجماعة، جُنَّ وقلب المجن. عكف عَلَى استضلال الغُوة، وصار مِجَنَّا دُون الْجَنَّة. قد مَدَّ يداً قصيرة، لِيَتَنَاولَ غَايَةً بعيدة. فُضَّ خَتامُ العافية بِالْعُدْرِ، وبدد شَمْلُ الخَبَرِ بِقَلَّةِ الشكر. قد شرب كأس الجهالة، وأستوطأ مَرَكَبَ الضلالة، عادَ زَنْدُ شرِّه قادحا، وفَتِي ضَرَّه قارِحا. قد شَمِلَتْ مَعْرَتُهُ، وعظمت مَضَرَّتُهُ. راغ عن المذهب القويم، وزاغ عن الصراط المُستقيم. أضله عماء، وزَلَّتْ به قدماء. تسنَّم وَعَدَ الخُطَّةَ العظيمة، وركب ظهر الفِتْنَةِ الجسيمة. طار في ضلاله ووقع، وتاه في غيه وتسكَّع. امتطى ظهر الإغتراب، وأطاع داعي ألبوار ذهب في العصيان شَرَّ مَذْهَب، وامتطى من الطُغيان أصعَبَ مركب. رشح أطفال الضغائن، وأحيا أموات السخائم، وأدَبَ عَقَارِبَ الشَّرِّ، وأدَّرَ لِقاح الجور، وأيقظ نائم الفتنه، وأوقد نار الحرب. قد نَزَتْ به نوازي البطنة، وهدرت عَلَى يده شقاشق الفتنه.

في التعرض للهلاك واستجلاب سوء العاقبة

ذكرتُ حديثَ ألباحث عن مديته، الأكل لذيته، المُتَبَرِّمُ بعمره، المنتهي إلى آخر أمره. تعرّض لاحتلاب أبلية، وتحكك بأجتذاب المنيّة. ما هو إلاّ الفَراشةُ دَنَت من التّبار، فحامت حول النّار، والنّملةُ قُرِبَ اجتياحها، فنبت جناحها. قد ثنى إلينا عنقا أعنقت إليه الحُتوف، وأبرقت نحوه السيوف. امتطى ظهراً لا ينجو راكمه، ولا يُفضي إلى نُجَحٍ صاحبه. فهو بين هلاكٍ وبرهقه، وأشراكِ توثقه وتوبقه، يستعين بالأعناق المُنتصبّة، على السيوف الملتهبة. مثله في مخالفته طرائق الحزماء، وخلائق الحُصفاء، مثل الفُراش المتهافت في الشّهاب، والنّقد المتهجم على ليوث الغاب. قد خاطر بالنّفس، وتصرّف مع النّحس. تهافت ألبقّ في الشّهاب، وولوغ الدُّباب في الشّراب. يتردّدون في مرائب الضّراغم، ومكامن الأراقم. تردّد القانص في مراتع الغُزّلان، ومسارح الظّلمان. لا ينهّاهم عن جيشنا زئير أسوده، ولا يصدّهم عن حمانا ديب سوده، ما هو إلاّ ذريّة الرّماح، وعرضة الحين المتاح فَعَلَ فِعْلُ ألباحث عن مديته، المتعجّل إلى انقطاع مُدته، وطار في رأسه. ما أظنه يطيره عن جسده، ويقتطعه ليومه بالجهل عن غده. أعماه غليانُ دمه، عن موقع قدمه، وأغشاه اشتياق الحتف إلى قبضه، عن شمس أرضه، لم يذر أن عريسة الأسد، ليست من مراسم النّقد. هم أغمارُ تناهت بهم الأعمار. هو أوّل جانٍ على نفسه بيده، ومتعرّضٌ لهلاكه بجهده. فلانٌ قد قرّع بابَ البلاء، ووطيء ذنّب الحيّة الصّماء، ونطح برأسه الجبل، وأستبطأ الأجل، وطرّد العافية عن داره، وأنزل النّحس في جواره، وأستهدف لسهام الحيف، ومشى على حدّ السيف.

في ذكر الظلم وسوء آثارهم على العباد والبلاد

ظلمٌ صريح، وجورٌ فسيح، وأعتداءٌ قبيح. ظلمٌ تراكت مظالمه وظلمه

واتصلت غمائمهُ وعُغمُمهُ . قد ملكته الهَزَّة للظلم ، وأخذته العِزَّة بِالْإِثْم . بَسَطَ
 يده في المظالم يَحْتَقِبُهَا ، وَالْمَحَارِم يَرْتَكِبُهَا ، وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ أَمْلَكًا مَغْصُوبَةً
 ومنهوبة ، ورعايا مأكولة ومشروبة ، وضرائب ضَرَبَتِ الْأَمْوَال بِالْأَتَمْحِيق ، والبضائع
 بالتمزيق . تلك البلاد تلتهب بجمرات ظلمه ، وتنتهب ببدرات غشمه . فَالْحُرْمُ
 منتهكٌ ، والرَّعِيَّة محتَنكة . رَعِيَّةٌ مدفوعون إلى فقد الرِّياش ، وضيق المعاش .
 قد أداهم الغلاء إلى والبلاء ، والبلاء إلى الجلاء والإضاعة ، إلى الفاقة ،
 وصارت الخصاصة فوضى بين العامة والخاصة ، أُمَرَاؤُهُمْ عِجْزَةٌ قُعْدَةٌ ،
 وَكُتَابُهُمْ خَوْنَةٌ مَرَقَةٌ ، فَأَلْعَرَّضُ بَيْنَهُمْ مِنْهُوكة ، وَالْأَسْتَارُ مِنْهُوكة . وَالْأَدْمَاءُ مِنْهُوكة ،
 وَالْأَمْوَالُ مُجْتَاحَةٌ ، وَالْأَدْيَارُ مُسْتَبَاحَةٌ ، وَالْحُرُّ بِالْعَرَاءِ مِنْبُذٌ ، وَالْوَعْدُ مُكْرَمٌ
 مَصْفُودٌ . أُولَئِكَ قَوْمٌ رَضِيعُهُمْ قَدْ غُذِيَ بِالْعُدْوَانِ حَتَّى دَبَّ ، وَصَبِيَّهُمْ رُبِيٌّ
 بِالطُّغْيَانِ حَتَّى شَبَّ ، وَشَابُهُمْ قَدْ تَدَرَّبَ بِالظُّلْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى شَابَ ،
 وَشَيْخُهُمْ قَدْ أَضْبَ عَلَى الْإِثْمِ وَالْفُسُوقِ حَتَّى أَفْتَرَشَ التُّرَابَ . بِلَادٌ مُعَالَمٌ
 أَلْحَقَ فِيهَا دُرُسَتْ ، وَالسِّنَّةُ أَلْعَدَلُ بَيْنَهَا خَرِسَتْ ، وَرِيَّاحُ الْقَتْلِ وَالنَّهْبِ هَبَّتْ فَلَا
 تَرُكِدُ ، وَأَشْخَاصُ الظُّلْمِ وَالْإِثْمِ مَثَلَتْ فَلَا تَقْعُدُ . جَعَلُوا يُغَيِّرُونَ وَيُيَبِّرُونَ ،
 وَيُثِيرُونَ مِنَ الْفِتْنَةِ مَا يُثِيرُونَ . لَا عَنْ أَلْدِمَاءِ كَفُّوا ، وَلَا عَنْ أَلْفُرُوجِ عَفُّوا . مَا
 أَلَذُّبُ فِي الْغَنَمِ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ أَلصَّالِحِينَ ، وَلَا أَلْسُوسُ فِي أَلصُّوفِ فِي
 أَلصَّيْفِ عِنْدَهُ إِلَّا بَعْضُ أَلْمُحْسِنِينَ ، وَلَا أَلْحَجَّاجُ فِي أَهْلِ أَلْعِرَاقِ مَعَهُ إِلَّا أَوَّلُ
 أَلْعَادِلِينَ ، وَلَا فِرْعَوْنُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا قَابَلْتَهُ بِهِ إِلَّا مِنْ أَلْمَلَائِكَةِ
 أَلْمُقَرَّبِينَ . مَا تَرَكَ لِرَعِيَّتِهِ فَضَةً إِلَّا فَضَهَا ، وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ ، وَلَا عِلْقًا إِلَّا
 أَعْتَلَقَهُ ، وَلَا عَقَارًا إِلَّا عَقَرَهُ ، وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا ، وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ، وَلَا
 مَالًا إِلَّا مَالَ عَلَيْهِ ، وَلَا عَرَضًا إِلَّا تَعَرَّضَ لَهُ ، وَلَا حَالًا إِلَّا حَالَ عَلَيْهَا ، وَلَا
 مَاشِيَةً إِلَّا أَمْتَشَّهَا ، وَلَا فَرَسًا إِلَّا أَفْتَرَسَهُ ، وَلَا سَبْدًا إِلَّا أَسْتَبَدَّ بِهِ ، وَلَا بَزَّةً إِلَّا
 بَزَّهَا ، وَلَا خِلْعَةً إِلَّا خَلَعَهَا ، وَلَا جَلِيلًا إِلَّا اجْتَلَاهُ ، وَلَا دَقِيقًا إِلَّا دَقَّه .

ذكر الهرج وكثرة الفتنة

رَفَعَتِ الْفِتْنُ أَجْيَادَهَا، وَجَمَعَتِ لِلشَّرِّ أَجْنَادَهَا، وَأَطَالَتْ سَوَاعِدَهَا، وَأَعْلَتِ قَوَاعِدَهَا، وَأَلَّ نَاجِمُهَا قَادِحًا، وَعَادَ جَذْعُهَا قَارِحًا. نِيرَانُ الْفِتْنَةِ تَشْتَعِلُ أَشْتِعَالًا، وَرَايَاتُ الْهَرْجِ تَخْفُقُ يَمِينًا وَشِمَالًا. فِي كُلِّ دَارٍ صَرْخَةٌ، وَفِي كُلِّ دَرْبٍ نَعْرَةٌ، وَفِي كُلِّ زَاوِيَةٍ ظَالِمٌ لَا يُنْصَفُ، وَمَظْلُومٌ لَا يَنْتَصِفُ. فَالْنَهَارُ لَيْلٌ بِالذُّخَانِ، وَاللَّيْلُ نَهَارٌ بِالنِّيرَانِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ رُسُومِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ شَهَادَةِ الْإِيمَانِ وَإِقَامَةِ الْأَذَانِ. كَمْ فَشَا فِيهِمْ مِنْ قَتْلِ ذَرِيعٍ، وَضَرْ وَجِيعٍ، وَهَرْبٍ وَجَلَاءٍ، وَضَنْكِ وَبَلَاءٍ، وَنَارٍ مُضْطَرَمَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُحْتَدِمَةٍ. كَانُوا كَالْغَنَمِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا رَاعِيَ لَهَا، وَالْإِبِلِ الْأَسَائِمَةِ الَّتِي لَا سَائِقَ مَعَهَا. أَلْمَمَلَكَةُ شَاغِرَةٌ، وَأَفْوَاهُ الْفِتَنِ فَاعِرَةٌ. قَدْ شَهَرُوا سِيُوفَ الْفِتْنَةِ، وَشَبُّوا ضِرَامَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ. قَدْ كَشَفَتِ الْفِتْنَةُ قِنَاعَهَا، وَخَلَعَتِ عِذَارَهَا، فَتَحَوَّلَتِ الرُّؤُوسُ أَذْنَابًا، وَالْعَبِيدُ أَرْبَابًا، وَالْغَنَمُ ذُنَابًا. أَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبِلَادُ وَهِيَ قَنَأٌ تَشْطَى، وَنَارٌ تَلْظَى، وَنَاسٌ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. نَعَرَتِ الْفِتْنَةُ، وَوَقَعَتِ الْعَثْرَةُ، وَمَاجَ الْأَمْرُ، وَجَمَعَ الدَّهْرُ، وَأَنْخَرَطَ سَبِيلُ الْأَمْنَةِ، وَشَالَتْ نِعَامَةُ السَّلَامَةِ، وَأَنْقَطَعَ شِرْيَانُ السِّيَاسَةِ، وَتَمَزَّقَ ثَوْبُ الْمَعِيشَةِ، وَقَامَتِ سَوْقُ الدَّعَارَةِ، وَأَنْجَرَّ ذَيْلُ السَّرَقَةِ. نَوَاحٍ مَعَالِمُ الدُّنْيَا فِيهَا مُضَاعَةٌ، وَدَوَاعِي الشَّيْطَانِ بِهَا مُطَاعَةٌ، أَدَّى ذَلِكَ إِلَى هَيْجِ الرِّعَاعِ، وَتَحْزُبِ الْأَشْيَاعِ، وَتَأَثُّرِ الْأَذْنَابِ وَالْأَتْبَاعِ. الْبَلَدَةُ نِيرَانٌ تَضْطَرِمُ، وَجَمْرَاتٌ تَحْتَدِمُ بَيْنَ فِتْنَةٍ نَائِرَةٍ، وَأَضْطِرَابٍ نَائِرَةٍ، وَأَهْلُهَا سَوَامٌ بِلا رُعَاةٍ، وَجُنْدٌ بِلا حُمَاةٍ. فَلَانُ نَاتِجِ تِلْكَ الْإِلَاجِنِ وَمُؤَثَرِهَا، وَمُوقِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَمُورَثِهَا. كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ شَبَّهَا، وَغَارَةٍ شَبَّهَا. قَدْ أَلْهَبَ الْفِتْنَةُ وَأَثْقَبَ جَمْرَهَا، وَأَرِثَ نَارَهَا، وَتَوَلَّى كِبَرَهَا. هُوَ الَّذِي هَاجَ تِلْكَ الْفِتْنُ وَأَبَاحَهَا، وَأَثَارَ تِلْكَ الْإِلَاحِنَ وَصَارَ لِقَاحَهَا. كَادَ الْإِسْلَامُ يَضَعُفُ رُكْنَهُ، وَالشَّرْكَ يَصْدُقُ ظَنَّهُ.

التحذير والأذار والأهابة إلى الرشاد

رأى مولانا أن يأخذ بسنة الإعذار، ويحذر عاقبة الإصرار، ويُقدّم كلمة الاستظهار، ويُلقى إليهم الإنذار، قبل الإنكار. من أنقاذ لحكمه، ووقف عند رسمه، فقد حمى رُوحه وماله وأهله وحاله، ومن أضرم في ألفتة ناراً، ورفع لها مناراً، فقد أباح من نفسه المحذور، ومن ملكه الحُجْر المحجور، ولحقه ما يتركه سُمعة رادعة، ومثلة وازعة. من تعدى طوره، وتخطى قدره، فلا أنقباض بعد توقيفه، عن تثقيفه، وبعد الإعذار إليه، من الإنكار عليه، لا يألوهم نصحا، قد أعترضتهم سنة الغفلة دون تمثله، ولا يزجرهم وعظاً، قد خامرتهم سكرة الغيرة قبل تقبله. قد قدم النذر، ونَبَذَ العذر، زمجرة الليل قبل الافتراس، ونضنضة الصل قبل الانتهاس، وإنباض النابل للنذير، وإيماض السائق للتحذير أبصروا رُشدكم، وأعرفوا قصدكم، قبل أن ينتقل معكم عن إنفاذ الكتب إلى تسريب الكتائب، وعن توجيه الرُسل إلى إرسال المقاب. إن جعلت المراوغة حجاباً، وأصدرت بالمدافعة جواباً، أبدلتك الحُسام، من الأقلام، والأفواج، من الأدراج، ولم نرض بغير الرِّماح رسلاً تختلف، ولا بغير السهام وسائل تتردد.

في العمى عن الرشاد والصمم عن المواعظ والإصرار على الضلالة

قد نكب عن وجه الرُشاد على عين بصيرته بالأسداد. صم عن النذير، وقد أسمعته ووعظه، وأتى على النصيح وقد حذره وذكره، أبي له ضعف العقل والنخيزة، ولوم الطبع والغريزة إلا إصراراً على طيشه وسفهه، واستمراراً في غيه وعمه حتى كأن الوعظ أغراه، والرشاد أغواه. فلان جامع لا يرجع، ومُضِب لا ينزع، ومُضِر لا يفلح، أخذت العزة بسمعه وبصره، وأقتطعت الحيرة عن تدبره وتبصره. يلقي الوصية بالاطرّاح، ويدفع الطاعة بالراح.

توقظه الْعَبْر فلا يستيقظ، وتعظه آلايات وَالنَّذْر فلا يتعظ. هُوَ مَنْ لَا تَكْفُ الْمَوْعِظَةُ غَرْبَ جهالته، وَلَا تَقْلُ النَّصِيحَةُ حَدَّ ضلالته. يُصْغِي إِلَى الرَّشَادِ بِمَسْمَعٍ أَصَمٍّ، وَيَعْطُسُ فِي الْعِنَادِ بِأَنْفٍ أَشَمٍّ. قَدْ غَطَى الْخِذْلَانُ عَلَى سَمْعِهِ وَعَيْنِهِ، وَحَالَ بَيْنَ قَلْبِهِ وَصُدْرِهِ، وَمَلَكَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ مَسَارِبَ عَزْمِهِ، وَمَسَارِي فِكْرِهِ. قَدْ تَحَوَّلَتْ بِالْمَوْعِظَةِ هَادِيًا مِنْ حَيْرَتِهِ، وَمُسْتَشْلِيًا مِنْ غَمَرَتِهِ، فَنَادَاهُ الْخِذْلَانُ بِأَنْ صِمَّ فَأَصْرَّ، قَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ تَمَّ فَاسْتَمَرَ. كَأَنِّي أَغْرَيْتُهُ، فَنَادَاهُ حِينَ نَهَيْتُهُ، وَأَغْوَيْتُهُ حِينَ هَدَيْتُهُ، وَأَعْمَيْتُهُ حِينَ بَصَّرْتُهُ، وَخَذَلْتُهُ حِينَ نَصَرْتُهُ. أَوْلَيْتُكَ قَوْمٌ قَدْ أَخَذَ اللَّهُ بِأَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، وَقَرْنَ الْخِذْلَانُ بِأَعْوَانِهِمْ وَأَنْصَارِهِمْ. جِهَالَةٌ عَمُوا بِهَا عَمِيَاءَ، وَغِشَاوَةٌ مَدَّتْ عَلَى دَهْمَائِهِمْ دَهْمَاءَ.

ابرار صفحة المنابذة

أَبْرَزَ صَفْحَةُ الْمَكَاشِفَةِ، وَكَشَفَ قِنَاعَ الْمَخَالَفَةِ، وَسَارَ عَلَى مَدَارِجِ الْغُرُورِ، وَأَثَارَ كَوَامِنِ الثُّبُورِ. مَا ظَنَنْتُ الْجَهْلَ يَسْتَمُرُّ كُلَّ هَذَا الْإِسْتِمْرَارِ، حَتَّى يَسْتَوْفِيَ كِتَابَ الْخِذْلَانِ، وَيَسْتَغْرِقَ صَحِيفَةَ الْإِدْبَارِ. قَدْ مَتَكَ حِجَابَ نِفَاقِهِ، وَأَظْهَرَ مَكْنُونََ شِقَاقِهِ، فَانْحَرَفَ وَخَالَفَ، وَجَاهَرَ وَكَاشَفَ، وَأَظْهَرَ مَكْنُونََ سِرِّهِ، وَأَبْدَى كَايِنَ شَرِّهِ، وَأَقْدَمَ عَلَى الْعُظْمَى، وَصَرَحَ بِجَحْدِ النِّعْمَى. كَشَفَ قِنَاعَ الْحِشْمَةِ، وَخَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ. بَارَزَ سُلْطَانَهُ بِالْمَحَادَّةِ، وَجَاهَرَ بِالْمُضَادَّةِ، مُسْتَبْدِلًا بَعْزَ تَذَلُّلِهِ، ذُلَّ تَعَزُّزِهِ عَلَيْهِ، وَمُعْتَاضًا مِنْ أَمْنَةٍ سَعِيهِ فِي رِضَاهِ، خِيفَةَ مَخَالَفَتِهِ إِيَّاهُ.

استيجاب التكبر والمعاقبة

أَمَّا الْكِبَائِرُ الَّتِي تُحْكِي عَنْهُ فَالْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَرْفَعُ رُحْصَةَ الْحُكْمِ، وَتُبْدِي الْهَيْجَنَةَ فِي الصَّفْحِ. قَدْ جَرَتْ مِنْهُ هَنَاتٌ أَقْتَضَتْ أَنْ تُعَرَّفَ قَدْرُهُ، وَتَلْقَى بِمَا يُشْجِي صَدْرَهُ. قَدْ أَوْجَبَ مُرُوقَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَسَوْقَهُ بِغَايَةِ الْإِسْطِطَاعَةِ، إِنْ تَرْتَجِعَ عَوَارِي النِّعَمِ مِنْ يَدَيْهِ، وَتَفَاضَّ مَلَابِسُ النِّقَمِ عَلَيْهِ. لَا يُغْنِي فِيهِ

التَّوْقِيفُ دُونَ التَّثْقِيفِ والتَّعْلِيمِ، دُونَ التَّقْوِيمِ، وَالْإِعْذَارُ وَالْإِنْذَارُ دُونَ الْإِيْقَاعِ وَالْإِيْجَاعِ. هُوَ بَعْرَضُ إِنْكَارِ يُسَيْلِ دُمُوعِهِ، وَيُقِيمُ ضُلُوعَهُ. قَدْ أَسْتَحَقَّ أَنْ يُحْمَلَ أَثْقَالُ الْمَعَاقِبَةِ، وَيُعْرَفَ آيَاتُ سُوءِ الْعَاقِبَةِ. أُنْزِلَ مَنْزِلَةٌ مِثْلُهُ مِمَّنْ أَسَاءَ حِفْظُ الْوَدِيعَةِ، وَجَوَارِ الصَّنِيعَةِ، فَاسْتَوْجِبَ نَزْعَهُمَا مِنْهُ، وَتَحْوِيلَهُمَا عَنْهُ. ضَاقَ بِهِ كَنْفُ الْعَفْوِ، وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الطُّو. قَدْ أَسْوَدَّتْ صَحِيفَتُهُ، وَأُغْلِقَ بَابُ التَّوْبَةِ دُونَهُ، وَحِيلَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَبَيْنِهِ. عَثَرَتْهُ مُحْظُورَةٌ عَلَى الْإِقَالَةِ وَهَنَاتُهُ تَجْنِي لَهُ ثَمَرَ الضَّلَالَةِ.

الأبراق والأرعاد

سَيَعْلَمُ الْمَخْذُولُ كَيْفَ يُرْمَى بِحَجَرِهِ، وَتَشْبَعُ الْوُحُوشُ مِنْ جِيْفَتِهِ وَنَفَرِهِ، الْأَهْبَ لَا سِتِيصَالَهُ مَأْخُودَةً، وَالسَّيُوفُ لِقِتَالَهُ مَشْخُودَةً. سَيُلْغُ فِي بَابِهِ مَا يَتَأَدَّبُ بِهِ كُلُّ جَامِحٍ فِي عِنَانِهِ، وَطَامِحٍ إِلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ. سَتَرَاهُ وَلَيْسَتْ لَهُ عَيْنِي طَارِفَةً، وَلَا جِنَّةً وَاقِفَةً لَأَكْشِفَنَّهُ لِكُلِّ لَيْلٍ بَارِدٍ، وَنَهَارٍ وَاقِدٍ. سَيَنْزِلُ بِأُولَئِكَ الْأَعْمَارِ قَاطِعَاتِ الْأَعْمَارِ. إِمَّا ذَلٌّ وَاسْتِكْثَانٌ، وَإِمَّا هُلُكٌ فَقَتْلٌ قَدْ كَانَ. قَدْ تَكُونُ لِلْبَاطِلِ جَوْلَةٌ، وَلِلْفَسَادِ مُهْلَةٌ. ثُمَّ تَأْتِي مِنَ الْإِنْتِقَامِ وَالْإِصْطِلَامِ، مَا يَسْقُطُ الْهَامُ عَلَى الْأَقْدَامِ. أَمَا فَلَانٌ فَسِيرَاقٌ عَلَى الضَّلَالِ دَمَهُ، وَتَتَطَايَرُ عَلَى الْجَذْوَعِ رِمَمُهُ. لَمْ يَذِرْ أَنَّ الْعَزِيمَةَ مِنْ مَوْلَانَا تَتْرُكُ أَمْثَالَهُ مِثْلًا، وَتَجْعَلُهُ لِأَهْلِ الشَّقَاقِ مِثْلًا. أَمَا عَلِمَ أَنَّ مَوْلَانَا إِذَا رَمَاهُ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَفْكَارِهِ وَمَسَّهُ بِجَذْوَةٍ مِنْ نَارِهِ. عَادَ حَرْصُهُ نَدْمًا، وَصَارَ وُجُودُهُ عَدْمًا، وَغَوِىَ أَشْيَاؤُهُ بَدْدًا، بَلْ طَرَأَتْ قِدَادٌ. أَتَدْرُونَ وَيَحْكُمُ فِي أَيِّ حَتْفٍ تَوَرَّطْتُمْ، وَأَيِّ شَرٍّ تَأَبَّطْتُمْ. إِمَّا فَطَمَكُمُ عَنْ رَضَاعِ الْحَيْفِ، وَإِمَّا حَسَمَكُمُ بَغْرَارِ السَّيْفِ، تَمَثَّلْ هَذِهِ الْمَقَانِبَ، وَتَصَوِّرْ هَذِهِ الْكَتَائِبَ، وَأَخْطِرْ بِبَالِكَ قَلْبِهَا، فَإِنَّ قَلْبَكَ يَذُلُّ عَلَى حَالِكَ، وَمَيِّمَتِهَا فَإِنَّ يَمِينَكَ تَتَقَاصَرُ عَنْ شِمَالِكَ؛ وَمَيِّسَرَتِهَا فَإِنَّ الْيُسْرَى تَتَرَاوَعُ عَنْ أُمُورِكَ، وَجَنَاحُهَا فَإِنَّكَ تَجْنَحُ عَنْ كَافَّةِ شُؤُونِكَ.

احتشاد العدو

حَشَرَ وَحَشَدَ، وَأَسْتَمَدَ وَاسْتَنْجَدَ، كَاشَفَ وَبَادَى، وَحَشَرَ فَنَادَى، حَشَدَ وَحَشَرَ، وَضَمَّ وَنَشَرَ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ، وَأَلْفَ أَلْفَافَهُ. قَدْ أَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ فِي تَكْثِيرِ الْعَدَدِ، وَتَوْفِيرِ الْعُدَدِ، وَتَقْدِيمِ الْمَرَاصِدِ، وَتَوْكِيدِ الْمَكَائِدِ. جَمَعُوا شُوكَهُمْ وَشَجَرَهُمْ، وَجَرُّوا مَدَرَهُمْ وَوَبَرَهُمْ، وَأَسْتَنْفَذُوا قُوَاهُمْ وَقَدَرَهُمْ. نَفَضَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ أَحْرَارَهَا وَعَبِيدَهَا، وَأَخْرَجَتْ عُذَّتَهَا وَعَدِيدَهَا. رَمَتْ تِلْكَ أَلْبِلَدَةُ بِأَفْلَازِ كَبِيدِهَا، وَأَخْرَجَتْ أَرْضُهَا أَثْقَالَهَا مِنْ عَدِيدِهَا وَعُدْدِهَا. أَسَالَتْ تِلْكَ أَلْبِلَادُ سَيِّلَهَا، وَجَمَعَتْ مِنْ أَسْلَحَتِهَا نَهَارَهَا، وَمِنْ سَوَادِهَا لَيْلَهَا.

ذم جيش العدو

زَحَقَ إِلَيْهِ بِمَا أَحْتَطَبَ فِي لَيْلِهِ، وَقَمَشَ مِنْ غُثَاءِ سَيْلِهِ. نَهَضَ بِمَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَأَوْبَاشِ الْأَمْصَارِ. اغْتَرَّ بِمَا أَجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ فَلَ الْخُيُولِ، وَغُثَاءِ أَلْسِيُولِ، وَرَذَايَا الْمَلَاحِمِ، وَبَقَايَا الصَّوَارِمِ. تَنَابَحَتْ إِلَيْهِ كِلَابُ الْغَارَةِ أَلْشُعَوَاءَ، وَتَعَاوَتْ لَدَيْهِ ذَنَابُ الصَّيْلِمِ الصَّمَاءِ. خَرَجَ بِمَنْ لَفَّ لَفَّهُ، وَصَافَحَ عَلَى الضَّلَالِ كَفَّهُ مِنْ أَشْيَاعِ الْغَوَايَةِ، وَأَتْبَاعِ الْغَوَايَةِ. جَمَعَ مَنْ جَمَعَ مِنْ فَرَاشِ النَّارِ، وَخَشِيشِ الْبُورِ. أُولِئِكَ أَلْكَلَابُ الْغَوَايَةِ، وَأَلْذَنَابُ الْغَوَايَةِ. عُصْبَةُ الضَّلَالِ وَعُصْبَةُ الْخَبَالِ. تِلْكَ أَلْعُصْبَةُ الْمَعْصُوبَةِ بِأَلْثِّيَابِ، الْمَنْعُوبَةُ عَلَى أَلْأَلْبَابِ. كُلٌّ مِنْ مَعَهُ مِنْ أَصْنَافِ الْأَتْبَاعِ، وَأَلْعُومِ الرِّعَاعِ. مَنْ لَا يَقِيمُ لَهُ وَزْنَ، وَلَا يَتِمَثَّلُ لَهُ أَمْرًا، وَإِنَّمَا نَصَبُوهُ سُلْمًا لَهُمْ إِلَى أَلْأَمْوَالِ الْمُسْتَهْلِكَةِ، وَأَلْمَآكِلِ الْمَوْبَةِ، وَأَلْمَوَارِدِ الْمُرْدِيَةِ.

استهانة الأعداء واستحقارهم والتفاؤل عليهم

سَحَائِبُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ، وَعُرُوقُ بَاطِلٍ لَا تَمُهِلُ أَوْ تُقْطَعُ. لَا تَهُولَنَّكَ كَثْرَةُ الْأَرْجَاسِ فَإِنَّهُمْ أَزْوَادُ الضُّبَاعِ، وَآكَالُ السَّبَاعِ، وَمَشَارِعُ

السُّيُوف، وَمَرَاتِعُ الْحُتُوف. مَا هِيَ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وَزَجْرَةٌ راصِدة، حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِي دِيَارِهِمْ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِأَخْبَارِهِمْ. هُوَ غَرَضُ الْجَوَائِحِ، وَهَدَفُ الْخَوَاطِيفِ، وَأَتْبَاعُهُ رَجُلٌ جَرَادٍ فِي رِيحٍ يَوْمٍ عَاصِفٍ. أَقْبَلَ فِي شِرْذِمَةٍ هِيَ لَجِيُوشُ أَلْسُلْطَانٍ بِمَنْزِلَةِ الْبَغَاثِ لِلْجَوَارِحِ الَّتِي تَعْتَدُّهَا لُحْمَةً، وَتَتَّخِذُهَا طُعْمَةً. هُمْ فَرَائِسُ الْجِمَامِ، وَأَهْدَافُ السَّهَامِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا جَرَادٌ مَجْرُودٌ، وَقَنْصٌ مَصِيدٌ أَوْ مَطْرُودٌ، الْمُتَالِفُ لَهُمْ رَاصِدَةٌ، وَإِلَيْهِمْ قَاصِدَةٌ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا نُهْزَةُ الطَّالِبِ، وَفَرْصَةُ الْغَالِبِ، وَطُعْمَةُ الْآكِلِ، وَجُرْعَةُ الشَّارِبِ. جَاءَ فِي أَقْلٍ لُئْمَةٌ، وَأَضْعَفُ شِرْذِمَةٍ. وَنَوَازِلُ الْغَيْرِ بِهِمْ مُحْدِقَةٌ، وَسَهَامُ النَّقَمِ لَهُمْ مَفُوقَةٌ.

قرب العدو من الهلاك

هُوَ مُحَاطٌ بِهِ وَكَأَلْمَأْخُودِ بِنَاصِيَتِهِ. قَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي قَطْعِ أَكْلِهِ، وَأَدْنَاهُ مِنْ حَاضِرِ أَجَلِهِ. مَا هُوَ إِلَّا فُرْصَةٌ أَلْيَوْمِ أَوْ غَدٍ، وَالْهَلْكَ وَاقِفٌ لَهُ بِكُلِّ مَرْصَدٍ. قَدْ رَصَدَهُ ضَوْءُ الصَّبَاحِ وَظِلَامُ اللَّيْلِ. لَتَجَنَّهُ أَرْحَامُ الْأَرْضِ، أَوْ يَنْشُرَ مَنْ بَطُونِ السَّبَاحِ. وَالطَّيْرُ قَدْ حُصَّ جَنَاحُهُ، وَدَنَا آجَتِيَا حُهُ. مَا هُوَ إِلَّا صَفَاةٌ أَنْ قَرَعَهَا بِلِ قُلْعِهَا، وَقَنَاةٌ قَدْ حَانَ صَدْعُهَا بِلِ قَطْعِهَا. دَعَائِمُهُ مَخْفُوضَةٌ، وَمَرَاثِرُهُ مَنَقُوضَةٌ. وَاللَّعْنَةُ بِهِ مَعْصُوبَةٌ، وَالْهَلَكَةُ عَلَيْهِ مَكْتُوبَةٌ. قَدْ أَحْتَفَّتْ بِهِ النَّوَابِ تَصَرُّفِ أَنْبِيَائِهَا، وَصَمَدَاتُ لِهَ الْوَحَادِثُ تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا، وَأُنَحَّتْ عَلَيْهِ الْخُطُوبُ تَخْطُبُ بِحَتْفِهِ، وَلُزَّتْ بِهِ الصَّرُوفُ تَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ.

فيمن يسعى بقدمه إلى مراق دمه

قَدْ طَارَ بِجَنَاحِهِ، إِلَى مَوَاضِعِ آجَتِيَا حِهِ. يَمْشِي إِلَى حَتْفِهِ بِأَخْمَصِيهِ، وَيَبْحَثُ عَنْ مُدَيْتِهِ بِيَدَيْهِ. تَحْفِزُهُ إِلَى مَصْرَعِهِ الْأَضَالِيلِ، وَتُعَجِّلُهُ إِلَى مَهْلِكِهِ الْأَبَاطِيلِ. اسْتَخَفُّهُمْ الْحَيْنُ الْمُتَاحُ، وَاسْتَحْتَنَّهُمُ الْقَدَرُ الْمُجْتَنَحُ. جَدَّ بِهِمْ

أَسْتَعْجَالُ الْأَجَالِ، وَتَصَوُّرُ لَهُمُ الْمَنَايَا فِي صُورِ الْأَمَانِي وَالْأَمَالِ. سَارُوا
وَأَجَالُهُمْ تَفْسَحُ لَهُمْ فِي مَطَامِعِهِمْ، وَمَنَايَاهُمْ تَحُثُّ مَطَايَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ.
أَقْدَمُوا رَاكِبِينَ لِلغَرَرِ، مُسْتَسْلِمِينَ لِلغَيْرِ. تَجَذَّبُهُمْ كَوَاذِبُ الْأَطْمَاعِ بِمَقَاوِدِ
نَفْسِهِمْ، إِلَى مَقَاطِعِ رُؤُوسِهِمْ، وَتَسَوَّقُهُمْ بِأَزْمَةِ مَعَاطِسِهِمْ، إِلَى مَظَانِّ مَتَاعِهِمْ.
نَقَلَهُمُ اللَّهُ بِأَقْدَامِهِمْ، إِلَى مَصَارِعِ حِمَامِهِمْ. تَوَجَّهَتْ تِلْكَ الْعَسَاكِرُ الْمَخْذُولَةُ
يَسُوقُهَا رَاهِنٌ ضَلَالِهَا، إِلَى انْتِهَاءِ أَجَالِهَا، وَيَقُودُهَا حَاضِرٌ دِمَارِهَا، إِلَى أَنْقِضَاءِ
أَعْمَارِهَا.

ذَكَرَ انْخِزَالُ الْأَعْدَاءِ وَوَهْلُهُمْ وَاسْتِيلَاءُ الرِّعْبِ عَلَيْهِمْ قَبْلَ الْمُحَارَبَةِ
نُصِرْنَا بِالرُّعْبِ عَلَيْهِمْ، حَتَّى أَصْبَحَتْ أَلْمَهَابَةُ سُيُوفًا خَوَاطِرَ فِي قُلُوبِهِمْ،
وَرَاخَتْ الْمَخَافَةُ رِمَاحًا خَوَاطِيفَ لِنَفُوسِهِمْ، مَلَكَه دُعْرُ أَرَاهِ دُورَةَ مُنْتَسِفَةٍ،
وَجِيُوشُهُ مُخْتَطَفَةٍ، وَبِلَادُهُ مُمْتَلِكَةً، وَمَعَاقِلُهُ مُنْتَهَكَةً. أَحْوَالُهُ قَدْ تَدَاعَتْ،
وَنَفُوسُ أَصْحَابِهِ قَدْ آرَتَاعَتْ، تَمَثَّلَ لَهُ الْأَجَلُ، فَمَلَكَه أَلْوَجَلُ، وَاسْتَطَارَهُ
أَلْوَهْلُ، فَلَنْ يَطُولَ بِهِ أَلْمَهْلُ. نَاوَشُوا بِقُلُوبٍ غَمَرَهَا أَلْوَجَلُ، وَأَيَّدَ قَدْ أَضْعَفَهَا
أَلْوَهْلُ. فَالْسَّوَاعِدُ غَيْرُ مُسَاعِدَةٍ، وَالْأَعْضَادُ غَيْرُ مُعَايِدَةٍ. أَخَذَتْ مَبَانِيهِمْ
تَنَنَّقُضُ، وَدَعَائِهِمْ تَنَقَّوَصُ، وَزِنَادُهُمْ تَصَلِّدُ، وَرِيَاخُهُمْ تَرَكُّدُ. فَلَمْ يَطُورُوا
إِلَيْهِمْ مَنْزِلًا إِلَّا تَضَاعَفُوا ضَعْفًا وَتَخَلَّخُوا، وَلَمْ يَدْنُ مِنْهُمْ مَنَهْلًا إِلَّا أَزْدَادُوا وَهْنًا
وَتَزَلَّزَلُوا. لَا يُمِرُّونَ حَبْلًا إِلَّا أَوْثَقُوا بِقَوَاهِ، وَخَنَقُوا بِعُرَاهِ، وَلَا يُلْهِبُونَ نَارًا إِلَّا
عُوجِلُوا بِضَرَرِهَا، وَأَبِيدُوا بِشَرَرِهَا. سَاءَ صِبَاخُهُمْ، وَقَرُبَ اجْتِيَاخُهُمْ،
وَتَطَايَرَتْ فَرَقًا أُرُوحُهُمْ. أَشْعِرَتْ نَفُوسَهُمُ التَّلَاقِي، فَبَلَّغَتْ التَّرَاقِي، عَلِمُوا أَنَّ
الْفِرَاعَ لَا يُثْمِرُ إِلَّا قَرَعَ صَفَاتِهِمْ، وَالنِّزَاعَ لَا يُنْتِجُ إِلَّا نَزَعَ شِبَاتِهِمْ. اسْتَبَدَلُوا
بِالْتَّطَاوُلِ تَضَاوُلًا، وَبِالْتَّجُلْدِ تَبَاعِدًا، وَرَأَوْا الْأَنْوَارَ ظُلُمًا، وَالْأَشْخَاصَ بُهْمًا،
وَالْأَكَامَ رَجَالًا، وَالْجِبَالَ خَيْلًا عَجَالًا. لَمَّا رَأَوْا الرَّايَاتِ الْمَنْصُورَةَ تَخْفِقُ خَفَقَتِ
عَلَيْهَا قُلُوبُهَا، وَتَمَثَّلَ لَهَا أَنَّ قَدْ وَجِبَتْ جُنُوبُهَا. انْزَعَجَ مِنْ مَكَانِهِ بِقَلْبٍ هَلُوعٍ،

وَرُوعٌ مَرُوعٌ. أَحْسَنُ قُرْبِ الْمَوْتِ وَضِيقِ الْعَيْشِ، وَضَعْفُ الْجَاشِ وَأَضْطِرَابُ
الْجَيْشِ. تَقْدِمُهُمُ الْأَخْبَارَ وَهُمْ يَتَأَخَّرُونَ، كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ.

مسير الملك في جيوشه والتفؤل له

سار مولانا وآلسماء تحسُّدُ الأرضَ لسيِّره، وآلنجوم تَوَدُّ لوجَرَت مع سَنَابِك
خَيْلِهِ. أَقْبَلَ مَسْعُودَ الْكَوَاكِبِ، مَنْصُورَ الْمَوَاكِبِ. سَارَ تُخْرَجُ مَعَهُ الْأَرْضُ
أَثْقَالَهَا، وَتُسَيِّرُ الْغَبْرَاءَ جِبَالَهَا. نَهَضَ مَوْلَانَا وَالْأَرْضُ سَائِرَةً بِمَسِيرِهِ، وَالْأَقْدَارُ
صَائِرَةً إِلَى تَدْبِيرِهِ. نَهَضَ وَالسُّعُودُ تَوَاكِبِهِ، وَالْمَنَاجِحُ تُصَاحِبُهُ، وَمَعُونَةُ اللَّهِ
تَقْدُمُهُ، وَصَوَائِبُ الْعِزْمَاتِ تَخْدُمُهُ. جَلَلٌ مَوْلَانَا هَذَا الْخَطْبُ عِظَمَ حَرَكَتِهِ،
وَعِشَاءُ كِبَرِ مَسِيرِهِ عَنْ دَارِ مَمْلَكَتِهِ. فَكَادَتْ آلَسَّمَاءُ تَمِيدُ إِعْظَامًا لِنَهْوِضِهِ،
وَالْأَرْضُ تَسِيرُ مَعَ خِيُولِهِ. نَهَضَ مُجَرِّدًا عَزْمَهُ لِقَصْدِهِمْ، وَمُحْصِدًا رَأْيَهُ فِي
حَصْدِهِمْ. رَكِبَ فِي أَنْصَارِ حَقِّهِ، وَأَعْوَانَ مَلِكِهِ، فَكَادَتْ الْأَرْضُ تَرْجُفُ،
وَالْجِبَالُ تَزْخَفُ، وَالْأَفْلَاكُ تَقِفُ، وَالْكَوَاكِبُ تَكْفُ. سَارَ بِأَسْعَدِ الطَّوَالِغِ
وَالْفَوَاتِحِ، وَأَحْمَدِ الْمِيَامِنِ وَالْمَنَاجِحِ، بِجِيُوشِهِ الَّتِي لَا تَحْصُرُهَا الْأَعْدَادُ، وَلَا
يُقَاسُ بِهَا الْأَجْنَادُ، فَحُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْحَلُ بِرَحِيلِهَا، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خِيُولِهَا.
سَارَ مَوْلَانَا فِي جِيُوشِهِ فَخِيَلَتْ الْأَرْضُ مَائِجَةً، وَالْبَحَارُ هَائِجَةً، وَالنُّجُومُ
مُنْكَدِرَةً، وَالسَّمَاءُ مُنْفَطِرَةً، خَرَجَ وَالْمَنَاجِحُ تَطْرُقُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالْمِيَامِنُ تَسِيرُ
حَوَالِيهِ، وَأَيَاتُ الظَّفَرِ تُقْرَأُ مِنْ ذَوَائِبِ أَعْلَامِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَرَايَاتُ النَّصْرِ تَخْفُقُ
عَلَى مَرَكَبِهِ وَجُنُودِهِ. أَقْبَلَ وَالْإِقْبَالُ حَاجِبُهُ، وَالنَّصْرُ صَاحِبُهُ، وَالصَّنْعُ
مُصَاحِبُهُ، وَالظَّفَرُ يَقْدُمُ أَعْلَامَهُ، وَالْقَدَرُ يَخْدُمُ أَيَامَهُ. نَهَضَ وَالسُّيُولُ تَقْصُرُ عَنْ
دَهْمَاءِ جِيُوشِهِ وَجُنُودِهِ، وَالنُّجُومُ تَغْمُضُ عَنْ ضِيَاءِ أَلْوِيَتِهِ وَبَنُوْدِهِ، وَالنَّجَجُ يُقْرَأُ
مِنْ نَوَاصِي خَيْلِهِ، وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ عَنْ آثَارِ عَدْلِهِ وَخَيْرِهِ. سَارَ مُعَبِّى الْجَيْشِ،
رَابِطُ الْجَاشِ، أَصِيلُ الرَّأْيِ وَالْحَزْمِ، مَلْتَمِ الْتَدْبِيرِ وَالْعَزْمِ. زَحَفَ إِلَيْهِمْ
زَحْفًا، مَلَأَ قُلُوبَهُمْ رَجْفًا. اسْتَقَلَّ بِهِ الْمَسِيرُ شَائِمًا بِرُوقِ الْعَزِّ، مُقَدِّمًا كِتَابَ

الرَّعْب، مُسْتَصْحَباً مَفَاتِحَ النَّصْرِ. أَقْبَلَ وَالْدُّنْيَا تَسِيرُ بِسِرِّهِ، وَخُدُودُ النُّجُومِ فِي سَنَابِكِ خَيْلِهِ. سَارَ يَقْدُمُهُ جَنْدٌ مِنَ الرَّعْبِ وَالْذُّعْرِ، وَيَتَّبِعُهُ مَدَدٌ مِنَ الصَّنْعِ وَالنَّصْرِ. أَقْبَلَ فِي مَرَكَبٍ أَعْلَامُهَا تَخْفُقُ بِالنُّجْحِ، وَطَبُولُهَا تَنْطِقُ بِالْفَتْحِ. بَرَزَ وَقَدْ جَهَّزَ أَوْدَ الْمَلِكِ مِنْ حُمَاتِهِ، وَأَعْيَانَ الْأَرْضِ مِنْ كُمَاتِهِ، وَرَايَاتِهِ تَكَادُ تَنْطِقُ بِالنُّجْحِ، وَيُمْلِي بِأَسِنَّتِهَا كِتَابَ الْفَتْحِ.

وصف الجيش بالكثرة والشوكة والنصرة

خَيْلٌ، كَقِطْعِ اللَّيْلِ، وَرِجَالٌ، خُلِقُوا لِقَطْعِ الْأَجَالِ. جِيُوشٌ تَرْجِفُ لَهَا الْأَرْضُ، وَيَسْتَوِي بِهَا النَّشْرُ وَالْخَفْضُ، خَفَّتْ الْجِيُوشُ فِجَلَتِ الْجِبَالُ سَائِرَةً، وَالْبَحَارُ ثَائِرَةً. جِيُوشٌ يُرَوْنَ مِنَ الْكَثْرَةِ قِطْعَ لَيْلٍ أَسْفَعَ، وَمِنَ الْحَدِيدِ وَجْهَ نَهَارٍ قَدْ مَتَعَ. مَوَاكِبُ ضَاقَتْ عَنْهَا مَنَاكِبُ الْأَرْضِ، ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ. جِيُوشٌ يَغْضُ بِهَا الْفَضَاءُ، وَيَسْتَكِينُ بِهَا الْقَضَاءُ، وَتَضَيِّقُ عَنْهَا الْأُوطَارُ، وَتَخْشَعُ لَهَا الْأَقْدَارُ. جَيْشٌ كَاللَّيْلِ، بِكَثْرَةِ الْخَيْلِ، وَكَالنَّهَارِ، بِوُضُوحِ الْآثَارِ. عَسَاكِرُ تُتَابِعُ أَفْوَاجُهَا، وَتَتَدَافَعُ أُمُوجُهَا. جَرَّ إِلَيْهِمْ جِبَالُ الْحَدِيدِ، وَأَطْلَقَ أَعِنَّةَ الْأَسُودِ السُّودِ. عَسَاكِرُهُمْ آسَادُ وَبَحَارُ، وَأَقْضِيَةُ وَأَقْدَارُ، وَجِبَالُ أَطْوَادِهَا هَمَمٌ وَنَفُوسُ، وَنُجُومُ أَسْلِحَتِهَا أَقْمَارُ وَشُمُوسُ. مَلَأَ الْمَلَأَ خَيْلاً وَرِجَالاً، تَحْمِلُ أَوْجَالاً وَأَجَالاً حُسِبَتْ الْأَرْضُ تَرْتَحِلُ بِرَحِيلِهِمْ، وَتَسِيرُ مَعَ حَوَافِرِ خَيْوَلِهِمْ. طَلَعَتْ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ الْمُطَايَا، عَلَيْهَا الْمَنَايَا، وَالسِّيُوفُ، فِي طُبَاهَا الْحَتُوفُ. بَادِرُوا أَفْوَاجاً وَأَرْسَالاً، وَأَنْفَرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً. عَسْكَرٌ وَافِرٌ الْمَدَدِ، كَثِيرٌ الْعَدَدِ كَثِيفُ الْعُدَدِ.

وصف الأبطال والشجعان وأبناء الحروب

كُلٌّ بِأَسْلِ قَدْ نَعَوَّدَ الْأَقْدَامَ، حَيْثُ تَزَلُّ الْأَقْدَامُ، وَشَجَاعٌ يَرَى الْإِحْجَامَ، عَاراً لَا تَمْحُوهُ الْأَيَّامُ. سَيْفُهُ أُمُّ الْأَجَالِ، وَرَمَحُهُ يُتَمُّ الْأَطْفَالِ. مَا لَسِيفُهُ غَيْرَ الرَّقَابِ، قِرَابٍ إِذَا أَفَاضَ قَدَاحَ الْقِتَالِ قَمَرَ أَجَالِ الرِّجَالِ. قَدْ مَلَأَ الْأَرْضَ

دِمَاءَ، وَالسَّمَاءَ هَبَاءً. حَجَلُ الْخَيْلِ بَدْمَاءُ أَعَادِيهِ، وَجَعَلَ هَامَاتِهِمْ قَلَانِسَ رِمَاحِهِ. نَهَضَ كَاللَّيْثِ الْحَادِرِ، وَالشَّجَاعِ الْثَائِرِ، وَالْحُسَامِ الْبَاتِرِ. عِقْبَانُ خَيْولٍ فَوْقَهَا أَسَدُ جُنُودٍ. أَبْنَاءُ الْحُرُوبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِيهَا، وَارْتَضَعُوا لِبَانِهَا، وَعَرَفُوا مِرَاسَهَا، وَأَلْفَوْا مِسَاسَهَا، كَالْأَسُودِ إِقْدَامًا، وَالنَّيْرَانَ اضْطِرَامًا. بِأَمْثَالِهِمْ تَشَحَّنُ أَطْرَافُ الصَّفُوفِ، وَعَنْ قِسِيهِمْ تَصْدُرُ رُسُلُ الْحَتُوفِ. رِمَاحُهُمْ ظُمَاءُ، وَشَرَابُهَا دِمَاءُ، وَسُيُوفُهُمْ هَيَامٌ، وَمَشَارِعُهَا نَحُورٌ وَهَامٌ، خَيْولُهُمْ سَنَابِقُ الْفُوتِ، وَسَهَامُهُمْ بُرْدُ الْمَوْتِ، وَحِمَلَاتُهُمْ آتِي السَّيْلِ، وَمَجِيئُهُمْ مَجِيءُ اللَّيْلِ. لَا يَمْلُونُ الْشَّرَّ إِذَا خَرَسَتِ الْأَبْطَالُ، وَنَطَقَتِ الرِّمَاحُ الطُّوَالُ. أَبْنَاءُ الْغَايَاتِ، وَلِيُوثُ الْغَابَاتِ. أَقْبَلُوا كَاللِّيُوثِ الْخَوَادِرَ عَلَى الْعِقْبَانِ الْكَوَاسِرِ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا سَيْفُ الضَّرْبَةِ، وَلَيْثُ الْكُتَيْبَةِ. أَحَادُهُمْ نَفَرٌ، وَأَفْرَادُهُمْ زُمَرٌ. الْحَرْبُ دَابُّهُمْ، وَالْجِدُّ آدَابُهُمْ، وَالنَّصْرُ طَعْمُهُمْ، وَالْعَدُوُّ غَنَمُهُمْ. قُلُوبٌ أَسُودَ فِي صُدُورِ رِجَالٍ، وَرِيَّاحُ زَعَاذِعٍ فِي ثَبَاتِ جِبَالٍ. هُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بَلَاءٌ وَاقِعٌ، وَسُمْ نَاقِعٌ. يُصِيبُونَ الشَّجَرِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَدْخُلُونَ بَيْنَ زُبُرِ الْحَدِيدِ. يَقْرُونَ وَالْأَقْدَامُ زِيَالٌ، وَيَخْفُونَ وَهُمْ عَلَى الْأَقْرَانِ ثِقَالٌ. أَنْيَابُ الدَّوْلَةِ وَأَعْضَادُهَا، وَكُمَاتُهَا وَأَنْجَادُهَا.

ذِكْرُ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَعْدَاءِ مَعًا

التَّقْوَا فَقَبِلَتْ رِيحَ الْإِقْبَالِ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَذَبَرَتْ رِيحَ الْإِدْبَارِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مُعْتَمِدُونَ بِالْمَنَاحِ الزُّهَرِ، وَأَعْدَاؤُهُ مَتَرُصَّدُونَ بِالْمَنَابِا الْحُمْرِ. كَانَتْ لِلأَوْلِيَاءِ الْأَثَرَةُ، وَعَلَى الْأَعْدَاءِ الدَّبَرَةُ. جَدُّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُلُوبٍ قَدْ غَمَرَهَا الْيَقِينُ، وَأَيْدٍ قَدْ بَسَطَهَا التَّمَكِينُ، وَبَيَّتِ الْأَعْدَاءُ وَقَدْ بَسَطَ لَهُمُ الْغُرُورُ أَمَالَهُمْ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ. فَازَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بِأَجْرِ الْمُجَاهِدِينَ، وَبَاءَ أَعْدَاءُ اللَّهِ بِوِزْرِ الْمُعَانِدِينَ. أَزْدَادَ الْأَوْلِيَاءِ شِدَّةُ مِرَاسٍ، وَقُوَّةُ بَاسٍ، وَثَبَاتُ مَقَامٍ، وَصَدَقَ أَنْتِقَامٌ. وَأَبْتَدَأَتْ أَعْدَاءُ اللَّهِ تَنْتَلِمُ مُوَكَبَهَا، وَتَضَعُفُ مَنَاقِبَهَا، وَتَنْخَفِضُ

أعلامها، تنتفض أبرامها، وترى بأسلحتها أغلالاً تؤثيقها وتؤبّقها، وأنكالاً ترهّقها وترهّقها.

تعبية الجيوش وترتيبها

رتب مولانا المقادم عموماً وخصوصاً، وعبى المقانب بنياناً مرصوصاً. أمر بتسوية الصفوف التي لا خلل بها، وانتضاء السيوف التي لا خلل لها. عبى جيوشه ميامن تضمّنت اليمن، ومياسر اتبعت اليسر، ووقف في القلب بقلب يسع الرمال، ويرجح الجبال. رتب فلاناً ومن برسمه في ميمته التي يقارنها اليمن والنجاح، وفلاناً في ميسرته التي يصاحبها اليسر والفلاح، وصار هو وقواده قلباً قابلاً لما قاله، ناكساً لما واجهه.

تلاقي الجيشين وكشف الحرب عن ساقها

تلاقى الجيشان فاصطف الخيل والرجل، وامتلاً الحزن والسهل، وبرقت الأبصار بشعاع السيوف، وسفرت رسل الحتوف بين الصفوف. تراءى الجمعان، وأفضى قرب العيان، إلى قرب العنان، وألتهبت جمرة الضراب والطمعان. اشتبكت الحرب تصرف نابها، وتكشف ساقها، وتضرم نارها، ويشد نطاقها. التقى الجمع بالجمع، وقُرع النبع بالنبع. دنا العنان من العنان، وأفضى الخبر إلى العيان. سارت الجموع إلى الجموع، وبرق البصر بلمعان الدروع، وحمى وطيس المراس، ودنت التراس من التراس.

اشتداد الحرب وحمى وطيسها

دارت كأس الموت دهاقا، وعاد لقاء القرن للقرن عناقا. بلغت القلوب الحناجر، وشافهت السيوف المناحر. هاجت الهيجاء، وعزّ النجاء، وصار الترامي عناقا. والتلاقي اعتلاقا. صمتت الألسنة، ونطقت الأسيّة، وخطبت

السُّيُوفُ عَلَى مَنَابِرِ الرِّقَابِ، وَأَقْدَمَتِ الرِّمَاحُ عَلَى الْخُطَطِ الصِّعَابِ. اعْتَنَقَتِ الصُّوَارِمُ وَالْمَنَاصِلُ، وَتَلَا حَقَّتِ الْقَنَا وَالْقَنَابِلُ، وَاشْتَدَّ أُزْرُ الْمِصَاعِ، وَتَكَايَلِ الشُّجْعَانُ صَاعاً بِصَاعٍ. قُدِّحَتْ نَارُ الْقِرَاعِ، وَجَالَتْ قِدَاحُ الْمِصَاعِ، تَلَاقَتْ الْفِرَقُ، وَاشْتَدَّ الْفَرَقُ، وَصَارَ الْفَارِسُ إِلَى الْفَارِسِ أَقْرَبَ مِنْ ظِلَّةٍ، وَالسَّيْفُ أَدْنَى إِلَى الْوَرِيدِ مِنْ حَبْلَةٍ. اسْتَعَرَتِ الْمَلْحَمَةُ، وَعَلَتْ الْغَمْغَمَةُ. فَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ، وَاسْتَحَرَّتْ جَمْرَةُ الطُّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَاشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ، وَتَصَافَحَتْ بَيْضُ الصِّفَاحِ. احْمَرَّتِ الْحَلْقُ، مِنْ الْعَلَقِ. ضَاقَ الْمَجَالُ، وَتَحَكَّمَتِ الْأَجَالُ. لَمْ يَرِ إِلَّا رُؤُوسٌ تَنْدُرُ، وَدِمَاءٌ تَهْدُرُ، وَأَعْضَاءٌ تَتَطَايَرُ، وَأَجْسَامٌ تَتَزَايِلُ. التَّقَى الصَّفَانُ، وَبَرَزَتْ الْأَقْرَانُ لِلْأَقْرَانِ، وَخَطَبَتِ الصُّوَارِمُ عَلَى مَنَابِرِ الْأَعْنَاقِ، وَسَفَرَتِ السِّهَامُ بَيْنَ الْقِسِيِّ وَالْأَحْدَاقِ.

أَعْمَالُ الْأَسْلِحَةِ

رَشَقُ شُبَّةٍ فِيهِ تَرَادُفُ النَّبْلِ، بِاتِّصَالِ الْوُئْلِ، وَزَرْقُ أَعَادِ الدُّعْجِ زُرْقًا، وَأَوْسَعُ الْأَهَبِ خَرْقًا. رَشَقُوهُمْ بِنِبَالٍ، تَتَحَمَلُ قَطْعَ الْأَجَالِ. وَاتَّخَذُوا النَّبْلَ رُسُلًا مُؤَدِّيَةً مَا حُمِلَتْ، وَرِسَالًا مُبْلَغَةً مَا أُوْدِعَتْ. مَا مِنْهُمْ إِلَّا رَامٌ لَا يَخْطِيءُ الْأَهْدَافَ، وَلَا يَتَجَاوَزُ الشَّغَافَ، تَجُوزُ نِبَالُهُمُ الدَّرَقَ إِلَى الْحَدَقِ، وَتَنْفُذُ إِلَى الْخُلُوقِ مِنْ خَلَلِ الْحَلْقِ. أَتَتْهُمْ السِّهَامُ كِرْجَلِ الْجَرَادِ، وَالزَّانَاتُ الْجِدَادُ (كَذَا) صَادِرَةً عَنِ السَّوَاعِدِ الشِّدَادِ. أَوْسَعُوهُمْ ضَرْبًا وَمَشَقًا، وَطَعْنًا وَرَشَقًا، وَجَرَحًا وَزَرْقًا. ضَرَبَهُ بَعْضُ الْغُلَمَانِ ضَرْبًا رَعْلًا، وَثَنَاهَا بَعْضُ الْعَرَبِ بِطَعْنَةٍ نَجْلًا. تَوَاصَتِ الضَّرِبَاتُ، بَيْنَ زَرْقِ الْبَالِزَانَاتِ لَا يَعْرِفُ إِنْصَافًا، وَضَرْبِ الْمَرْهَفَاتِ يَفْلُقُ الْهَامَ أَنْصَافًا. أَخَذَتِ الرِّمَاحُ تُطِيرُ شَرَرَهَا، وَالرُّؤُوسُ تَفَارِقُ قَصَرَهَا. ثُمِّلَتِ الرِّمَاحُ مِنَ الدِّمَاءِ فَتَعَثَّرَتْ فِي النَّحُورِ، وَتَكَسَّرَتْ فِي الصُّدُورِ. اشْتَجَرَتْ سُمْرُ الرِّمَاحِ، وَتَصَافَحَتْ بَيْضُ الصِّفَاحِ. سَيُوفُ أَغْمَادِهَا الرُّؤُوسُ

والطللى، وجفونها القلوب والكلى. قد أخذت السيوف نفوسهم، وأثمرت القنا رؤوسهم.

حسن الغناء في الحرب والإيقاع بالأعداء وشدة النكاية فيهم

قابلوا الجلاذ بالجلد، ونابوا عن أنياب الأسد، وأعطوا الجهاد، أوفى حظوظ الإجتهد. أجملوا البلاء، وأحسنوا الغناء. بلغوا في اقتناص الأعداء أقصى المبالغ، ووطئوهم وطء القامع الدامغ. أبلوا بلاء الأبطال، وأبطلوا كيد الأعداء. إن الأبطال زحموا الأعداء من جوانبهم، وتمكنوا من فض مواكبهم، ووطئوهم بسنابك الخيول، وتركوهم كجفاء السيول. صبوا عليهم سوط عذاب، وأسلموهم لعوادي تبار وتباب. وقائع هدت قواعد بنيانهم، وأشابت نواصي ولدانهم. طحنوهم طحن الحب، وجعلوهم درايا الطعن والضرب. وثبوا عليهم وثوب الأسود، وتركوهم كالزرع المحصود. نكوا فيهم نكاية القضاء والقدر، وأثروا فيهم تأثير النار في ييس الشجر. شربوهم شرب إلهيم، وحطموهم حطم الهشيم، وتركوهم كالرميم. تجردوا لهم فحطوهم وحطموهم، وهزّوهم وهزموهم، تركوهم موطي الحوافر، ومورد الكواسر، ومغدى الضباع، ومراح السباع. قصّوهم فأقصّوهم بأيدي الغير، وحصدوهم حصّد الشوك والشجر. طفقوا ينقضّون عليهم كالأجادل، ويقذفونهم بالجنادل. أقدموا عليهم إقدام السيل، ونسخوهم نسخ النهار لليل.

هبوب ريح النصر

حتى إذا ضاق ألمجال، وتحكمت آلاجال. أهبّ الله لمولانا ريح النصر، وحكم لحزبه باللعلو والقهر، ولما بلغ كتاب المهل آخره، أجرى الله للواء المنصور طائره. برقت لامعة النصر، وحانت ساعة القهر. ما أنتصف النهار

إِلَّا وَقَدْ آتَنَصَفَ اللَّهُ لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَكُنْفَنَا بِالْأَيْدِ الْقَاهِرِ، وَالنَّصْرُ الشَّامِلِ. هَبَّتْ رِيحُ النَّصْرِ فَأَنْجَزَ اللَّهُ لِمَوْلَانَا وَعْدَهُ، وَأَظْفَرَ جُنْدَهُ، وَحَفِظَ عَادَاتِهِ عِنْدَهُ. لَاحَتْ غَرَّةُ الْفَتْحِ، وَوَضَحَتْ وَضُوحُ الصُّبْحِ، وَأَشْرَقَتْ صَفْحَةُ الظُّفْرِ، إِشْرَاقَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَلَمَّا هَبَّتْ لِأَشْيَاعِ الدَّوْلَةِ رِيحُ النَّصْرِ، عَلَتْ بِهِمْ يَدُ الْقُدْرَةِ فَاتَّبَعُوا أَدْبَارَ الْمَارِقِينَ، وَأَوَّوْهُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ. جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَنَزَلَ الظُّفْرُ وَالنُّجُحُ.

انجلاء المعركة عن القتلى والجرحى والأسرى والهزيمى

انجلت غَبْرَةُ المعركة، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِالشَّقِيِّ يَدُ المَهْلِكَةِ. اقْتَسِمَ شَيْخُ الطَّغْيَانِ بَيْنَ اجْتِيَاكِ سَرِيعٍ، وَقَتْلِ ذَرِيعٍ، وَأَسِيرٍ مُوْتَقٍ، وَحَصْرِ مُوْتَقٍ، وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا شِرْذِمَةٌ لَازَتْ بِذِمَّةِ الْهَرَبِ، وَلَنْ تَفُوتَ يَدُ الْطَّلَبِ. بَيْنَ قَتِيلٍ قَدْ عَجَلَ اللَّهُ بِرُوحِهِ إِلَى دَارِ جَزَائِهِ، وَأَسِيرٍ قَدْ أَوْثَقَهُ مَا أَرْتَكِبُهُ بِسُوءِ رَأْيِهِ، وَمُنْهَزِمٍ أَطَارَ الرُّعْبُ قَلْبَهُ، وَسَلَبَ الْخَوْفُ لُبَّهُ. بَيْنَ قَتِيلٍ آسَأَتْهُ بِهِ الْحِمَامُ، وَأَتَى عَلَيْهِ الْإِصْطِلَامُ، وَجَرِيحٍ قَدْ عَايَنَ طَرُوقَ الْمَيِّتَةِ، دُونَ بُلُوغِ الْأَمْنِيَّةِ، وَمُنْهَزِمٍ لَا يَسْتَبْقِيهِ الْهَرَبُ، إِلَّا بِمَقْدَارِ مَا يَنَالُهُ الطَّلَبُ. قَسَمَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ بَيْنَ قَتِيلٍ تَبَوَّأَ مِنَ النَّارِ مَحَبَسَهُ، وَمُوَلٍّ جَعَلَ ثَوْبَ الْعَارِ مَلْبَسَهُ، وَأَسِيرٍ حُبَسَ عَلَى حُكْمِ الشَّرِيعَةِ، وَمُسْتَأْمِنٍ أُلْحِقَ بِأَهْلِ الصَّنِيعَةِ بَيْنَ قَتِيلٍ مُوسَّدٍ، وَأَسِيرٍ مُصَفَّدٍ، وَهَارِبٍ مُطْرَدٍ، وَمُسْتَأْمِنٍ مُقَيَّدٍ، بَيْنَ قَتِيلٍ مَتَشَحَّطٍ بِدِمَائِهِ، وَجَرِيحٍ مُتَقَلِّبٍ بِدِمَائِهِ، بَيْنَ قَتِيلٍ مُرْمَلٍ، وَجَرِيحٍ مُجَدَّلٍ، وَأَسِيرٍ مُكَبَّلٍ. لَمْ يَرِ مِنْ أَشْيَاعِ الْمَخْذُولِ إِلَّا أَسِيرٌ مُوْتَقٍ، وَجَرِيحٌ مُرْهَقٌ، وَقَتِيلٌ مُطْرَحٌ، وَشَرِيدٌ مُطَوَّحٌ. إِلَّا أَسِيرٌ وَحَسِيرٌ، وَقَتِيلٌ وَعَقِيرٌ، وَجَرِيحٌ وَقَرِيحٌ، وَمَرْمَلٌ وَمُزْمَلٌ، وَمَقْبُورٌ وَمَشْبُورٌ. تَفَرَّقُوا بَيْنَ أَسْرِ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ جَوَامِعُهُ، وَجَرَّحَتْ تَحَكُّمَتْ فِي الْأَجْسَادِ لَوَادِعُهُ، وَقَتْلَ دَنَتْ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ مَشَارِعُهُ. قِيلَ لِأُولَئِكَ الْأَغْمَازِ، الْقَصَارِ الْأَعْمَارِ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ

وهبت لهم الدُّبور بين هَشيِّمٍ ورَمِيمٍ، وقتيل وأمِيمٍ، وجريحٍ ورهينٍ، وأسيرٍ مع قرينٍ.

ذكر القتل والقتلى

انكشفت الهَبْوة عن فلان وقد سبقت الصفاح، فيه موضع الاستفتاح. قضت منهم الرِّماحُ أوطارها، وبردت السيُوفُ أوارها. سكنتِ النفوسُ بقتله كما سكنت نفسُ الإسلام، بقتل أبي جهل بن هشام. مَقْتَلَةٌ نَعَت ظمًا الأرض، وأزالت سَعْبَ السباع والطَّير، صليَّ قبل حرَّ النار بحرَّ المناصل، وسقى الأرض من دمه بطلٍّ ووابل. استبدل من أمله، حضور أجله، واستعاض من شهامته، تسليم هامته. قد غَضَّتْ بَقْتَلَاهُمْ حلُوقُ الأرض، واحمَرَّتْ من دمائهم مُتُونُ التُّرب، بطون الأرض أعمر بهم من ظهورها، وحواصل الطَّير والسباع أحصن قبورها. عديمَ بَرْدِ الحياة، وذاقَ حَرَّ المُرْهَفَات. جَرَّتْ من دمائهم أنهار، ولم يُطْلَع عليهم نهار. أريق من دمائهم ما احمَرَّتْ منه الأرض وجَرَّتْ به الأودية، ودارت عليه الأرحية.

سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم

أوحى الله إلى أرضه أن تنخسف، وإلى فرسه أن يقف. قصَّ جناحه، وأنهر جراحه. ألقاه الله في الشبكة، ورماه بالهَلَكَةِ. رماه الله بالقارعة المبيدة لجمعه، البليغة في قمعه. قُلِعَتْ شأفته، وقُطِعَتْ أفتُه. لم يبقَ له مَفْحَصُ قِطَاة، ولا مَغْرزُ قَنَاة. أنزلهم الله من آمال، إلى آجال، وأوردهم من مطالع، إلى مَصَارِع عليهم الدُّبْرَة، وعلى وجوههم أَلْغَبْرَة. مكبُوبٌ عَلَى مَنَاحِرِهِ، مَطْعُونٌ فِي مَنَاحِرِهِ، قد طال حِصَارُهُ، وغاب أنصارُهُ، وسقطت دعامته، وقامت قيامته. قد بلغت رُوحه التراقي، ووعدته مَينِيَّتُهُ التلاقي. ضرب عليه الإِدْبَارُ سُرَادِقَ الدِّمَارِ، ومَدَّ عليه الْخِذْلَانِ رِوَاقَ سُوءِ الْاِخْتِبَارِ. هو جَزُرُ

السيوف القواضب ولقى بين أنياب النواذب.

الأسر والأسرى وتشهيدهم

لم يَنْجُ من ودائع الأغمد، إلا من حصل في جوامع الأصفاد. حصلوا في قبضة الأسار، وكُفِّه الخسار. نَشَبَ في حُبالة الانتقام، وشَرَكَ الاصطلام. ياحُسْنَه في زوال النعمة، وركوب النقمة، بوجه قد علس، ورأي قد برنس (كذا) قد أركبوا ألفوالج، وتركوا بالتشهير عبْرَةَ الناظر، ولُغْنَةُ الماقت. أوردوا مُقَرَّنِينَ في الأصفاد، وتركوا عبْرَةَ للساعين في الأرض بالفساد.

هلاك الأعداء وفناؤهم

صاروا كريمٍ وهشيمٍ، طاح في ريحٍ عقيمٍ. أصبحوا كالزروع المحصود، وصاروا حديثاً مثل عادٍ وثمود. صاروا جَزَرَ السباع والطُيور، ورَهَنَ الدِّمارِ والثُّبور. لم يَبْقَ لهم جُثَّةٌ واقفة، ولا عَيْنٌ طارفة، ولا رُوحٌ تسري في جَسَدٍ، ولا شخصٌ خلق على كبد. حصَّدوا حصداً، وخُبطوا بالسُّيوف خبطاً. فلم يَبْقَ منهم صافر، ولا نجا منهم أولٌ ولا آخر. أخذتهم الصَّاعقة، وحلَّتْ بهم ألبائقة، فلم يَبْقَ منهم نافخ نار، ولا رافع منار.

فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ

استنقذ الأجل ذمَّاءه من طُلبى السُّيوف وقد شارفته، وشبَّ المحتوف وقد شافهته. عُرِضَ عَلَى الموت عَرَضُ المحتضر، ثم أُخِّرَ لِأَجَلٍ مُتَتَطَرٍ. نكصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وقد كادت صُرُوفُ الأيام تفترسه، وأنيابُ الجِمام تَنْتَهِسُهُ. نجا برأسه وقد فُغِرَتِ المَنَايا أَفْواهها إِلَيْهِ، وكادت أظفارها تنشب فيه. فَأُخِّرَ لِأَجَلٍ مَضْرُوبٍ، وأنسىءُ لَأَمَدٍ مَكْتُوبٍ. استنقذه تَأَخَّرَ أَجَلُهُ من أنياب القَوَاضِبِ، ومخالب النواذب، ونجا بحُشاشته وذِماؤه عَلَى تلف، وشفافته عَلَى شرف.

نجا بروحه التي هي رهينة غيها، وصريعة بغيتها. لم يبق منه إلا شفاقة
أخطأت برائن الأسد، وبقية هي هامة اليوم أو غد.

ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم

طاروا بأجنحة الرعب لا يشني أبائهم على أبنائهم، ولا يلوي سراهم
على بطائهم. طاروا بأجنحة الوجل، وتصوروا حاضراً الآجل. نكصوا على
الأعقاب، وطاروا بخوافي العقاب. أجفلوا إجمال النعام، وأقشعوا إقشاع
الغمام. سبقوا الطلب بأقدام الفرار، وتوقوا مواقع السيوف بملايس من
العار. تمزقوا في البلاد كما يمزق الريح رجل الجراد. عاينوا هول المطلع
قولوا الأدبار، وتجللوا الإدبار، وطاروا كل مطار. تتقلب بهم المزال
والمдахض، وتساقطت بهم قواهم النواهض. لم يشعر به حتى صار جنيماً
قد وراه بطن الليل، وطار كهباء الريح وغشاء السيل. نفص يده بالخميس،
وأعرب ببرد الهرب عن حر الوطيس. تشتتوا أيدي سبأ، وتفرقوا جنوباً وصبا.
فلت شبائهم، وجمع على الدل شتائهم، وحق البلاء بهم، وحق كلمة
العذاب عليهم، ونكصوا خائبين، وأنهزموا خائفين. تفرقوا في جهات
المهارب، واعتصموا بالأنهار والمسارب. نفتتهم الأرض من مناكبها، وضاعت
عليهم من جوانبها. جعلوا يتسللون من أثناء الأنهار، وكل ينهار في جرف هار. طار
بين سمع الأرض وبصرها. لا يدري ما يطا من حجرها ومدرها. هام على
وجهه لا يدري أفي الأرض يطلب مدخلا، أو في السماء يلتبس معقلاً وكلاً
(كذا) فإن تخوم الأرض تسلمه، ونجوم السماء ترجمه. تطاير حشدهم
الفجرة، كأنهم حمر مستفجرة، فرت من قسورة. طاحوا كل مطاح، وطاروا
بأجنحة الرياح. لا يجذون في الخضراء مصعداً، ولا على العبراء مقعداً. لم
تلقهم أرض، ولم يسمعهم طول ولا عرض. لفظتهم البلاد، ومجتهم البقاع،
إلى حيث لا استواء قدم، ولا اهتداء بعلم، ولا سماء تظلمهم أو تجنهم، ولا

أَرْضَ ثِقْلُهُمْ أَوْ تُكْنَهُمْ. طَارُوا بِقَوَادِمِ وَجَلْ، وَطَاحُوا بَيْنَ سَقُوطِ أَمَلٍ، وَدُنُوْ
أَجَلٍ. اسْتَبَدَلُوا بِمُسْكَةِ الْعَزَائِمِ، هَتَكَةَ الْهَزَائِمِ. نَكَصُوا عَلَى الْأَعْقَابِ يَرَوْنَ
الْأَشْخَاصَ كَتَائِبَ تَخْتَطِفُهُمْ، وَالْأَشْبَاحَ مَقَانِبَ تَنْتَسِفُهُمْ. لَمَّا تَرَامَتْ بِهِمْ أَلْبَلَادُ
تَأَمَرُوا بَيْنَهُمْ يَتَعَاذِلُونَ، وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ. هَزِيمَةُ قَوْضِ اللَّهِ
بِهَا عُروشه، وَفَضَّ جِيوشه، وَضَلَّلَ وَسَاوِسَه، وَأَبْطَلَ هَوَاجِسَه. هَزِيمَةُ فَرَقِ اللَّهِ
بِهَا جَمْعَه، وَبَدَّدَ شَمْلَه، وَعَجَّلَ قَمْعَه. غَاضَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ مُخْفِيًا
لشخصه، مُشْفِقًا عَلَى نَفْسِه. صَفَرَا لَمْ يَصْحَبْهُ صَافِرٌ، وَلَمْ يَنْجُ مَعَه طَارِفٌ وَلَا
بَاصِرٌ. كَلِمَا هَبَّتْ عَلَيْهِ هَابَةٌ رِيحٌ حَسْبَهَا خِيَلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمْ، أَوْ رَجَلًا تَبْتَدِرُ
إِلَيْهِمْ، وَكَلِمَا عَنَّتْ عَلَيْهِ عَانَةُ أَرْضٍ ظَنَهَا بَرًّا يَنْخَسِفُ بِهِ، أَوْ بَحْرًا يَحِيطُ بِهِ.
لَوْ وَجَدَ فِي الْأَرْضِ نَفَقًا لِأَوَّلَجِه فِيهِ شِدَّةُ رَوْعِه، أَوْ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقًى لِأَعْرَجِه
إِلَيْهِ نَخْبٌ رَوْعَه. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّهُمْ فِي أَكْفَانٍ مِنَ الْمَدَلَّةِ، وَقَبَرَهُمْ فِي
لِحُودٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْوَحْشَةِ.

ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك

رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ يَشْلُونَهُمْ شَلًّا نَعْمَ، وَيَفْرُونَهُمْ فَرًى الْأَدَمَ،
وَيَذْكُونَهُمْ كَهْدَايَا الْحَرَمِ. لَمْ يَزَلِ الْطَّالِبُ رَاكِبًا أَكْتَافَه، وَقَابِضًا أَطْرَافَه، حَتَّى
رَخَّ بِهِ الْجَذَارُ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، إِلَى مَوْضِعٍ كَذَا بَعْدَ أَنْ أَنْتَضَمَتِ الطُّرُقُ إِلَيْهِ
بِجَيْفِ أَصْحَابِهِ وَرَذَايَا خَيْلِهِ وَرِكَابِهِ، رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ وَعَيُونُ الْأَمْنِيَا
تَرَصَّدُهُمْ، وَأَيْدِي الْحَتُوفِ تَحْصُدُهُمْ. أَمْرُ فُلَانٍ بَأَن يَبْعَدَ فِي آثَارِهِمْ فَلَا
يُنْهَهُهُمْ، وَيَجِدُّ فِي طَلَبِهِمْ فَلَا يَرْفَهُهُمْ. لَتُعْجَلَهُمْ صَدْمَتُهُ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى
الْأَسْتِرَاشَةِ، وَالتَّمَكُّنِ مِنَ الْأَسْتِجَاشَةِ. هَامُوا عَلَى وَجُوهِهِمْ يَرْجُونَ الْخَلَاصَ
وَلَا خَلَاصَ، وَيَأْمَلُونَ النِّجَاةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ. فَإِنَّ الطَّلِبَ مِنْ وَرَائِهِمْ عَلَى
أَحْشَادٍ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَأَمْثَالِهِمْ بِمِرْصَادٍ. طَارَ فُلَانٌ بِجَنَاحِ الْفِرَارِ، مُتَلَفَعًا بِالذَّلِّ
مُتَقَنَعًا بِالْعَارِ، وَالْخَيْلُ مَغْدَةٌ فِي طَلَبِهِ، وَمَوْعِدَةٌ الظُّفْرِ بِهِ. فَإِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ

كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكُهُ، وَمُفَاجِئُهُ فَمُهْلِكُهُ. رَكِبَ الْأَوْلِيَاءُ أَكْتَافَهُمْ، وَتَحَيَّفُوا أَوْسَاطَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ، وَغَنِمُوا أَثَاثَهُمْ وَأَسْبَابَهُمْ، وَظَهَرُوا رَهْمَ وَدَوَابَهُمْ. مَا هُوَ إِلَّا دَرِيئَةُ الْهَرَبِ، وَفَرِيئَةُ الْطَّلَبِ. أَنَّى لَهُ الْمَقَامُ وَرِمَاحُ الْطَّلَبِ نَحْوَهُ مُسْرَعَةً، وَخِيُولُهُ إِلَيْهِ مُسْرَعَةً.

ذكر الغنائم

غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي لَمْ يُودُّوا فِيهَا حَقًّا مَعْلُومًا، وَلَمْ يَغْنَوْا بِهَا سَائِلًا مَحْرُومًا. غَنِمُوا أَمْوَالَهُمُ الَّتِي آحْتَجْنُوها فَأَخْتَزَنُوهَا. اسْتَوْلَى الْأَوْلِيَاءُ وَغَنِمُوا، وَكَلَمُوا وَمَا كَلِمُوا. غَنِمُوا ذَلِكَ الْحُطَامَ، الْمَجْمُوعَ مِنَ الْحَرَامِ، الْمَثْمُرَ مِنَ الْأَثَامِ، الْمَقْتَطَعَ مِنْ فَيِّ الْإِسْلَامِ. غَنِمُوا أَمْوَالًا إِنْ ذُكِرَ قَدْرُهَا، اسْتَشْرَفَ أَمْرُهَا، وَكَيْفَ بِذَلِكَ وَالذَّهَبَ حَتَّى آلَانَ يُكَالَ بَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ كَيْلًا، وَيُهَالُ بَيْنَ الْغَانِمِينَ هَيْلًا. غَنِمَ الْأَوْلِيَاءُ مَا بَقِيَ لَهُمُ الْحَوَادِثُ، وَأَسَارَتِ عِنْدَهُمُ النَّوَائِبُ مِنَ أُمِّهَاتِ الذَّخَائِرِ وَالْعُقَدِ الْفَنَاسِ. قَدْ صَارَتْ أَمْوَالُ الْأَعْدَاءِ غَنَائِمَ لَهُمْ لَا تُحْصَى كَثْرَةً، وَعَادَتْ عَلَى الْفَاسِقِينَ مَظَالِمَ وَحْشَةٍ.

ذكر موت العدو

أَفْضَى بِهِ سُوءُ الْعَاقِبَةِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَالْمَالِ الذَّمِيمِ، وَسُكْنَى الْجَحِيمِ، وَسُقْيَا الْحَمِيمِ. قَضَى نَحْبَهُ، وَلَقِيَ بِأَسْوَدِ صَحِيفَةِ رَبِّهِ. جَرَا حَتَّى أَتَتْ عَلَى نَفْسِهِ، وَوَسَدَتْهُ فِي رَمْسِهِ. آلَ أَمْرُهُ إِلَى وَبَالٍ، وَأَنْحَلَلَ وَاضْمَحَلَلَ، قُبِضَ إِلَى أَخْرَاهِ عَلَى الْإِنْفَاقِ، كَمَا عَاشَ فِي دُنْيَاهِ عَلَى الشَّقَاقِ. مَضَى لِسَبِيلِهِ يَقْدُمُهُ الْخِزْيُ، وَيَتْبَعُهُ اللَّعْنُ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَلَا الْأَرْضُ. قُبِضَتْ. نَفْسُهُ الْخَبِيثَةُ عَلَى ضَلَالٍ وَخَبَالٍ، وَسُوءِ حَالٍ وَمَالٍ. تَقَطَّعَتْ وَسَائِلُ بَقَائِهِ، وَاتَّصَلَتْ حَبَائِلُ فَنَائِهِ.

سلامة الأولياء على الحرب

عَادُوا مَنْصُورِينَ مَوْفُورِينَ لَمْ تَمْسَسْهُمْ جِرَاحٌ، وَلَا عَضَّهُمْ سِلَاحٌ. لَمْ يَمَسَّهِمْ قَرْحٌ، وَلَمْ يَنْلَهُمْ جَرَحٌ. لَمْ يُصِْبْهُمْ ثَلَمٌ، وَلَا مَسَّهِمْ كَلَمٌ. لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ، وَلَمْ يَشْمَتْ بِهِمْ عَدُوٌّ.

جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره

كُتِبَ فِي الزَّمَانِ ضَاحِكُ أَلْسِنٍ، مُتَظَاهِرُ أَلْبَشَرِ، وَالْدُنْيَا مُشْرِقَةُ الْجَوِّ، مُضِيئَةُ الْأَفَاقِ، لِلْفَتْحِ الَّذِي تَفْتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ، وَتَفَتَّقَتْ أَنْوَارُ الْمَلِكِ وَالْعَدْلِ. كُتِبَتْ وَالْأَرْضُ رِيًّا ضَاحِكَةً، وَالْدُنْيَا خَضْرَاءَ نَاصِرَةٍ، وَفَجَّرَ الْإِسْلَامُ عَالٍ سَاطِعٍ، وَسَيْفُ الْإِيمَانِ مَاضٍ قَاطِعٍ، وَالْبِلْدَانُ مَلَأَى تَهَانِيًّا وَبِشَارَاتٍ، وَالْأَوْلِيَاءُ سُورَى بَيْنِ أَفْرَاحٍ وَمَسَرَاتٍ، لِمَا بَشَّرَ بِهِ كِتَابُ مَوْلَانَا مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ الشُّكْرِ، وَارْتَاحَتْ لَهُ أُنْدِيَةُ الْفَضْلِ. قَدْ جَلَّ هَذَا الْفَتْحُ عَنْ تَطَلُّبِ نَعْوَتِهِ بِتَصْرِيفِ الْأَقْوَالِ، وَتَفْخِيمِ شَوْؤُونِهِ بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَصَارَ التَّمْوِيلُ عَلَى مَا قَدْ تَمَكَّنَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ حَالِهِ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَلْفُوسٍ مِنْ جَلَالِهِ. لِأَنَّ آثَارَهُ تَنْظُمُ حَاشِيَتِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ. الْفَتْحُ الَّذِي أَصْبَحَ الْإِسْلَامُ بِهِ مُتَسِعَ الْبَلَدِ، وَالْعَدْلُ مَمْدُودُ الرِّوَاقِ، وَالسُّلْطَانُ سَاطِعُ الْأَشْرَاقِ. مَحْرُوسًا مِنْ عَدُوِّهِ الْمُرَاقِ، وَنَزْغَةُ الشِّقَاقِ. الْفَتْحُ الَّذِي تَفْتَحَتْ لَهُ عِيُونُ الزَّمَانِ، وَأَشْرَقَ بِأَنْوَارِهِ الْخَافِقَانِ. الْفَتْحُ الْوَاضِحُ قَدَّمَهُ عَلَى نَاصِيَةِ الشَّمْسِ، الْمَاحِقُ بِضِيَائِهِ أَنْوَارَ الْبَدْرِ، الضَّارِبُ بِرِوَاقِهِ مِنْ فَوْقِ النُّجُومِ، الْجَائِمُ بِجَلَالِهِ عَلَى رِقَابِ الدَّهْرِ، الْمَادُّ يَدَيْهِ إِلَى الشَّرْقِ، يَنْظُمُهُ إِلَى أَقَاصِي الْغَرْبِ. الْفَتْحُ الْمَبْسُوطُ بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ شِعَاعُهُ، الْمَمْدُودُ عَلَى الْخَافِقَيْنِ شِرَاعُهُ. أَجَلُ بُشْرَى أَسْفَرَتْ عَنْهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، وَسَفَرَتْ فِيهَا الْبَيضُ وَالْأَوَالِي.

إشاعة خبر الفتح

أَشِيعَ خَبْرُهُ إِشَاعَةً لَا أَهْتَزَّتْ لَهَا أَعْوَادُ الْمَنَابِرِ، وَعَرَفَهَا أَلْبَادِي مَعْرِفَةُ الْحَاضِرِ

كُتِبَتْ فِي إِشَاعَتِهِ بِمَا يَمَلَأُ الْمَسَامِعَ، وَيَشْحَنُ الْمَجَامِعَ، وَيَعْمُرُ الْمَحَاضِرَ، فَيَمْلِكُ الْمَنَابِرَ. قَدْ أَشْعَنَاهُ حَتَّى عَرَفَهُ الْخَاصُّ مِنْ أَخْصِ الْمَحَاضِرِ، وَسَمِعَهُ أَلْعَامُ مِنْ صُدُورِ الْمَنَابِرِ. شَهَرَ خَبْرُهُ فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، بَيْنَ أَلْسِنَةِ الْمَنَابِرِ وَأُسْنَةِ الْأَقْلَامِ. اهْتَزَّتْ لَهُ أَلْمَجَامِعُ، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ الْمَسَامِعُ، وَوَعَاهُ الْحَاضِرُ، وَتَزَوَّدَهُ الْمَسَافِرُ. طَالَعَتْهُ بَنِي هَذَا الْفَتْحِ الَّذِي يُنْشَرُ فِي الْمَوَاسِمِ، وَيُورَخُ فِي الْمَلَا حِمٍ، وَيُؤَثَّرُ بَيْنَ الْغَائِبِ وَالْحَاضِرِ، وَيُذَاعُ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَنَابِرِ.

حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيته

طَهَّرَهَا مِنْ شَوَائِبِ الْفَسَادِ، وَأَطْلَعَ فِيهَا كَوَاكِبَ السَّدَادِ، وَأَرْخَى مِنْ خِثَاقِ الرِّعْيَةِ، وَأَسْتَنْقَذَهَا مِنْ أَنْيَابِ الْأَذْيَةِ. ابْتَسَمَتْ بِلَادُ كَذَا عَنْ ثُغُورِ الْأَمْنَةِ، وَطَالَتْ فِيهَا أَنْوَاعُ النِّصْفَةِ، وَأَمَحَّتْ دُونَهَا سِمَاتِ الْخَوْنَةِ، وَجَمَعَ اللَّهُ أَهْلَهَا عَلَى مُسَالِمَةِ كِشْفِ الْمَحْنِ، وَعَقَّتِ الْإِحْنَ. اسْتَبَدَلَتْ أَلرِّعْيَةُ بِشِدَّةِ الْوَجَلِ، قُوَّةَ الْأَمَلِ، وَبِأَنْبَسَاطِ الْأَبْوَاعِ وَالْأَيْدِي عَلَيْهَا، انْقِبَاضَ الْأَطْمَاعِ وَالْعَوَادِي عَنْهَا. سَكُنَتْ أَلرِّعْيَةُ، وَأَنْحَسَمَتْ الْأَذْيَةُ، وَرُتِبَ أَلْعَمَالُ، وَهَذَّبَتْ أَلْأَعْمَالُ. أَطْلَعَ فِيهَا كَوَكِبَ أَلْعَدْلِ وَكَانَ خَافِيَا، وَأَوْضَحَ لَهُمْ مِنْهَا جَ الْأَمْنِ وَكَانَ عَافِيَا. كَأَنَّمَا بُدِّلُوا مِنْ ظُلُمَاتِ نُورًا، وَأَعْقَبُوا مِنْ مَوْتٍ نَشُورًا. وَصَلَ إِلَيْهِمْ بَرْدُ الْأَمْنِ وَقَدْ صَلُّوا بِحَرِّ الدَّعْرِ. فَرَشَ أَلنِّصْفَةُ وَأَفَاضَهَا، وَبَسَطَ أَلرِّعْيَةُ وَأَزَالَ انْقِبَاضَهَا، وَوَهَبَ سَقِيمَهَا لِبَرِيهَا، وَظَنَّنَهَا لِنَقِيَّهَا. أَرَاحَ تِلْكَ أَلْبِلَادَ مِنْ جَامِعَةِ الضَّرِّ وَأَلْبُوسِ، وَظُلُمَاتِ أَلظُّلْمِ أَلْعَبُوسِ. عَلِمَتْ أَلرِّعْيَةُ أَنَّ أَلْعَدْلَ قَدْ أَمْتَدَّتْ أَبْوَاعَهُ، وَالْجُورَ قَدْ نَفِدتْ أَنْوَاعُهُ. فَأَيَّقَنْتْ بِالْخَيْرِ الْمَوْفُورِ، وَأَلَانْتَقَالَ مِنْ أَلظُّلُمَاتٍ إِلَى النُّورِ.

الأدعية السلطانية عند الفتوح والبشائر وغيرها

سَأَلَتْ اللَّهُ أَنْ يُطِيلَ بَقَاءَ مَوْلَانَا مَوْصُولِ السُّلْطَانِ بِالْدَّوَامِ، مَكْنُوفِ أَلرَّايَةِ بِالنَّصْرِ

والانتقام، مظفر الألوية والأعلام. ممدود الظلال على الخاص والعام. أدام الله أيامه مُصرفاً أزيمة الأرض، مالكا أعنة البسط والقبض. أدام الله سلطانه مُستولياً على الإرادة والإصدار، مخدوماً بأيدي الأفضية والأقدار. لا ينهد عزمه لأمر، إلا أسفر عن عزٍ ونَصْر، ولا ينهض همه لأرب، إلا تجلى عن استظهار وغلب. لا زال يتناول أقاصي المراد، بقریب السعي والارتداد، ويبلغ مرامي المرام، بداني العزيمة والاهتمام، والله يديم له الفتح يميناً ويساراً، ويزيد أعداءه ذلاً وخساراً. لا زالت البشائر وفود سمعه يطرق بابه، ويرفع لها حجابها. أطل الله بقاءه مستولياً على ما تخطبه عزمته، وتقتضيه نعمته. أبقاء الله نافذ المكائد والعزائم، ماضي الآراء والصّوام. عالي اليد والرّاية، شامل الملك والولاية. حتى تجتمع له الأرض براً وبحراً في عقدة ملكه وتنتظم الخلق شرقاً وغرباً في صفة ملكه، والله يُقيه لتذليل الخطوب إذا صغرت خدودها وأملت أجيادها، وكثرت أعوانها ووفرت أعدادها، حتى يملك ما طلعت الشمس عليه، وانتهى هبوب الريح إليه. هناء الله علو صيته في تدبير المقانب، وتحصيل المناقب. لا زال النصر يقدّمه، والدهر يخدمه، والفتوح تصافحه، والمناجح تغاديه وتراوجه. أدام الله أيامه لحسم المعار عن الدنيا بأسرها، وقطع المضار عن الأرض وأهلها. منبسط الظل على النهار حتى لا تشب نوائبه، وعلى الليل فلا تدب عقاربه. أبقاء الله للدنيا والدين، وأخذ راية المجد باليمين، ولا زالت الأرض تحت تصرفه وتديره، والناس بين تقديمه وتأخيره. أدام الله له النجم صاعداً، والزمان مُسعداً ومساعداً، مالكا رقاب الخافقين، ومُدبلاً صِعب المشرقين، ومُصرفاً أزيمة المملوكين، ومُستعزقاً جديد النصر على كَرّ الجديدين، ليعم الأقاليم السبعة بسلطانه وإحسانه فيغمرها، ويملكها بأعوانه وأوليائه فيغمرها.

الدعاء على أعداء الدولة

سألت الله أن يصرف وجوه الرّزايا، ويعكس رقاب ألمانيا، إلى أضداد دولته،

وَكُفَّارَ نِعْمَتِهِ، فَلَا يَخْلُو أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ فَجِيعَةِ وَجِيعَةٍ، وَثُلْمَةِ أَلِيْمَةٍ، تَشْغَلَانِهِ
بِنَفْسِهِ، وَتَكْلَانِهِ إِلَى خِذْلَانِهِ وَنَحْسِهِ، وَتَغْنِيَانِ مَوْلَانَا عَنْ أَنْ يَنْزِعَ سَهْمًا مِنْ
كِنَانَتِهِ، أَوْ يَشْهَرَ سَيْفًا مِنْ أَسْيَافِ نِقْمَتِهِ. لَا زَالِ مَوْلَانَا وَاطئًا بِسِنَابِكَ خِيْلَهُ قِمَمِ
مُنَابَذِيهِ. مُغْمِدًا سَيْوْفَهُ فِي رِقَابِ مُخَالِفِيهِ، زَادَ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ سُقُوطَ مَوَاقِعِ،
وَهَبُوطَ مَوَاضِعِ، وَنَحُوسَ طَوَالِعِ، وَحَتَمَ عَلَى كُلِّ مُشَاقٍّ لِكَلِمَتِهِ، مُحَادَّةَ
لِدَعْوَتِهِ، أَنْ يَكُونَ الْمَوْتُ فِي رِقِّ الذَّلِّ أَهْنَا مَشَارِعَهُ، وَأَقْرَبَ مَوَارِدِهِ، وَاللَّهُ
يَجْعَلُ أَعْدَاءَ دَوْلَتِهِ، صِرْعَى صَوْلَتِهِ، وَمُشَاقِّي كَلِمَتِهِ، جَزَرَ نِقْمَتِهِ. لَا زَالِ
أَعْدَاؤُهُ تَلْفَظُهُمْ ظُهُورُ الْأَرْضِ، وَتَقْبِلُهُمْ بَطُونُ الْأَتْرَبِ. لَا زَالِ مُنَابَذُوهُ حَصَاثِدَ
سَيْوْفِهِ، وَرَهَائِنِ خُطُوبِ الْدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ.

استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية
أَقْبَلَ مَوْلَانَا فَأَقْبَلَتْ بِهِ الدُّنْيَا الْمُؤَلِّيَّةُ، وَانْجَلَتْ الظُّلُمَةُ الْمُسْتُولِيَّةُ. كَأَنَّ
حُلُولَهُ بِمَرْكَزِ عِزِّهِ وَمَقَرِّ مُلْكِهِ. حُلُولُ الْأَدِيمَةِ الْوُطْفَاءِ، غِبَّ السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ،
وَالنُّورِ الْمُنْتَشِرِ، بَعْدَ الظَّلَامِ الْمَعْتَكِرِ. انْحَسَرَتْ الْغَمَّةُ بِأَلَاءِ جَبِينِهِ، وَدَرَّتْ
النَّعْمُ مِنْ أَخْلَافِ يَمِينِهِ. عَادَ إِلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ، وَمَقَرِّ عِزِّهِ، عَلَى الطَّائِرِ
الْأَسْعَدِ، وَالْجَدِّ الْأَصْعَدِ. فَتَوَجَّهَتْ الرِّغْبَاتُ إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ تَقْرَنَ بِذَلِكَ مِنَ
الْحَبْرَةِ بِأَخْضَرِهَا، وَمِنْ السَّعَادَةِ بِأَنْضَرِهَا. هُنَا اللَّهُ مَوْلَانَا أَوْبَتَهُ إِلَى مَنْشَأِ عِزِّهِ،
وَمُسْتَقَرِّ مُلْكِهِ. عَلَى أَفْضَلِ مَا وَعَدَتْ بِهِ الطَّوَالِغُ السَّعِيدَةُ عِنْدَ نَهْضَتِهِ، وَذَلَّتْ
عَلَيْهِ الْبَشَائِرُ الْحَمِيدَةُ فِي سَفَرَتِهِ. أَتَتْ الْبَشَائِرُ بِعُودِ مَوْلَانَا إِلَى دَارِ سُلْطَانِهِ
الْمَعْمُورَةِ بِنِضَارَةِ أَيَّامِهِ. قَدْ أَعْطَتْهُ الْمَطَالِبُ قِيَادَهَا، وَوَطَّأَتْ لَهُ الْمَنَاجِحُ مِهَادَهَا
عَادَ مَوْلَانَا إِلَى السَّرِيرِ مُسْتَقَرًّا عَلَى غَارِبِهِ، حَامِيًّا لِحَوَانِهِ، قَدْ دَانَتْ لَهُ
الطَّوَائِفُ، وَأَمِنَ بِهِ الْخَائِفُ، وَضَمَّ النَّشْرُ، وَلَمْ أَلْشَعْتُ وَأَشْرَقَتْ الْأَرْضُ
وَتَبَاشَرَ الْبَشَرُ.

آخر كتاب السلطانيات وما يقع في أبوابها، والله الحمد.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الشوارد والفوارد

وما يشبهها

هبوب ربح الأقبال

قد ركب من الإقبال مطيئة لم تقف به إلا على الغاية، وسلك من السعادة طريقاً لن يوديه إلا إلى الزيادة. قد امتطى ظهر الإقبال، وشافه درك الآمال. هب عليه نسيم الثروة، وتمهد له فراش النعمة. زفت إليه الأيام أبكار النعم، وأتحفته ببواكير المنح. اقترن النجح بمطلبه، وأقرب من مقصده. امتد عليه ظل النعمى، وجناح الغنى. ظهرت على أموره أمارات الإقبال، ورفرت حوله طير حسن الحال. أفاق من سقم الفاقة، واتسع بعد الإضافة.

تباشير النجح والغنى

شارف نيل الإرادة، وشافه لسان السعادة، وأبتسم له ثغر الأمل، وآذن بالنجاح في أقرب أمد. قد لاح النجاح وانتشر نوره، ولمعت تباشيره. إن ما يبدو من تباشير النجاح، يضاهي فلق الإصباح، الذي يتلوه طلوع الشمس وإشراقها، وأستضاءة أعيون والنفوس بها وارتفاقها، أول الغيث رش ثم قطر، ومبادي الشجر ورق ثم زهر. هل يرتجى الغيث إلا بمخائله، ويستدل على أواخر الأمر إلا بأوائله.

حسن الحال ووفور المال

سالمه ألدهر وساعدة الْجَدِّ، وحالفه السَّعْدُ. قد نال ما لم يحتسبه إِلَّا وَهْمًا، ولم يُؤْمَلْهُ إِلَّا حَدْسًا، فاز برغائب النَّعَمِ، وغرائب الْقِسَمِ. خاض بحرَ الْغِنَى، وركض في ميدان الْمُنَى. رأى من الْإِنْعَامِ، ما لم يَرَهُ في الْمَنَامِ، فكيف من الْأَيَّامِ. قد أدرَّ الله له أَخْلَافَ الرَّزْقِ، ومَهَّدَ له أَكْنَافَ الْعَيْشِ، وآتاه أَصْنَافَ الْفَضْلِ، وأركبه أَكْنَافَ الْعِزِّ. اتَّسَقَتِ أحوال معيشته، وبسقت أَغْضَانُ دولته. اتَّسَعَتِ مَوَادُّ ماله، وتفرَّعَتِ شُعَبُ حاله، تناول النَّعَمَ فيضًا، لا قبضًا، وورد منهلاً، عللاً لا نهلاً. لا يمتدُّ له طَرْفٌ إِلَّا إِلَى نُعْمَى، ولا يُصْغِي سَمْعٌ إِلَّا إِلَى نِعْمَةٍ بُشْرَى. لا يلتوي عليه مطلوب، ولا يَنْزَوِي عنه مَحْبُوب. قد سَخَّرَ له المقدار، وساعده الْفَلَكَ الْمُدَّارُ. نادى الْأَمَالَ فيجابته مُكْتَبَةً، ودعا الْأَمَانِي فعاجلته مُصْحَبَةً. رأت عَيْنَاهُ، ما لم تَبْلُغْهُ مُنَاهُ، وآتَسَعَتِ نِعْمَتُهُ، بحيث لم تنله هِمَّتُهُ. امتلأ ناديه من ثَاغِيهِ صَبَاحٍ، وراغِيهِ رَوَاحٍ. تلاحقت حاشيته، وتلاقحت ماشيته.

ذكر المال الصامت

ورمت أَكْيَاسَهُ فِضَّةً وَتَبَرًا. عنده من الْعَيْنِ ما تَقَرَّرَ بِهِ الْعَيْنُ. الْعَيْنُ لِلْعَيْنِ قُرَّةٌ، وَلِلْقَلْبِ قُوَّةٌ. مَنْ مَلِكِ الصَّفْرِ أَبْيَضَ وَجْهُهُ، وَأَخْضَرَ عَيْشُهُ. كم عنده من عَدُوٍّ فِي بُرْدِهِ صَدِيقٍ. من نَجَازِ الصَّفْرِ، يدعو إِلَى الْكُفْرِ، ويرْقُصُ عَلَى الظُّفْرِ. كدارة العين، يحطُّ ثَقُلُ الدِّينِ، وَيُنَافِقُ بَوْجُهِينَ. فلانُ مُسْتَظْهَرٌ بِخَبَايَا الْحَقَائِبِ، وسرائرُ الْأَخْرَاجِ، وضمائرُ الصَّنَادِيقِ. أموالُ آغَتْصَ بِحُسْبَانَاتِهَا الدِّيَّوَانُ، ونَاءَ بِثِقَلِهَا الْخُرَّانُ.

تراجع الأمور وركود ربح النعمة

رَقَّتْ حَاشِيَةُ حاله، ومالت دِعَامَةُ ماله. قد أَفَلَ نَجْمُهُ، وسقط سَهْمُهُ،

وَكثُرَتْ فَتَوَقُّهُ، وَاتَّسَعَتْ خُرُوقُهُ. أُخِمِدَتْ نَارُهُ، وَوُضِعَ مَنَارُهُ. خَبَا قَبْسُهُ، وَكَبَا فَرَسُهُ. قَدْ قَعَدَتْ بِهِ نَوَاهِضُهُ، وَتَسَاقَطَتْ خَوَافِيهِ وَقَوَادِمُهُ.

انحاء الخطوب والنوائب

حصل بين أنياب الزَّمان ومَخَالِبِهِ، وَصَلَّى بنارِ جَوَادِثِهِ ونَوَائِبِهِ. تَصَرَّفَتْ بِهِ خُطُوبٌ تَتَلَوُ خُطُوبًا، وَشَوَائِبُ تَدْعُ آلِوِلْدَانٍ شَبِيهَا. حَوَادِثُ أَجْحَفَتْ، وَكَوَارِثُ آلْحَفَتْ. عَصَفَتْ بِهِ عَوَاصِفُ الثُّبُورِ، وَقَوَاصِفُ الدُّهُورِ. بَيْنَ مِحْنَةٍ قَاصِدَةٍ، وَنَكْبَةٍ رَاصِدَةٍ. قَدْ عَايَنَ شِدَّةً مُتَعَبَةً، وَعَانَى أُمُورًا مُسْتَصْعَبَةً. مَرَّ بِهِ مَا لَوْ مَرَّ بِالْحَدِيدِ لَذَابَ، أَوْ بِالْوَلِيدِ لَشَابَ. نَشَبَ فِي أَعْظَمِ خُطَّةٍ، وَأَصْعَبِ وَرَظَةٍ. قَدْ عَضَّهُ نَابُ الْإِنَائِبَةِ الْعَظُمَى، وَرُمِيَ بِسَهْمِ الدَّامِيَةِ الْجَلِّيِّ، وَحَصَلَ فِي أَسْرِ الطَّامَةِ الْكُبْرَى. حَرُمَسَهُ الضَّرُّ، وَأَنَحَى عَلَيْهِ الزَّمَنُ الْمَرَّ، وَنَشَزَتْ عَلَيْهِ أَلْبِيضُ وَشَمَسَتْ مِنْهُ أَلْصَفَرُ، وَأَكَلَتْهُ السُّودُ وَحَطَمَتْهُ الْحُمْرُ. قَدْ حَلَّى بِفَمِ الدَّهْرِ فَمَا يَشْبَعُ مِنْ أَكَلِهِ نَهْسًا وَنَهْشًا، وَخَضْمًا وَقَضْمًا.

سوء الحال واستحكام الحرقة

فَلَانٌ يَرْتَضِعُ مِنَ الدَّهْرِ ثُدْيَ عَقِيمٍ، وَيَرْكَبُ مِنَ الْفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ. عَاثُرٌ لَا يَسْتَيْقِلُ، سَلِيمٌ لَا يُبْلَى، كَسِيرٌ لَا يَنْجَبِرُ، مَضِيئٌ لَا يَنْتَصِرُ. قَدْ زَالَتْ عَنْهُ الْأَلَاءُ، وَأَنْثَالَتْ عَلَيْهِ الْأَوَاءُ. لَوْ بَلَغَ الرِّزْقُ فَاهَ، لَوَلَا قَفَاهُ. لَا يَأْوِي إِلَى ظِلِّ الدُّنْيَا إِلَّا تَقَارِبَتْ أَكْنَافُهَا، وَلَا يَمْتَرِي دَرَّهَا إِلَّا أَخْلَفَتْ أَخْلَافُهَا.

سوء أثر الفقر والضر

جَاءَ بِوَجْهِهِ قَدْ غَبَرَ فِيهِ الْفَقْرُ، وَانْتَزَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ، وَأَمَالَ قَنَاتَهُ السُّقْمُ، وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ الْعُدْمُ. وَجْهُهُ أَكْسَفُ مِنْ بَالِهِ، وَزِيٌّ أَوْحَشُ مِنْ حَالِهِ. جَاءَ نَابِدِينَ نَاحِلٍ، وَوَجْهٍ حَائِلٍ، وَرِجْلٍ وَجَلَّةٍ، وَيَدٍ قَجَلَّةٍ، وَأَنْيَابٍ قَدِ آفَتَرَتْ عَنْهَا الضَّرُّ، وَالْعَيْشُ

المُرّ. طريقُ ضَعْفٍ وَمُتَرَبَّةٍ، وَطَلِيحٌ ذُلٌّ وَمَسْكَنَةٌ. جَاءَنَا بِوَجْهِ قَدْ نَضَبَ مَأْوُهُ،
وَطَالَ سَقَاؤُهُ. لَا يَمْلِكُ غَيْرَ الْجِلْدَةِ بُرْدَةً، وَلَا يَلْتَقِي بِحَيَاهُ رَعْدَةً. جَاءَنَا فَلَانٌ
يَضِيقُ بِالْبُرْدِ وَيَسْعُهُ، وَيَأْخُذُهُ الْقُرُّ وَيَدْعُهُ.

وصف ثياب الفقر

جَاءَ فِي قَمِيصٍ قَدْ أَكَلَ عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَشَرِبَ. أَطْمَارُ لَعِبَتْ بِهَا أَيْدِي الْبَلَى.
جُبَّةٌ تَقْرَأُ (إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ) سَوَاءً لَابِسَهَا وَالْعُرْيَانُ. جُبَّةٌ لَا تَسَاوِي
تَصْحِيفَهَا. أَطْمَارُ كَالْهَوَاءِ الرَّقِيقِ، وَكَالْشَرَابِ الرَّقَاقِ. رِدَاءٌ دَبَّ فِيهِ الرَّدَى.
أَطْمَارُ كَنَسَجِ الْعَنَاكِبِ، وَنَارِ الْحُبَاكِبِ. رَأَيْتُ فَلَانًا فِي ثِيَابٍ أَخْلَاقَ، لَمْ يَبْقَ
فِيهَا مِنْ عَمَلِ الْحَاثِكِ بَاقٍ. أَطْمَارُ أَرْقُ مِنْ أَكْبَادِ الْمُحْبِبِينَ، إِذَا هَبَّ عَلَيْهَا
النَّسِيمُ آمْتَزَجَتْ بِالْهَوَاءِ، وَأَنْتَظَمَتْ فِي سِلْكِ الْهَبَاءِ.

وصف المتناهي في الفقر

قَدْ أَحْلَلَتْ لَهُ الضَّرُورَةُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، قَدْ حَصَلَ عَلَى أَشَدِّ إِضَاقَةٍ،
وَتَكَشَّفَتْ عَنْ أَقْبَحِ فَاقَةٍ، قَدْ تَنَاهَتْ حَالُهُ فِي الْإِنْتِشَارِ وَالرَّزَاحَةِ إِلَى التَّكْشُّفِ
عَنْ دَارِ بَلَقَعٍ، وَفَقْرٍ مُدْقِعٍ. انْتَقَلَ مِنْ سَلَخٍ جِلْدٍ إِلَى تَعَرُّقٍ لَحْمٍ، وَمِنْ رَضٍّ
عَظُمٍ إِلَى انْتِقَاءٍ مُخٍّ. فَلَانٌ حَيٌّ كَمِيتٍ، وَفِي بَيْتِ بِلَابَيْتٍ. لَيْسَ مَعَهُ عَقْدٌ،
عَلَى نَقْدٍ. يَخْرُجُ خُرُوجَ الْحَيَّةِ مِنْ جَحْرِهِ، وَالطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ. حَالُهُ حَالُ السَّلِيمِ مَلَّهُ
عَوَادُهُ، وَالْغَرِيقِ أَسْلَمَتَهُ أَعْوَادُهُ. هُوَ بَيْنَ أَنْيَابِ الدَّهْرِ تَحْطُمُهُ بَصْرِيفُهَا،
وَتَعْتَوِرُهُ بَصْرِوْفُهَا، وَيَدُهُ صِفْرٌ، وَمَنْزِلُهُ قَفْرٌ، وَغَدَاؤُهُ الْخَوَى، وَعَشَاؤُهُ الطَّوَى،
وَوَطَاؤُهُ الْغَبْرَاءُ، وَغَطَاؤُهُ الْخَضْرَاءُ، وَإِدَامَةُ التَّشْهِي، وَطَعَامُهُ التَّئْمِنِي، وَفِرَاشُهُ
الْمَدْرُ، وَوَسَادُهُ الْحَجَرُ. ثَوْبُهُ جِلْدُهُ، وَمَرْكُوبُهُ رِجْلُهُ. خَصِيبُ الْعَيْنِ. جَدِيدُ
الْبَطْنِ، وَاسِعُ التَّئْمِنِي. ضَيْقُ الْغِنَى، أَفْرَغُ بَيْتٍ مِنْ فَوَادِ أُمِّ مُوسَى.

ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من صرعة الدهر

تجلّت عنه غمّة الخطوب، ودارت له آلعواقب بالمحبوب. انقشعت ضبابة محنته، وتجلّت غمرة كُربته، وطلّعت نجوم سعادته، وهطلت سحائب إرادته. صلح له الدّهر الطّالح، وملّكه عِنايه البُخْتُ الجامح، طلّع سعده بعد الأفول، وبعُد صيته بعد الخمول. صار كمن أُحيي وهو رَمِيم، وأُنبِت وهو هَشِيم. أنعم الله بإعادته، إلى أحسن عادته. أقبلت عُقدُ أموره تتحلّل، ومطالبه تتسهّل، ووُجوه مناجحه تتهلّل. أخرجته من الضيق إلى السعة، ومن الانزعاج إلى الدّعة. تماسكت حاله التي تخلّلها الخلل، وثبتت قدمه التي ملكها الزّلل. صلحت حاله واستقلّت، وثبتت قدمه واستقرّت.

وصف عيش الناعم المغبوط

فلانٌ في عيشة نديّ ظلّها، وسَحّ وابلّها وطلّها. هو في عيش رقيق الحواشي، مُثمر النواحي. هو في نعمة صافية، ومنحة صافية، وعيشة راضية. قد لاحظ العيش مُخضّر العود، ولابس الدّهر مُتصل السُعود. هو صائب سَهْم الأمل، وافر جناح الجدّل. يفترع أبكار اللذات، ويجتني ثمار المسرات، يُغازل الغزلان، ويُقامر الأقمار، ويُعاقر العقار. يَهْصِر أغصان القُدود، ويقطف وردّ الخدود، ويجني رُمان النُّهود. قد صحبته الأيام أحسن صُحبة، وعاشرة الزّمان أهنأ عشرة. غرابُ اليّن عن رُبعه مطار، وغيمُ اللّهوفيه مطير. هو في جانب منيع، وجناب مريع. ثمل في غناه، مُستقيل في كراه. قد هنأ الله كلّ يوم إحساناً أغرّ، وملاءة عيشاً أغنّ. قد خفّض الزّمان له جناحه، وألان مهاده. فهو يأخذ ما يشاء ويدع، ويلعب ويرتع لدّة العيش وطاب، وولى رقيب الغم عنه وغاب. هو بين جاء عريض، وعيش غريض. هو بين نعمة سنيّة، وبلهنية هنيّة. تذلّ له الأيام أخادعها، وتُذني إليه

المطالبُ مشارِعُها. عيشٌ أخضرُ أعود ناضره، مائلُ الغصن مائره. هو بين
أنواء خَيْرٍ وخصب، وأنوار رياضٍ وعُشب.

في ضد ذلك

نجمة مُنكِدِر، وعيشه كَدِر، ولباسُه خَثِين، وطعامه خَشِب. يُقاسي من فَقْدِ
رياشه، وضيق معاشه، قذارة عينه، وغُصَّة صدره. حالُ تريحه النهارَ أسود،
وَالْعَيْشُ أَنْكَد. إذا أصبح ركب ظهر الشَّيْهِم، وإذا أمسى توسَّد ذراع آلِهَم.
يكابد من مرارة عيشه ناب الأرقم، ويتجرَّع كأس العَقَم. مُنْغَصْ شِرْعَة
العيش، مقصوص جناح الأنس. حاله حالُ السَّلِيم في كُرْبته، والغريق في
لُجْته، والمحترق بحرته. هو بين غمائم لا تمطر إلا صواعق، وسمايم لا
تهبُّ إلا بوائق. قد تلقاه بوجه الثامت، ويد المصالت. عيشة رَنَق، ومورده
طَرَق، وجانبه حَزَن، وحاله حُزَن. طريح كُرْبِيَّة لا يعرف مداها، وجريح غُمَّة
لا تكلُّ مداها. ما يأكل إلا على نَغَص، ولا يشرب إلا على غُصَص. قد
انقبضت مسافة طرفه، وأظلم أفق عيشه، وغربت نجوم سَعده.

السرور والاهتزاز

أخذتني هزّة، وانتشرت في جوانحي مَسْرَة. وجدتُ أعضائي كلها تتباشر،
ووجوه رجائي تنهلل، وأعطاف مسرتي تهتزّ، وسحائب غبطتي تنهلّ. حالي
حالٌ من حُكْم في مناه، وأعطي كتابه بيمناه. كدْتُ أهيمُ فَرَحاً، وأطيرُ بجناح
السرور مَرَحاً. ملكتني المسرة حتى استفزتني، واشتملت عليّ حتى هزتني.
علتني بشاشة النّجاح، ودبت في نشوة الارتياح. أصبحت لا ثِقْلُني كواهل
أرضي مَرَحاً، ولا أعوادُ سرجي فَرَحاً. اتسع لي مسرحُ السرور، وهطلت عليّ
سحابة الحُور. أهرتزّ عطفه، وأرتفع طرفه، وأنشرح صدره، وترجم عنه
بُشره. هزّة تُهدي المسرة إلى سواد القلب، وتؤدي الغبطة إلى سَوَاء النفس.

ابتهاج حل حبوة وقاره، ولاح أثره في أثناء وجهه وأسراره. اهتز اهتزاز الرامي
قرطس سهمه، والضارب نفذ حده، والشجاع ظهرت فروسيته، والحازر
صدقت فراسته. سرت المسرة في أعضائي، وطبقت الغبطة أحشائي،
وتهللت وجوه من الأنس كانت قبل عابسة، وأورقت غصون من الفرح وعهدي
بها يابسة. أقبلت بقلب مرتاح، وصدر ملآن من أنشراح. جاء بأقوى يد
وأبسطها، وأسر نفس وأنشطها. قد شق الضحك شذقه، وأمال الطرب
عنقه. مسرة تركتني كالغصن غازلته الصبا فترنج، ومرّت به الشمال فترجج.
قرت عيناه، وأنبسطت يميناه، وصافح مناه. المسرة آتية، والبهجة مواتية،
والوحشة مؤتية. لم أضبط نفسي آرتياحاً وهزة، كادا يورثاني بغياً وعزة. أنا في
ثوب المسرة رافل ونجم ألوحشة عني آفل. دواعي المسرة مكتنفة، وعوادي
الوحشة منكشفة.

في ضد ذلك

في نفسه بلائبل تدور، ومراجل تفور. يده دعامة لذقنه، وجسمه خشبة
لحزنه. قد صافح أكف الحزن، وأستسلم لأيدي الزمن. ما يستقر به
مضجع، ولا يجف له مدمع. باله كاسف، وقلبه راجف. هم قد نكأ القلب
وأبكى العين. لا أقول عمه، ولكن أعماه وأصممه. يرى ضياء الدنيا ظلاماً،
ويتصوّر نور الشمس قتاما. منطوي الجوانح على أذى، مغضوض الجفون
على قذى. قد طبق الحزن بسطة صدره، وأنفق الغم ذخيرة صبره. غمة
جدع فتية، وقلقه غض طري. نهاره للفكر، وليله للسهر. طرّق الأنس دونه
مبهمة، وآفاق السرور عليه مظلمة.

ذكر الأمن

فلان لا يلتفت وراءه مخافة، ولا يخشى أمامه آفة. قد أبدله الله بحر

الْخَوْفُ بَرْدُ الْأَمْنِ فَأَمِنْ سِرْبُهُ، وَعَذْبُ شِرْبِهِ. أَمِنْ لَا يُدْعَرُ مَعَهُ السَّرْحُ، وَلَا يَتَغَشَّى لِبَاسَهُ الدُّعْرُ. قَدْ سَكَنَ رَوْعُهُ وَالتَّحَفُ عَلَيْهِ جَنَاحُ السَّكِينَةِ، وَحَصَلَ فِي ظِلِّ الطُّمَأْنِينَةِ. قَدْ سَكَنَ جَاشُهُ، وَزَالَ أَسْتِيحَاشُهُ.

في ضد ذلك

إِذَا نَامَ هَالَهُ طَيْفٌ، وَإِذَا أَنْتَبَهَ رَاعَهُ سَيْفٌ. طَارَ قَلْبُهُ بِجَنَاحِ الْوَجَلِ، وَطَاشَ لُبُّهُ فِي قَبْضَةِ الْوَهْلِ. الْأَرْضُ عَلَيْهِ كُفَّةٌ حَابِلٌ أَوْ أَشَدُّ تَقَارُبًا، وَحَلَقَةٌ خَاتَمٌ أَوْ أَتَمُّ تَدَاخُلًا. قَدْ مَلَكَهُ خَوْفٌ لَا يَرِيمُ، وَدُعْرٌ لَا يَنَامُ وَلَا يُنِيمُ. قَدْ طَاحَ رَوْعُهُ فَرَقًا، وَطَارَ قَلْبُهُ فِرْقًا، كَادَتْ نَفْسُهُ تَطِيحُ، وَرُوحُهُ تَسْرِي بِهَا أَلْرَّيْحِ.

ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة

دَانَ بَعْدَ طُمَاحِهِ، وَلَانَ بَعْدَ جُمَاحِهِ. سَمَحَ، بَعْدَ أَنْ جَمَحَ، وَتَطَوَّعَ، بَعْدَ أَنْ تَمَنَّعَ. اسْتَأْسَرَ، بَعْدَ أَنْ اسْتَأْسَدَ، وَتَذَلَّلَ، بَعْدَ مَا تَذَلَّلَ، وَتَأَتَّى، بَعْدَ مَا تَأَتَّى، وَعَنَا، بَعْدَ مَا عَنَّا. دَانَ مَقَادُهُ، وَلَانَتْ شِدَادُهُ. ذَلَّتْ أَخَادَعُهُ، وَتَسَهَّلَتْ مَرَاتَعُهُ.

الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها

لِفَلَانٍ ضُيُوعَةٌ يَرْتَفِقُ بِهَا، وَيَرْتَزِقُ مِنْهَا. ضُيُوعَةٌ أَنْفَقَ عَلَيْهَا أَيَّامَ عَمْرِهِ، وَأَرَاقَ فِيهَا مَاءَ شَبِيبَتِهِ. ضُيُوعَةٌ أَقْتَنَّاها بِوُطْءِ الْعَجْمَرِ، وَأَسْتَعْمَرها بِأَنْتَعَالِ الْعَدَمِ. ضُيُوعَةٌ يَحْشُدُ فِي عِمَارَتِهَا، وَيَحْتَمِلُ فِي تَثْمِيرِ آرْتِفَاعِهَا، وَيَبِيعُ مَا يَلُوحُ لَهُ الْحِطُّ فِي بَيْعِهِ مِنْ غَلَّاتِهَا. تِلْكَ الضُّيُوعُ عَلَى اتِّسَاعِ بَقَاعِهَا، وَعِظَمِ آرْتِفَاعِهَا، قَدْ اسْتَغْرَقَتْ غَلَّاتِهَا. نَوَائِبُ السُّلْطَانِ، وَتَحَقِيقُ ثَمَرَاتِهَا جَوَائِزُ الزَّيْمَانِ، فَلَا فَضْلَ فِيهَا لِلْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ. وَقَفْتُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي تِلْكَ الضُّيُوعَةِ مِنْ الضُّيُوعَةِ، وَفِي تِلْكَ الْغَلَّةِ مِنَ الْخَلَّةِ. أَرْبَابُهَا أَرْبَابُ خَلَّةٍ وَقَلَّةٍ، وَأَحْوَالُ

مُضْمَحَلَّة. إِنَّ الْجَرَادَ الْعَامَ قَدْ جَرَدَ وَأَفْسَدَ. نَوَائِبُ أَنَاخَتِ عَلَى صُبَابَةِ مَعِيشَتِهِ
لَمْ تُبْقَ وَلَمْ تَذَرْ، وَتَرَكْتَ نَبَاتَهَا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِّ، وَذَلِكَ أَنَّ بَرْدًا أُتِيحَ لَهَا
كَبِيضِ النُّعَامِ كَبْرًا فَأَقْعَدَ قَائِمَهَا، وَغَيَّبَ نَاجِمَهَا، وَتَرَكَهَا عَافِيَةً تُنْدَبُ كَمَا نَدَبَ الشُّعْرَاءُ
الْأُطْلَالَ، ثُمَّ تَنَشَّدُ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْمَحِيلِ مُحَالٌ. هُوَ فِي تِلْكَ الْضِيَاعِ بَيْنَ
نَصْحِ يُؤْثَرُهُ، وَجَمِيلِ يُؤْثَرُهُ. قَدْ حَفَرَ، وَحَرَثَ وَبَذَرَ، وَقَوْمَ الْمَائِدِ، وَأَصْلَحَ
الْفَاسِدَ، وَعَمَّرَ الْغَامِرَ، وَتَأَلَّفَ النَّاقِرَ. كَانَ مِنْ أَثَرِهِ الْحَمِيدِ تَوْصِلُهُ بَيْسِيرِ الثَّنْفَةِ
إِلَى عِمَارَةِ الْقِنِيِّ حَتَّى تَفْجَرَتْ عَيُونُهَا، وَغَزَرَتْ مِيَاهُهَا. هَذَا مَعَ غَيْضِ الْمَاءِ
فِي عَامَّةِ الْأَطْرَافِ، وَيَكْثُرُ الزَّرُوعُ عَلَى الْجِفَافِ. قَدْ صَارَ دَخْلُهَا عَلَى
الضَّعْفِ، بَعْدَ عَوْدِهِ إِلَى النِّصْفِ. قَدْ أَكَّدَ أَسَاسَهَا، وَثَمَرَ غَرَاسَهَا، وَأَضْحَكَ
رِيَاضَهَا، وَمَلَأَ حِيَاضَهَا. جَاهَدَ أُمُورَهَا حَتَّى تَيْسَّرَ أَكْثَرُهَا، وَتَرَكَهَا لَا يَتَخَلَّلُهَا
خَلَلٌ، وَلَا يَمِيلُ بِهَا مِيلٌ. قَدَّمَ فِيهَا مَا هُوَ أَصْلَحُ وَأَنْجَحُ، وَأَوْفَقُ وَأَرْفَقُ. تَلَا فِي
أَمْرِهَا أَعْظَمَ التَّلَافِي، وَتَفَرَّدَ تَفَرَّدَ الْكَافِي الْوَافِي.

ذكر الفرس والبغلة والحمار

فَرَسٌ يُتَعَبُ سَائِسَةً، وَيُحْمَلُ فَارِسَهُ. فَرَسٌ رَائِعُ الْخَلْقِ، تَنْطِقُ عَنْهُ شَوَاهِدُ
الْعَتَقِ. سَفِينَةٌ بَرِّيَّةٌ، وَرِيحٌ مُجَسِّمَةٌ. كَأَنَّهُ مُنْتَقِبٌ بِالنَّجْمِ، مُتَعَلِّقٌ بِالْحِجَارَةِ
الْصُّمِّ. يُبَارِي طَلْقَ الْبُرَاةِ، وَيُفْنِي أَنْفَاسَ الْفُهُودِ، كَأَنَّهُ طَوْدٌ مُوثِقٌ، أَوْ سَيْلٌ
مُتَدَفِّقٌ، كَالْكُوكَبِ الْمُنْقَضِّ، وَالْبَارِقِ الْمُنْفَضِّ. كَالْجَاحِمِ الْمَشْبُوبِ،
وَالْهَاطِلِ الْمَصْبُوبِ. وَلَا يَعِينُ عَلَيْهِ سَوَاطِطٌ، كَأَنَّمَا أَنْعَلَ بِالرِّيَّاحِ، وَبُرُقِعَ
بِالصَّبَاحِ. كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ، فِي أَشْطَانٍ، وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ. كَالْبَحْرِ إِذَا
مَاجَ، وَالسَّيْلُ إِذَا هَاجَ. بَغْلَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَ حُسْنِ الشَّيْءِ، وَطِيبِ الْمَشْيَةِ. أَمَا
ذَلِكَ الْحِمَارُ فَالرَّيْحُ أُسِيرُ يَدِهِ، وَشُعْلُ النَّارِ فِي أَعْضَاءِ جِسْمِهِ، وَحَسَدُ
الْأَفْرَاسِ مَقْصُورٌ عَلَى حُسْنِهِ، وَكَمَدُ الْبَغَالِ لَمَّا فَاتَهَا مِنْ فَضْلِهِ.

وصف الأيام المشهودة والمشهورة

يومٌ هو عيدُ العُمر، وموسمُ الدَّهر. وميسمُ الفجر. يومٌ من أعيادِ دَهري، وأعيانِ عمري. يومٌ من أيامِ الدُّنيا ضاحكُ السِّن. طَلُقَ الوجه، شريفُ الصَّيت. رخيصُ الدَّهرمِ والدِّينار. كثيرُ الفرح والاستبشار. يومٌ أبرزت فيه الدُّنيا زينتها، وجلَّت على النَّواظر في معرض الجمال صورتها. يومٌ هو يوم القيامة إلا أنه لا حشر، وعيدُ الدُّنيا إلا أنه لا فطر ولا نحر. يومٌ خرجت فيه العذراء من الخدر، والصَّبي من المهد، وسلَب الرَّجلُ رداءه في عُمار الرِّحمة، والمرأة سوارها فلم يُسمع صراخها من الضَّجة. يومٌ تهافت فيه الناس حتى ضلَّت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الشيخ، وديس الصَّبي، يومٌ تكاثرت فيه النظارة حتى حُمِلَ فيهم الصَّبي، ودَلَفَ الشيخ، ودبَّت العجوز، وخرجت العروس، وخلت الدُّور.

التأبيد

ما طلعت ألثريا وغربت، وشرقت الشَّمسُ وغربت. ما لاح كوكب، وأقام يَدْبُلُ وكَبَّكَب، ما حال حَوْل، وعاد عيد، وأخضرَّ عود. ما طلعت شمس، وتكرَّر أُمس، ما تردَّد نفس، وتكرَّر غَلَس. ما بَلَّ ريقُ فَمَا، ومِدادُ قَلَمَا. ما أنتهى ظلامٌ إلى فَلَاق، وتادى غروبٌ إلى غَسَق. ما أُنْخِرَ المَهَل، وضُربَ المَثَل. ما بقي إنسان، ونطق لسان. ما طَرَدَ اللَّيْلُ النَّهَار، وأطرد النَّجْمُ وسار. ما تعاقب الضِّيَاءُ والظُّلَام، وتناسخت الشُّهُور والأعوام.

آخرُ كتاب الشوارد والفوارد وما يشبهها، والله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الأمثال والحكم

وما يحذو حذوها

قال مؤلف هذا الكتاب

قد اعتمدت بهذا الكتاب الأخير أن يكون غرره كلها مُستقلة بأنفسها،
منسوبة إلى أربابها الذين هم أفراد الدهر، وأعيان العصر، في أنواع الشر،
وجعلت لكلٍ منهم باباً مفرداً، وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي أدام الله تأييده

الكريم إذا وعد لم يخلف، وإذا نهض بفضيلة لم يقف. الرجاء كنور في
كمام، وألوفاء كنور في ظلام، ولا بد للنور أن يتفتح، وللنور أن يتوضح.
العفو عن المجرم من مواجب الكرم، وقبول المعذرة من محاسن الشيم.
بزند الشفيع توري نار النجاح والإقداح، ومن كف المفيض ينتظر فور
الإقداح. الوسائل أقدام ذوي الحاجات، والشفاعات مفاتيح الطلبات. من
أقعدته نكاية الأيام، أقامته إغائة الكرام. ومن ألبسه اللئيل ثوب ظلمائه، نزعه
عنه النهار بضيائه. قوة الجناح بالقوادم والخوافي، وعمل الرماح بالأسنة
والعوالي. اقتناء المناقب، باحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل،
بالسعي في الخطب الجليل. الدار دار تغري وخداع، وملتقى ساعة لوداع،
وأهلها متصرفون لورده وصدر، وصائرون خبراً بعد أثر. غاية كل متحرك

سكون، ونهاية كل متكون أن لا يكون، وآخر الأحياء فناء، والجزع على الأموات
عناء، وإذا كان كذلك، فلم تهالك على هالك. حشو هذا الدهر الخوون
أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معدوم. إذا سمح الدهر بالحباء، بأبشر
بوشك آلانقضاء، وإذا أعار، فأحسبه قد أعار، وإذا حالف، فأحسبه قد
خالف. الدهر طعمان خلو ومر، والأيام صرفان عسر ويسر، والخلق معروض
على طورية، مقسوم الأحوال على دوريه. لكل شيء غاية ومتهى، وانقطاع
وإن بعد المدى. ترك الجواب، داعية الارتباب، والحاجة إلى اقتضاء،
كسوف في وجه الرجاء. النجيب إذا جرى لم يشق غباره، والشهاب إذا سرى
لم تلتحق آثاره. من أين للضباب، صوب السحاب، وللغراب هوي العقاب،
وهيهات أن تكسب الأرض لطافة الهواء، ويصير البذر كالشمس في الضياء.
قد يستعذب الشرب من منبع الزقاق، ويستطاب النحيب من النهاق. كل
غم إلى انحسار، وكل عال إلى انحدار. هم المنتظر للجواب ثقل،
والمدى فيه وإن كان قصيراً طویل.

ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي

الزمان صروف تجول، وأمر تحول. الأخلاق تنميها الأعراق، والثمار تنبي
عنها الأشجار. الشكر به زكاء النعمى، والوفاء معه صلاح العقبى. السعيد
من تحلى بزيينة الطاعة، واقتدح بزند الجماعة. العامة لا تفقه حقائق
المذاهب، ولا تعرف عواقب التألب والتحارب. المخذول يرفع رأساً ناكساً،
ويبل فماً يابساً. لا يشوقنك غرارة الصبي، ولا يروقنك زخرف المني. استعد
بالله من نزغات الشيطان، ونزقات الشبان. من خلا له الجو باض وصفر ومن
استرخى به اللب نزا وطفر.

ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد

متى خلصت حالاً من اعتوار إذى، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى. قد

تتماسك الأمور حتى تبلغ إلى غاية، ثم تتباين وتتهافت وتستمر حتى تنتهي إلى نهاية، ثم تتخاذل وتتفاوت. لن يفيض الإناء وإن تدارك القطر عليه حتى يمتلي، ولا يتساقط الثوب وإن دب فيه البلى حتى ينتهي. قد تسمح الأيام بما تمنع، وتتساهل ثم تقطع، وتصل الغبطة بالرزية، والمحنة بالمحنة، ولها غرات تُبتدر، وغفلات تُتنهز. قبل أن تظن فيخشن مسها، ويمتنع جانبها، ويتأبى طائعها، ويتصعب سهلها. قد يعزب العقل ثم يؤوب، ويعزب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود، ويفسد العزم ثم يصلح، ويضاع الرأي ثم يستدرك، ويسكر المرء ثم يصحو، ويكدر الماء ثم يصفو، وكل شدة فإلى رخاء، وكل غمرة فإلى أنجلاء. قد تنفجر الصخرة بالماء الزلال، ويلين القاسي فيعود إلى الوصال. العاقل من افتتح في كل أمر خاتمة، وعلم من بدء كل شيء عاقبته، وطالع بظنه من كل غرس ما يجنى منه، ومن كل زرع ما يحصد عنه. خير القول ما أغناك جدّه، وأهلك هزله. من أسر دأه وسر ظمأه، بعد عليه أن يبل من علله، ويبل من غلله، الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرّب، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة ونصب. الصحيح يصيح ويفصح، والحق يلوح ويلمح. الوداد غرس إن لم يوافق ترى ثريا وماء رويّا، لم يرج إبراقه، ولم يؤمل ثماره [وأوراقه]. القلوب أوعى يشرحها الرفق، ويبسطها اللطف، ويفسحها التمرين، وإذا تجوز بها هذه الخلال، إلى الاستكراه والإملال، خرجت عن احتواء علم، وضاعت عن ضبط فهم، وفاضت بما تستودع. رأس المال خير من الربح، وأصل أولى بالعناية من الفرع. المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه. قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه، فكيف يذلل العاقل عن حفظ أوليائه، للأمور أوائل دالة على أواخرها، ومقدمات شاهدة لعواقبها، هل ألسيد إلا من تهابه إذا حضر، وتغتابه إذا أدبر. الإبقاء على خدم السلطان عدل الإبقاء على ماله، والإشفاق على حاشيته وحشمه، مثل الإشفاق على ديناره ودرهمه. قدم من خيرك ما لا ينفعك تأخير، وأحص

الشرُّ قبل استفحاله، وقوم الميل ما دام الغصنُ غضاً يقبل التقويم، ورطباً يطيع التثقيف، ولا تنتظر به العُسُورُ والامتناع، وداو فتقاً تُنهره الأيام خرقاً إن تركته، أرأب شعباً يزيدُه الدَّهرُ وهياً إن أغفلته. المزح وأهزل بابان إذا فُتحا لم يُغلَقا إلَّا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم يُنتجا غير الشرِّ.

ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى الوزير

من تعرَّض للمصاعب، تثبَّت للمصائب. من ضاف الأسد قرأه أظفاره، ومن حرَّك الدَّهرَ أراه آقذاره. من حنَّ في أيمانه، وأخلَّ بأمانته، فإنما ينكث على نفسه. القلب لا يملك بالمخاتلة، ولا يُدرَك بالمجادلة. التَّصرُّفُ أسنى [وأعلى]، والتَّعطلُ أعفى وأصفى. أكفُّ عن لحم يكسبك بشماً، وفعلٌ يُعقبك ندماً. مكنْ مَوْضعَ رجلِك، قبل مشيك، وتأمَّلْ عاقبةَ فعلِك، قبل سعيك. لا تُبد وجهه المطابق الموافق، وتخفي نظر المسارق المنافق. لا تعُدِّل عن النَّصِّ، إلى الخُرص، وعن الحِسِّ، إلى الهجس. ربُّما وفي ظنين، وهفا أمين. قتلُ الإنسان ظلمٌ، وقتلُ قاتله حكم، لو لم يكن في تهجين الرأي المُفرد، وتبيين عجز التَّدبير الأوحد. إلَّا أنَّ الاستلحاق وهو أصل كلِّ شيء لا يكون إلَّا بين اثنين، وأكثر الطيبات أقسام تجمع، وأصناف تُؤلف، لكفى بذلك ناهياً عن الأبتداد، وأمراً بالاستمداد.

ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

من استجار به فقد وطئ النجم بقدمه، وسبق القَدَم بتقدُّمه. من استماح البحر العذب، استخرج اللؤلؤ الرطب. مَنْ غرَّته أيامُ السَّلامة، حدَّثته السَّنةُ الندامة. من لم يهزه يسيرُ الإشارة، لم ينفعه كثيرُ العبارة. رُبَّ لطائف أقوال، تنوبُ عن وظائف أموال. الكلامُ إذا تكرر في السَّمْع، تقرر في القلب. مَنْ طلب الرِّيَّ من الفُرات لم يخش الظمُّ في ورده. ومن قصَّد الكريم برجائه

لم يُحاذِرِ الحَيِّيةَ في قصده. من طالت يده بالمواهب، امتدَّت إليه ألسنة المطالب. مَنْ غَمَطَ النِّعْمَةَ، استنزَلَ النِّقْمَةَ. مَنْ نَبَتَ لحمه على الحرام، لم يحصِّده غيرُ حَدِّ الحُسام. من يكنِ الحَدَّاءَ أباه، تَجِدُ نعلاه. من لم يتحرَّرْ من المكاييد قبل هُجومها، لم يُغْنِه الأسف عند وقوعها. مَنْ عَرَفَ المفاخر، عَرَفَ المَعَايِر، وَمَنْ حَفِظَ المساعي (كذا). الناس بالذِّمِّ أعلَق، وروائعهم بالحفظ أَعْبَق. الاعتدالُ أعدل، والطريق الأوسطُ أمثل. الرَّأْيُ أقوم، أحكم، وأسدُّه، أشدُّه. رَبُّ اجتهاد، أبلغ من جهاد، ومكاييد دقيقة المسارب، أنكى من جدادٍ صقيلة المضارب. ولطائف أقوال، تنوب عن وظائف أموال. وثبات عقول وعقود، أوقع من ثبات جيوش وجنود. غشُّ الكافي أحمدُ من نُصح الناقص. الثَّناء الجميلُ لسانُ المساعي، وأبشُرُ الحَسَنُ عنوانُ المعالي. الصَّدْرُ يطفحُ بما جَمَعَه، وكلُّ إناءٍ مؤدٍّ ما أودعه. اللَّيِّبُ تكفيه اللَّمَّحة، وتغنيه عن اللَّفْظَةِ اللَّحْظَةِ، الإحجامُ في مواطنه، كالإقدام في مواقعه، والتركُّ في أماكنه، كالأخذ في مواضعه. الراحة حيث تعب الكرام أودع، لكنها أوضع، والقعود حيث قام الأحرار أسهل، لكنه أسفل. الشمسُ قد تغيب ثم تُشرق، والروض قد يذبل ثم يورق، والبدْرُ يأفل ثم يطلع، والسيف ينبو ثم يقطع. اللَّيِّبُ مَنْ الإيمان يكفيه، والإيحاء يغنيه، واللَّفْظَةُ تجزيه، واللمحة تؤثر فيه. الكأسُ تكره أول ما تؤخذ، ثم تنفع بعد ما تنفذ. السيّد لا يروع القطيع بأرضه، والأسدُّ لا يعدو على الفريسة في غيله. الوقوف في مدارج ألْهُم ذَنْبٌ عظيم، والدخول في شُبُهات الظنِّ داءٌ عقيم. العِلْمُ بالتذاكر، والجهلُ بالتناكر. الطاعة سعيدة المطيع، حميدة المَرَجع. والعصيانُ ذميم الفاتحة، وخيمُ العاقبة. الثعالب لا تجسُر على أخياس الأسود، والأرانِبُ لا تُقدِّم على أغيال اللَّيْث. الضمائرُ الصِّحاح، أبلغُ من ألسنة الفصاح. إِنَّ الجبالَ ألْثَمَ، والأطوادَ ألْصَم لا تمال بحصيات ألقاذف، ولا تحال بجمرات الحاذف. الرَّجُلُ الحَوْلُ من ثنى أُرْمَة

الأعداء عن الشحناء، إلى المودة والصفاء، لا من أحال الصديق ذا الإخاء،
 إلى حال الهجرة والبغضاء. الشيء يحسن في إبانة، كما أن الثمر يستطاب
 في أوانه. الإغفال لا تؤمن عواقبه، بل تحذر مضايده. الآمال ممدودة،
 والأنفاس معدودة. الذكري ناجعة، وكما قال الله نافعة. تجارة الإفضال
 رابحة، وصفقة الإحسان راجحة. متن السيف لين، ولكن حده خشن. ومس
 الحية ألين، ونابها أخشن. والشمس تحيي نورا، ولكنها تقتل حرًا. والماء
 يروي، وقد يخاض فيه فيردى. عقد الأمن في الرقاب، لا يبلغ إلا بركوب
 الصعاب. بعض الجلم مذلة، وبعض الاستقامة مزية. كتاب المرء عنوان
 عقله، بل عيان قدره، ولسان فضله، بل ميزان عمله. انجاز الوعد، من
 دلائل المجد. وأعتراض المظل، من أمارات البخل. وتأخير الإسعاف، من
 قرائن الإخلاف. خير أبر ما صفا، وضا، وشره ما تأخر، وتكدر. خير
 الوعد ما قضى بالإرتداد، قبل الإيقاع، والأنزجار، قبل الإنكار. اصطناع
 الأراذل، سمة في وجوه الأفاضل. مرضاة السلطان، لا تغلو بشيء من
 الأثمان، ولا يبذل الروح والجنان. فِراسة الكرم لا تبطي، وقيافة الشرف لا
 تخطي. قد ينبح الكلب القمر، فيلقم النابح الحجر. كم متورط في عثار،
 رجاء أن يأخذ بثار. لا بُدَّ للسرى من قمر، وللرعى من مطر. قد يبلغ الكلام،
 حيث تقصر السهام. ربما كان الإقرار بالقصور، أنطق من لسان الشكور.
 ربما كان الإمساك عن الإطالة، أرجح في الإبانة والدلالة. هل يثبت التصنع
 إلا بقدر الاستكشاف، ويستقر العمل إلا ريث الاستشفاف. لكل أمر أجل،
 ولكل وقت عمل. إن نفع القول الجميل، وإلا نفع السيف الصقييل. لا
 يذهن عليك تفاوت ما بين الشيوخ والأحداث، والنسور والبغاث. عريسة
 الأسد، ليست من أماكن النقد. كفران النعم، عنوان النقم. وجحد
 الصنائع، داعية القوارع، وتلقي الإحسان بالجحود، تعريض النعم للشرود.
 قد يصلي البريء بالسقيم، ويؤخذ البرُّ بالأنيم. يقوى الضعيف، ويصحو

النزيف، ويستقيم المائد، ويستيقظ الهاجد. ما أنتفع بعلم من لم ينتفع بطبّه، ولا بفهم أمرىء لم يُصب بوهمه. إنّ السنين تُغيّر السنن. شجاع ولا كعمرو، ومندوب ولا كصخر. للصدر نفثة إذا أخرج، وللمرء بثّة إذا أُحوج. طلوع الشمس في ضمان غروبها. ومكاره الأيام في أعقاب محبوبها. وعواري الليالي على شرف ارتجاعها، وودائع الدهر بعرض انتزاعها. المكاتبه نظام الصلّة وقوام المقة، وملاك المسرة، وعماد المبرة.

ما أخرج من كلام أبي اسحاق ابراهيم بن هلال الصابيء

موقع الشكر من النعمة، موقع القري من الضيف. إن وجدته لم يرم، وإن فقدته لم يُقم. إنّ النفس لأمارة بالسوء، صبة إلى العتو. لا تدفع عن مضارّها إلا بالشكاثم، ولا تُقاد إلى منافعها إلا بالعزائم، فمن كبجها وثناها نجأها، ومن أطلقها وأهرجها أردأها. إن الشيطان يكسو الخدع والشبهات، سراويل الحجاج والبينات. ليستفز بها الأحلام، ويستزل الأقدام. احذر أن تأمر بما تجانب فعله، وتنهى عما تأتي مثله. الشورى لقاح العقول والمباحثة رائد الصواب، وأستظهار المرء على رأيه من عزم الأمور، وأستنارته بعقل أخيه من حزم التدبير. إذا استفحل الذاء فالكى والأنضاج، أنجع ما أستعمل فيه من العلاج. أعرف الناس بقدر أعافية من وجدها بعد فقدها، وبفضل الثروة من لبسها بعد التعري منها. لسان العمل أنطق من لسان القول. وجميل الفعل أزر من حسن الوعظ. إذا أتت الجفوة من معدن البر تضاعف إيلاؤها، وتزايد إيجاعها، كما أن المبرة إذا جاءت شاذة من معدن العقوق حسن موقعها، وأعجب أمرها. رب بعيد يقربه نقاء جيبه، وقريب يبعده اتهام غيبه. رب حاضر لم تحضر نيته، وغائب لم تغب مشاركته. للكلام مذاهب وملاحن، وربما سلك القائل مسلكاً فسلك السامع ضده، وأراد شيئاً فظن به غيره. لا بد من مصابرة الغمرة حتى تنجلي، وملاطفة الشدة حتى تنتهي.

السيئة إذا حصلت بين حسنتين لم تكن إلا مغمورة مغفورة. إن الله تعالى دعا إلى ألنهوض والنهود، ونهى عن الفتور والقعود. الشكول أقارب، وإن تباعدت بهم المناسب. إن انتشار النظام إذا بدا بدب ديب النار في الهشيم، ويسري كما يسري النعل في الأديم، وكثيراً ما يُعدي الصحاح مبارك الجرب، ويتخطى الأذى إلى المركب الصعب.

ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف

نعم ألمعبّر عن الضمير مضمار القريض. إن الله سائلك عن الخطرة والخطفة، واللحظة واللفظة. أدرع من ثوب عقافك، ما يشمل كافة أطرافك. التقوى أقوى ظهير، وأوفى معين. وخير عتاد، وأكرم زاد للمعاد. اشحذ فكرك، وأرهف ذهنك. إذا ابتديت النظر، فاقض أمامه لكل وطر، لئلا تجاذبك شهوة، أو تختلجك من نوازع النفس حاجة. احذروا أن ينقلكم الله بأقدامكم، إلى مصارع جمامكم. استديم النعمة عليك بالتقوى لله، وبحسن الطاعة للسلطان فإنهما جنتاك، وعدتاك وذريعتاك، والمشفعتان عند الله في أولاك وأخراك. التقوى أوفى معين، وأوفى ظهير. التقوى هي العدة ألوافيه، والجنة ألواقية، والتجارة ألرابعة، والسعادة ألسانحة، والجلاء للشبهة، والضياء في الغمة. سيعيض الله من حرّ الهواجر برد الظلال، ومن قلق الركاب، نجح الإياب. استقبلوا بالخضوع وجه الله وأستنزلوا بالتسبيح والتهليل رحمته. وأستديموا بالحمد والشكر نعمته. أيقظوا قلوبكم من سينة الخواطر، وأحبوسا ألحاظكم عن محظور المناظر.

ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني

قل في حرّان أخطأه ألنوء، وحيران مظلم خذله ألضوء. مراتع أهل ألفضل موبئة، ووجوه مطالبهم مظلمة. شاهد القلب يصدق ألقول، ورائد ألضمير

يَحَقِّقُ الدَّعْوَى . ابْتَدَأَ الْمَنَّةَ تَبَرُّعَ وَنَافِلَةٍ ، وَإِتِمَامَهَا سَنَةً لَازِمَةً وَغَنِيمَةً حَاصِلَةً .
الْبَيَانُ الْحَسَنُ يَنْبُؤُ عَنِ الرُّقَى ، وَيَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ مِنَ الذَّرَى . كَلَالُ الدَّهْنِ ،
مَعَ ارْتِقَاءِ السِّنِّ . وَنُقْصَانُ الْخَوَاطِرِ ، بِزِيَادَةِ الشَّوَاغِلِ وَاسْتِمْرَارِ الْبَلَادَةِ ،
بِمَفَارِقَةِ الْعَادَةِ .

ما اخرج من كلام ابي بكر محمد بن العباس الخوارزمي

الشكر عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَالسَّلَاحُ بِإِزَاءِ الْأَثْمَانِ . الطَّيْرُ وَاقِعُهُ مَعِ مِثْلَهَا ،
وَالنَّفْسُ مَائِلَةٌ إِلَى شَكْلِهَا ، الْإِذْكَارُ حَيْثُ التَّنَاسِي ، وَالتَّقَاضِي ، حَيْثُ
التَّغَاضِي . الْعَشْرَةُ مَجَامِلَةٌ ، لَا مَعَامِلَةَ ، وَالْمَجَامِلَةُ لَا تَسَعُ الْاسْتِقْصَاءَ
وَالْكَشْفَ ، وَالْعَشْرَةُ لَا تَحْتَمِلُ الْحِسَابَ وَالصَّرْفَ . الْإِعْتِذَارُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
ذَنْبٌ ، وَالتَّكْلُفُ مَعَ وَقُوعِ الثَّقَةِ عَيْبٌ ، وَالدَّوَاءُ لَغَيْرِ حَاجَةٍ دَاءٌ ، كَمَا أَنَّهُ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَيْهِ شِفَاءٌ . الْاسْتِقَالَةُ تَأْتِي عَلَى الْعَثَرَاتِ ، كَمَا أَنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
السَّيِّئَاتِ . الذَّنْبُ لِلْعَيْنِ الْعَشَوَاءِ ، فِي مَحَبَةِ الظُّلْمَاءِ ، وَكَرَاهَةِ الضِّيَاءِ ، وَفَمِ
الْمَرِيضِ يَسْتَقِلُّ وَقَعَ الْغِذَاءِ ، وَيَسْتَمْرِيءُ طَعْمُ الْمَاءِ . الْحَرُّ كَرِيمُ الظَّفَرِ إِذَا
نَالَ أَنْالَ ، وَاللَّيْمُ لَيْمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ أَسْتَطَالَ . الْآبَاءُ أَبَوَانِ : أَبٌ وَلَادَةٌ ، وَأَبٌ
إِفَادَةٌ فَالْأَوَّلُ سَبَبُ الْحَيَاةِ الْجِسْمَانِيَّةِ ، وَالثَّانِي سَبَبُ الْحَيَاةِ الرُّوحَانِيَّةِ . الْغَيْرَةُ
عَلَى الْكُتُبِ مِنَ الْمَكَارِمِ ، لَا بَلْ هِيَ أَخْتُ الْغَيْرَةِ عَلَى الْمَحَارِمِ . وَالبُخْلُ
بِالْعِلْمِ عَلَى غَيْرِ أَهْلِهِ ، قَضَاءُ لِحَقِّهِ وَمَعْرِفَةُ بِفَضْلِهِ . الرَّجُلُ إِذَا قَيَّدَهَا عِقَالُ
الْوَجَلِ ، لَمْ تَنْطَلِقْ نَحْوَ مَطْبَةِ الْأَمَلِ . الْمُحْجُوجُ بِكُلِّ شَيْءٍ يَنْطِقُ ، وَالْغَرِيقُ
بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ . الْعَاقِلُ يَخْتَارُ خَيْرَ الشَّرِّينَ ، وَيَمِيلُ مَعَ أَعْدَلِ الشَّقِيَّينَ . الْجَوَادُ
مُحْتَكِرٌ بَرٌّ ، لَا مُحْتَكِرٌ بَرٌّ . الْكَرِيمُ تَاجِرُ جَمَالٍ ، لَا تَاجِرُ مَالٍ . وَالْحُرُّ وَقَايَةُ
الْحُرِّ مِنْ فَقْرِهِ ، وَسِلَاحُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، الْمَدْحُ الْكَاذِبُ دَمٌ ، وَالْبِنَاءُ عَلَى غَيْرِ
أَسَاسٍ هَدْمٌ . الدَّهْرُ غَرِيمٌ رُبَّمَا يَفِي بِمَا يَعِدُ ، وَحُبْلَى رُبَّمَا تَنْثُمُ فِيمَا تَلِدُ .
الدَّهْرُ أَصَمٌّ عَلَى الْكَلَامِ ، صَبُورٌ عَلَى وَقْعِ سِهَامِ أَلْمَامٍ . النَّاسُ بِالْإِحْسَانِ ،

وَالْإِحْسَانُ بِالْسلْطَانِ، وَالْسلْطَانُ بِالزَّمانِ، وَالزَّمانُ بِالْأَمْكانِ، وَالْإِمْكانُ عَلَى قَدْرِ الْمَكانِ. الْعِزْلُ طَلاقُ الرِّجالِ، وَالْمِحنَةُ صَيْقُلُ الْأَحوالِ. الْكَرِيمُ مَنْ أَكْرَمَ الْأَحْرارَ، وَالْكَبِيرُ مَنْ صَغَّرَ الدِّينارَ. الْمَصِيبَةُ فِي الْوَلَدِ آعاقٌ مَوْهبةٌ، وَالْتَعَزِيَةُ عَنْهُ تَهْنِئَةٌ. الْمَحَبَّةُ ثَمَنُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ غَلَا، وَسَلَّمٌ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَإِنْ عَلَا. الرَّجُلُ مَنْ إِذَا كَوَى أَنْصَجَ، وَإِذَا لَقِحَ أَنْجَجَ. وَإِذَا قَالَ أْبْلَغَ. وَإِذَا أَنْعَمَ أَسْبَغَ. التَّقْدِيمُ عَلَى الْغَايَةِ تَأَخُّرُ عَنْهَا، وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْكَفَايَةِ نُقْصَانٌ مِنْهَا. الْأُذُنُ بِكَرٍّ مِنَ الْأَبْكارِ، لَا تُفْتَضُّ إِلَّا بِالْأَخْبَارِ، وَالْبَكْرُ مِنْهَا أَحَبُّ إِلَيْهَا، وَالَّذُ لَدَيْهَا. إِنَّمَا السُّودُّ بِكَثْرَةِ الْآتِبَاعِ، وَكَثْرَةُ الْآتِبَاعِ بِكَثْرَةِ الْأَصْطِناعِ إِنَّمَا تَحُومُ الْأَمالِ حَيْثُ الرَّغْبَةُ، وَتَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ تُنْشَرُّ الْحَبَّةُ، إِنَّ النِّسَاءَ لَحِمٌّ عَلَى وَضْمٍ، وَعَصِيدٌ فِي غَيْرِ حَرَمٍ، إِلَّا أَنْ تَلَاخِظَ بَعِيْنَ غَيُورٍ، وَنَفْسٌ يَقِظٌ حَذُورٍ. إِنَّ أَلْوَايَةَ عِزْلٍ، إِذَا لَمْ يَعْمَرْ جَانِبَهَا عَدْلٌ. سُرْعَةُ الشَّهَادَةِ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ الْخَفَةِ، وَابْتِدَالُ الْمَدْحِ وَالْتِزْكِيَةِ بَابٌ مِنْ أَبْوابِ أَلْمَلَقِ. الْمِجَازَفَةُ بِحِسابِ أَلْمِقَالِ، أَقْبَحُ مِنَ الْمِجَازَفَةِ بِحِسابِ أَلْمالِ، قَبُولُ شُكْرِ الشَّاكِرِ التَّزامٌ لَزِيادَتِهِ، وَاسْتِمَاعُ قَوْلِ أَلْمادِحِ ضِمَانٌ لِحاجَتِهِ. صَغِيرُ أَلْبِرِّ أَلطَفٌ وَأَطْيَبُ، كَمَا أَنَّ قَلِيلَ أَلْماءٍ أَشْهَى وَأَعْذَبُ. ثَمَرَةُ أَلْأَدَبِ الْعَقْلُ أَلْأَرْجَحُ، وَثَمَرَةُ أَلْعِلْمِ أَلْعَمَلُ الصَّالِحِ. طَوْلُ الْخِذْمَةِ، أَكْثَرُ حُرْمَةٍ، وَتَأَكُّدُ الْحُرْمَةِ، عَقْدُ قَرَابَةٍ وَلُحْمَةٍ. ادِّعَاءُ الْفَضْلِ مِنْ غَيْرِ مَعْدِنَةٍ نَقِيصَةٍ، كَمَا أَنَّ الْإِقْرارَ بِالنَّقْصِ مِنْ حَيْثُ أَلْاعْتِذارِ فَضِيلَةٍ، وَالْقِتالَ عَنِ الْعِسكرِ الْمَنْهَزِمِ ضَرْبٌ مِنَ الْمُحالِ، وَتَعَرُّضُ لِسْهامِ أَلْأَجالِ. شَاهِدُ الْعِيانِ، أَقْوَى مِنْ شَاهِدِ النِّسيانِ، وَدَلِيلُ الْبَصَرِ، أَوْضَحُ مِنْ دَلِيلِ الْخَبَرِ شَاهِدُ الْأَحوالِ، أُنْطِقُ مِنْ شَاهِدِ الْأَقْوالِ. بَابُ الْإِحْسَانِ مَفْتُوحٌ مَنْ شَاءَ دَخَلَهُ، وَجِمَى أَلْجَمِيلُ مُبَاحٌ مَنْ أَشْتَهَى فَعَلَهُ. وَلَيْسَ عَلَى الْمَكارِمِ حِجابٌ، وَلَا يَغْلِقُ دُونَهَا بَابٌ. شَبَكَةُ الْمُحالِ أَوْهَى مِنْ أَنْ تَنْشَبَ فِيهَا رِجْلُ مُجِحٍّ، وَكَيِّدُ الْباطِلِ أَضْعَفُ مِنْ أَنْ يَنْفُذَ فِي حَقِّ. مُؤَدِّبُ الْعاقلِ إِخْوانُهُ، وَمِراثَةُ زَمانِهِ. وَسَوَطُ الْجِوَادِ عِناؤُهُ. شَرَفُ النَّازِلِ مُتَّصِلٌ بِشَرَفِ الدَّارِ، وَسَمَكُ

الأنهار، ليس في قرار سَمَك البحار. قراءةُ كتاب الصديق نِعَم تَرِياق سم الغم. قليل السلطان كثير، ومداراته حَزْمٌ وتَدْبِيرٌ، كما أن مُكاشَفَتَهُ غُرُورٌ وتَغْرِيرٌ. شَرٌّ من الساعي من أنصت له، وشَرٌّ من متاع السوء من قبله. لا خَيْرٌ في حُبِّ لا تُحتمل أقداءُهُ. ولا يُشْرَبُ عَلَى الكَدْرِ مأوهُ. خَيْرُ الكلام ما أَسْتَرِيحُ من ضِدِّهِ إلى ضِدِّهِ. ورتع بين هَزْلِهِ وَجَدِهِ. أوجع الضَّرْبُ ما لا يمكن منه البكاء، وأشدُّ الشكوى ما لا يحققه الاشتكاء. كُلُّ غَمٍّ كان سبباً للسرور، فهو سرور، وكلُّ ظُلْمَةٍ كانت طريقاً إلى النور، فهي نور. أبى الله أَنْ يَقَعَ في البَثْرِ إِلَّا مَنْ حَفَرَ، وَأَنْ يَحْيِيَ المَكْرَ السَّيِّئُ إِلَّا بِمَنْ مَكَّرَ. الدُّعَاءُ غايةٌ من ضاق إمكانُهُ، ولم يُساعده زمانه. ما تَعَبَ من أجدى، وما أَسْتراحَ مَنْ أكدى، وحبذا كَدْرٌ أَوْرَثَ نجحاً، وشوكة أجنت ثمراً. للرياسة شروطٌ وتوابع، وللتجارة فيها أرباحٌ ووضائع، فرأس مالها اعتقادُ المنن في الأعناق، وتبليغ الرِّجالِ مقادير الكفاية والاستحقاق. مَنْ طَمَسَ عينَ الشَّمْسِ، فقد نطق عن مقداره في الحسن. هل عَلَى الأرض عارٌ أَنْ تطلب سُقيا السَّمَاءِ؟ وهل عَلَى أَلْفِ قرءٍ نقصٌ أَنْ يَأْخُذُوا صَدَقَةَ الْأَغْنِيَاءِ؟. وهل يعيبُ النَّهْرُ أَنْ يستمدَّ من أَلْبَحْرٍ؟ وهي يضع السَّاري أَنْ يستضيءَ أَلْبَدْرُ. قد يتواضع الأسدُ لصيد أَلْرَنْبِ، وأفتراسِ أَلْتَعْلَبِ. وَإِنْ كان يَصْطادُ أَلْفِيلَ، ويفترس أَلزَّنْدَ فِيلَ. حَقٌّ لنهر انشعب من بحر، أَنْ يكون غزيراً ولنجم استضاء ببدر، أَنْ يكون مُنيراً. بِالْأَبَاءِ يَقْتَدِي الأَوْلادُ، وَعَلَى الأَعْرَاقِ تَجْرِي أَلْجِيَادُ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَجْرِي عَلَى عِرْقٍ أَوَّلِيهِ، وَكُلُّ إِنَاءٍ يَرْشَحُ بما فيه. قد يصبر الكَرِيمُ عَلَى عِشْرَةِ مَنْ لا يحبُّهُ، ولا يميل إِلَيْهِ قَلْبُهُ. العَاقِلُ إِذَا ابْغَضَ أَنْصَفَ، وَإِذَا أَحَبَّ أَلَطَفَ. مَنْ ذَا يَزْحَمُ أَلْدَّاءَ وَأَلْمَوْتَ دَاوُهُ، وَيَتَّقُ بِالْأَصْدِقَاءِ وَالْأَيَّامِ أَعْدَاوُهُ. لا ثبات عَلَى سَمِ أَلْأَسْوَدِ، ولا قرار عَلَى زَأْرِ الأَسَدِ. كيف يقدر عَلَى الدَّوَاءِ، مَنْ لا يهتدي إِلَى الدَّاءِ. وكيف يُدَاوِي أَعْدَاءَهُ، مَنْ لا يَعْرِفُ أَصْدِقَاءَهُ. قد هابَكَ مَنْ أَسْتَرَّ، ولم يُذنب إِلَيْكَ مَنْ أَعْتَذَرَ. وَمَنْ رُدَّ إِلَيْهِ عُذْرُهُ فقد أخرجَهُ إِلَى

الشَّجَاعَة بعد الْجَبِين، وأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ. لَيْسَ بَيْنَ الْمَوَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ شَنْعَةٌ، أَوْ لَفْظَةٌ قَذَعَةٌ. رُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً، وَفِي غَيْرِ وَقْتِهِ يَكُونُ سُبَّةً. بِالصَّبْرِ يُنَالُ الْعُلَى، وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى فِي الزَّوَايَا خَبَايَا، وَفِي الرِّجَالِ بَقَايَا. أَشْرَفَ مِنَ الْحَقِّ مَنْ قَبَلَهُ، وَأَحْسَنُ مِنَ الْحَسَنِ مَنْ فَعَلَهُ. هَلْ يَبْرَأُ الْمَرِيضُ بَيْنَ الطَّبِيبِينَ؟ وَهِيَ يَسَعُ الْغِمْدَ سَيْفَيْنِ؟ لَمْ أَرْ مُعَلِّمًا أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنَ الزَّمَانِ، وَلَا مُتَعَلِّمًا أَسْوَأَ تَعْلَمًا مِنَ الْإِنْسَانِ. قَدَمًا أَخْلَفَ الدَّوَاءَ شَارِبُهُ، وَخَانَ الرَّجَاءَ صَاحِبُهُ. مِنَ الْنَاسِ مَنْ إِذَا وَلِيَ عَزَلَتَهُ نَفْسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا عَزَلَ وَلَّاهُ فَضْلُهُ. كَيْفَ يُشْكِرُ الْقَمَرُ عَلَى أَنْ يُلُوحَ، وَالْمِسْكُ عَلَى أَنْ يَفُوحَ. وَكَيْفَ يُقَالُ لِلنَّجْمِ مَا أَضْوَاكَ، وَلِلْفَلَكَ مَا أَعْلَاكَ، وَلِلْعَسَلِ مَا أَحْلَاكَ. إِنَّ وَلَايَةَ الْمَرْءِ ثَوْبُهُ، إِنْ قَصُرَ عَنْهُ عَرِي مِنْهُ، وَإِنْ طَالَ عَلَيْهِ عَثَرَ فِيهِ. مَا أَلْمَحْنَةُ إِلَّا سَيْلٌ، وَالسَّيْلُ إِذَا وَقَفَ أَنْصَرَفَ. وَمَا الْأَيَّامُ إِلَّا جَيْشٌ، وَالْجَيْشُ إِذَا لَمْ يَكِرْ، فَقَدْ فَرَّ، وَإِذَا لَمْ يُقْبَلْ إِلَيْكَ فَقَدْ أَدْبَرَ عَنْكَ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصْطَادَ قُلُوبَ الرِّجَالِ، نَثَرَ لَهَا حَبَّ الْإِحْسَانِ وَالْإِجْمَالِ، وَنَصَبَ لَهَا أَشْرَاكَ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ. إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ أَسْتَرْزَاقِ مَرْزُوقٍ، فَلْيَضَعْ الْحَرَّةَ رِقَّةً بِيَدِي كَرِيمٍ، وَلْيَجْعَلْ غُدُوَّهُ وَرَوَاحَهُ إِلَى بَابِ عَظِيمٍ. فِي كِتْمَانِ الدَّاءِ، وَفِي عَدَمِ الدَّوَاءِ، عَدَمُ الشِّفَاءِ. مَنْ لَمْ يَنْهَ أَخَاهُ فَقَدْ أَغْرَاهُ، وَمَنْ لَمْ يُدَاوِ عَلَيْهِ فَقَدْ أَدَوَاهُ. نِعَمُ جَنَّةِ الْمَرْءِ مِنْ سَهَامِ دَهْرِهِ، نَزْوُلُهُ عِنْدَ قُدْرِهِ، وَنِعَمُ السَّلَامِ لِلْأَرْزَاقِ، طَلِبُهَا مِنْ طَرِيقِ الْإِسْتِحْقَاقِ. مَا أَكْثَرَ مَنْ يَخْطِيءُ بِالصَّنِيعَةِ طَرِيقَ الْمَصْنَعِ، وَيَخَالَفُ بَزْرَعِهِ مَوْضِعَ الْمَزْرَعِ. أَكْبَرُ مِنَ الْأَسِيرِ مَنْ أَسْرَهُ ثُمَّ أَعْتَقَهُ وَأَشْجَعُ مِنَ الْأَسَدِ مَنْ قَيَّدَهُ ثُمَّ أَطْلَقَهُ إِذَا عَتَقَتِ الْمَنَادِمَةُ صَارَتْ نَسَبًا دَانِيَا، وَكَانَتْ رَضَاعًا ثَانِيَا.

ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي
 لله الطافُ تنتصر من الباغي، وتقضي بنيل المباغي. الفاضل لا يسلم من

الْقَدَحُ، ولو غدا أقوم من الْقِدَحِ. النِّعْمَةُ عروس مَهْرُهَا الشُّكْرُ، وثَوْبُ صَوَانِهِ
 الْبِشْرُ. لو كان الشَّبَابُ فِضَّةً كان الشَّيْبُ لها خَبِيثًا. الخَضَابُ، تذكرة الشباب.
 ما جُمِشَ الودَّ بمثل العِتَابِ. الشَّكْلُ للكتاب، كَالْحَلِيِّ لِلْكَعَّابِ، رُبَّ كَلَامٍ أَحْلَى
 مِنْ وَيقِ النُّحْلِ، وأصفى مِنْ رَيْقِ الْوَبْلِ. كم بين من حالف الشيطان فأعتصم
 بحبله، وبين من خالفه فاعتصم من ختله. رُبَّ لَاحِ، في بلاغ. الأَدْبُ زَيْنُ
 وَجْهال، إن تَطَعَّمت به نفع، وإن تَرَوَّيتَ به نفع، وإن تَعَطَّرْتَ به سَطع، وإن
 تَحَلَّيتَ به لَمَعَ. خيرُ الْكَلَامِ ما كان لفظه فَحْلاً، ومعناه بَكَراً. القلم أحسن مطيَّة
 تمشي براكبها رَهْواً، وتكسو الأنامل زَهْواً. أين الْمَهَاوي من الْمَرَاقي، والأقدام
 من التَّرَاقِي. الدُّنْيَا قنطرةٌ لِمَنْ عَبَرَ، عِبْرَةٌ لِمَنْ آسْتَبَصَرَ وأَعْتَبَرَ.

ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني
 الكلامُ معجون، والحديثُ شُجُون. نَعِمَ الرَّفِيقُ، التَّوْفِيقُ. المرء لا يُعرف
 برُده، كالسَّيْفِ لا يعرف بغمده. رأسُ الْيَتِيمِ يحتمل ألَوْنَهُ، ولا يحتملُ
 آلَدَهْنَ، وظَهْرُ الشَّقِيِّ يَحْمِلُ عِدْلِينَ مِنْ الْفَحْمِ، ولا يَحْمِلُ رَطْلِينَ مِنْ الشَّحْمِ.
 لولا الشَّعِيرُ، ما نَهَقَتِ الْحَمِيرُ. الْكَلْبُ بَزْمَنَ، حين يَسْمَنُ، ولا يَتَبَعُ، حين
 يَشْبَعُ وعند الْجُوعِ، يَهْمُ بِالرُّجُوعِ. نارُ الْحَلْفَاءِ، سَرِيعَةُ الانْطِفَاءِ. الْحِذْقُ، لا
 يَزِيدُ الرِّزْقُ. وَالْدَّعَةُ، لا تَحْجِبُ السَّعَةَ. لا يكوننِ مِثْلَكَ كَمَنْ صَامَ حَوْلًا.
 وَشَرِبَ بَوْلًا. احتكم إلى الْحِجَارَةِ، فَالْتَّغَيَّرَ نَصْفُ التَّجَارَةِ. المرء يُسَاقُ إلى ما
 يُرَادُ بِهِ. غَضَبُ الْعَاشِقِ أَقْصَرُ عُمْرًا، مِنْ أَنْ يَنْتَظِرَ عُذْرًا. الْمَرْءُ يُدَبِّرُ،
 وَالْقَضَاءُ يُدَمِّرُ، وَالْأَمَالُ تَنْقَسِمُ، وَالْأَجَالُ تَبْتَسِمُ. للمَقْمُورِ أَنْ يَسْتَخْفَ
 وَيَسْتَهِنَ، وَلِلْقَامِرِ أَنْ يَحْتَمِلَ وَيَلِينَ. إنْ بَعْدَ الْكَدَرِ صَفْوًا، وَبَعْدَ الْمَطَرِ صَحْوًا،
 لَا تَكَاثَرُوا اللَّهَ فِي بَلَادِهِ، وَلَا تَرَاوَدُّهُ فِي مُرَادِهِ، (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ). الْحَبْلُ لَا يُبْرَمُ إِلَّا لِلْفَتْلِ، وَالْثُورُ لَا يُرَبَّى إِلَّا لِلْقَتْلِ. أَرْخَصُ ما

يكون ألفظ إذا غلا، وأسفل ما يكون الأرنب إذا علا لا يُحسد الذئب على الإلية يعطاها طعمة، ولا بحسب الحب ينثر للعصفور نعمة. إن للمتعة حدًا، وإن للعارية رداً. ما كل مائع ماءً، ولا كل سقف سماءً، ولا كل بيت بيتُ الله، ولا كل محمدٍ رسول الله. الكريم عند أولي اللوم، كالماء في فم المحموم، وسم المبرسم في الشهد، والشمس تقيح في عيون الرمد. الخبر إذا تواتر به النقل، قبله العقل. سبيل الإنسان، في الإحسان، سبيل الأشجار، في الثمار، فسبيله إذا أتى بالحسنة، أن يرقد إلى السنة. جهد المقل، خير من عذر المخل. النذل، لا يلم العزل. إن الوالي سيُعزل، وإن الرأكب سينزل. المدين يحسب النسيئة عطية، ويعتدها هدية. من الذي لا يهاب البحر أن يخوضه، والأسد أن يروضه. لن يبطل العرف في القياس، ولا يذهب بين الله والناس، الطباع إلى الدّم أميل. والعقرب، إلى الشرّ أقرب. واللّسان بالقذح، أجرى منه بالمدح. والحاسدُ يعمى عن محاسن الصبح، بعين تترك دقات القبح. للثقات خيانات، في بعض الأوقات. هذه العين تريك السراب شراباً وهذه الأذن تسمعك الخطأ صواباً. لست بمعذور، إن وثقت بمحذور.

ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء رسوم الكرم ديون. الأفعال، نتائج الآمال. ربّ ظلوم يتظلم. المكاتبَةُ ترجمةُ النية. السيد المتواضع كالشمس الباهرة بضياؤها، آقرية مع اعتلائها. الصديق الصدوق كالأمن الذي لا صبر عنه. والغيث الذي لا عوض بحالٍ منه. دولة لا تختصُ بنفعها الأحرار غير مفروح بها، ولا مأسوف عليها. المعرفة بأسرار الآلات، أقوى معين على الصناعات. كيف يوصي الناظر بنوره، أم كيف يحث القلب على حفظ سروره. إن أنتهاء الشيء إلى أقصى حده ناقل له عما كان عليه إلى ضده. لو تكافأ الناس في فصل الخطاب، لما عُرف الخطأ من الصواب. الانقياد لأوامر الهمم المنيفة، من نتائج الأخلاق الشريفة.

ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي

مَنْ أَصْلَحَ فَاسِدَهُ، أَرْغَمَ حَاسِدَهُ. مَنْ أَطَاعَ غَضِبَهُ، أَضَاعَ أَدَبَهُ. عَادَاتُ
السَّادَاتِ، سَادَاتُ الْعَادَاتِ. وَشَيْمُ الْأَحْرَارِ، أَحْرَارُ الشَّيْمِ. مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ،
وَقُوفِكَ عِنْدَ حَدِّكَ. أَفْحَشُ الْإِضَاعَةِ، الْإِذَاعَةُ. الْخَيِّةُ، تَهْتِكُ أَهْيِيَّةَ. فِي
الْدَّعَةِ، رَائِدُ الْضَّعَةِ. مَنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ نَسِيبًا، فَلَا تَرْجُ مِنْهُ نَصِيبًا. الرِّشْوَةُ
رِشَاءُ الْحَاجَةِ. اشْتَغَلَ عَنْ لَذَاتِكَ، بِعِمَارَةِ ذَاتِكَ. أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ كَانَ
لِلْإِخْوَانِ مُذِلًّا، وَعَلَى السُّلْطَانِ مُدِلًّا. حَبِيبُكَ، مَنْ لَا يَعْيبُكَ. إِذَا بَقِيَ مَا
قَاتَكَ، فَلَا تَأْسُ عَلَى مَا فَاتَكَ. الدُّنْيَا فَنَاءٌ. الْفَنَاءُ. الْبِشْرُ عُنْوَانُ الْكَرَمِ. مَنْ
تَبَرَّجَ بِرُهُ، تَأَرَّجَ ذِكْرُهُ. مَنْ حَصَّنَ أَطْرَافَهُ، حَسَّنَ أَوْصَافَهُ. الْمِرَاءُ يَهْدُمُ الْمُرُوءَةَ.
الْفَهْمُ شِعَاعُ الْعَقْلِ. رَضِيَ الْمَرْءُ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِيلٌ تَحْلُفُهُ وَنَقْصُهُ. الْحِدَّةُ وَالْعَزِيمَةُ
فَرَسَا رِهَانِ. الْجُودُ وَالشَّجَاعَةُ شَرِيكََا عَيْنَانِ. الْعَجْزُ وَالْتَوَانِي رَضِيعَا لِبَانِ. نَعَمْ
الْشَّفِيعُ إِلَى عَدُوِّكَ عَقْلُهُ. لَا تَغْتَرَّنَ بِصَحَّةِ مَزَاجِكَ فِي الْهَوَاءِ الْوَبِيِّ. وَلَا تُغْتَرَّنَ
بِقُوَّةِ بَصْرِكَ فِي الظُّلْمَةِ الرَّائِكَةِ. أَفْرَاطُ التَّغَافُلِ، تَثَاقُلُ. رَبُّ مَقَالٍ لَا تُقَالُ
عَثْرَتُهُ. حُسْنُ الْأَخْلَاقِ، أَنْفُسُ الْأَعْلَاقِ. الْحِلْمُ مَطِيَّةٌ، وَطِيَّةٌ. كَيْفَ الْقَرَارِ،
عَلَى الشَّرَارِ. مَسَلُّكَ الْحُزْنَ، حَزْنٌ. أَحْصِنِ الْجَنَّةَ، لَزُومِ السَّنَةِ. الرَّدُّ الْهَائِلُ،
خَيْرٌ مِنَ الْوَعْدِ الْهَائِلِ. الْخِلَافُ غِلَافُ الشَّرِّ. نَعَمْ الْعُدَّةُ، طَوْلُ الْمُدَّةِ. الْبِرَايَا،
أَهْدَافُ الْبَلَايَا. حَدُّ الْعَفَافِ، الرِّضَاءُ بِالْكَفَافِ. مَنْ لَزِمَ السِّلْمَ سَلِمَ.
الْخُرْقُ، آفَةُ الْخُلُقِ. إِفْرَاطُ السَّخَاوَةِ، رَخَاوَةٌ. رُبَّمَا كَانَتْ الْعَطِيَّةُ، خَطِيئَةً.
الْفَلَسَفَةُ فُلُّ السَّفَةِ. لِكُلِّ حَادِثٍ حَدِيثٌ مَا كُلُّ خَاطِرٍ، بِعَاطِرٍ. الْبِشْرُ نُورُ
الْإِجَابِ. الْبَخْلُ سَوْسُ السِّيَاسَةِ. الْعَفِيفُ، يَكْفِيهِ الطَّفِيفُ. لِسَانُ النَّصْحِ
فَصِيحٌ. التَّصْلَفُ، تَرْجُمَانُ التَّخَلُّفِ. مَنْ تَعَطَّلَ، تَبَطَّلَ. أَدْهَى الْمَصَائِبِ، كَثْرَةُ
الْمَعَايِبِ. إِفْرَاطُ الدَّمَانَةِ، غَثَاثَةٌ. إِفْرَاطُ الْفَخَامَةِ، وَخَامَةٌ. إِفْرَاطُ التَّنَائِي تَوَانٍ.
الْإِنْصَافُ أَحْسَنُ الْأَوْصَافِ. عَلَيْكَ بِالْحَذَرِ، مِنَ الْهَذَرِ. رُبَّمَا تَكُونُ الْمَنِيَّةُ، هَنِيَّةً.

معنى المعاشرة، ترك المعاصرة، ما لَحَرَقَ الرِّقِيعَ مُرْقَعٌ . ربما تكون العناية،
جناية. قَدَّرُ الأَمِينُ، ثمين. قُوتُكَ، قُوتُكَ. الغيث، لا يخلو من العَيْثِ.

ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العتبي

الشباب باكورة الحياة. الشيبُ رداء الردى. تَعَزَّ عن الدنيا تَعَزَّ. لسانُ
التقصير، قصير. مَنْ يَكْسُ، وُكْسٌ ونُكْسٌ. البخلُ فراشُ العار، والحِرْصُ
فراشُ النار. إذا قَرَعَ المرءُ بابَ الكهولة فقد أَسْتَأْذَنَ عَلَى الْبَلَى. الوَقَاحَةُ،
كحجر القداحة. لولاه ما أَسْتَعْرَ هُبْ، ولا أَسْتَعْلَ حَطَبٌ. اللهم في وخز
النفوس، حالُ السوس. في خَزَّ السوس. السَّفْهُ نباح الإنسان. الرَّفْقُ لقاحُ
الصلاح، وجَنَاحُ النَّجَاح. عَجِبْتُ لِمَنْ يَسْمَحُ بِالرُّوحِ أَضْطَرَارًا، كيف لا يَسْمَحُ
بِالْمَالِ اخْتِيَارًا. الصِّلَةُ المستورة، كالحلَّة المنشورة. حفظُ الأَيَّامِ، من وثاق
الإيمان. مَنْ ثَمَلَ مِنْ كَأْسِ الثَّنَاءِ، طَرِبَ لِأَنْسِ اللَّقَاءِ. تناسي المعروف قِلادة
في جيد الجود. التجربةُ مرآةُ المرء. الشَّعْرُ قرآنُ الشيطان. الخمرُ مطيئة الخطية.
التَغَاوُلُ مِنْ رُمُوزِ الكرم. إِيَّاكَ وَالْجَدَلَ فَإِنْ أَوَّلَهُ مَجَارَاةً، وَأَوْسَطَهُ مُبَارَاةً، وَآخِرَهُ
مُمَارَاةً. الْأَنَاءُ سَمْتُ الْعَاقِلِ، وَسِمَةُ الْفَاضِلِ. الْعَاقِلُ مَنْ أَصْبَحَ مِنَ الْأَجَلِ،
عَلَى وَجَلٍ. [لِلْبَقُولِ أَحْرَارٌ، وَفِي الطَّيْرِ عِتَاقٌ. الشَّيْبُ أَحَدُ كَافُورِي الْكَفَنِ،
حَسَنُ الْخَلْقِ فِي الْخُلْدِ. الْبَدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْكَ. رَبِّي رَبِّي عَلَى كُلِّ خَفِي (كذا).
تَكْلِيلُ الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُهُ، وَتَنْوِيجُهُ، وَتَطْوِيقُهُ، تَحْقِيقُهُ، وَتَسْوِيرُهُ، تَيْسِيرُهُ،
وَتَوْشِيحُهُ، تَسْرِيجُهُ. الْمَاءُ يَطِيبُ الْمَسْكَ. الْعَشْرَةُ بَعْبَرُ الْإِنْصَافِ. إِذَا سَمِعْتَ
نَغْمَةَ الشُّكْرِ طَرِبْتَ لِلْمَزِيدِ. عُدَّتِي فِي الْعَقَبَى، مَوَدَّتِي فِي الْقُرْبَى].

ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي

في كتابه كتاب الفرائد والقلائد

أَعْيَى النَّاسِ مِنْ أَطَالِ الْخُطْبَةِ، وَأَسَاءَ الْخُطْبَةِ. أَشَدُّ الْغُصَصِ، قَوْتُ

الفرص العَدْلُ أقوى جيش، وآلأمن أهنا عيش. من صاحب العلماء وُقِر،
ومن صاحب السُّفهاء حُقِر. خيرُ أموالك ما أنفقت منه، وخيرُ أعمالك ما
وُفقت فيه. أبعدُ أَلِهم. أقربها من الكرم، رأس الفضائل، اصطناعُ الأفاضل،
ورأس الرذائل، اصطناعُ الأراذل. من أعز نفسه، أدلَّ فلسه. من حَسُن
صَفَاؤه. وجَبَ أَصْطَفَاؤه. من بَسَطَ راحته، آنس ساحته. من ركب الحق،
غَلَبَ الخلق. من ساء عقده، سرَّ فقده. من تعدى على جاره، دلَّ على لُوم
نجاره. من أحسن الاختيار، أحسن إلى الأخيار. من فعل ما شاء، لقي ما
ساء. من زرع الإلحْن، حصَد المِحْن. من زلَّ نعله، زال عقله. من حسنت
حاله، استحسِنَ مُحاله. لا يخلو المرء من وُدودٍ يمدح، ومن حسودٍ يقدرح.
الشرفُ بألهم العالِية، لا بالرَّمم البالية. من طال أمله، ساء عمله. [ازرع
الأخيار بسبيك، وأحصد الأشرار بسيفك. إذا سنحت لك إلى السلطان حاجة
فلا ترفعها إليه ما لم ترَّ وجهه بسيطاً، وقلبه نشيطاً، وبشره بادياً، وذَرعه
خالياً].

ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب

من صلى لله لم يصل ناره. الصدقة صدقُ الجنة. بشر وفد، الله يرقد
الذارين. سبحانه مقدّر الأوقات، على اختلاف الأوقات. العلمُ أشرف ما
وعيت، والخيرُ أفضل ما أوعيت. الصدقُ بالحرِّ أحرى، وفي طريق المروءة
أجرى. الهوى سلافٌ مُونق، مزاجه دُعافٌ مُويق. الكريمُ ثقلٌ هَناته، وتكثر
هباته. القلوبُ لا تستمال، بمثل المال. العرض، هو الغرض، والمال، هو
المال. ما بقاء المال بين حوائج الإنسان، وجوائح الزمان. العينُ للعين قُرّة،
وللظهر قُوّة. الدرهم أنفذ الرّسائل، وأنفع الّوسائل، وأنجع المسائل. نقصانُ
العلّة، زيادة العُلة. لا تُؤتي الضيعة أكلها. إلّا من يحمل كلّها. خُلف الوعد،
خُلِق الوغد. الورد نسيمُ الرّوح، نسيبُ الرّوح. الصديق ثاني النفس، وثالث

العينين. لقاء الصديق رُوح الحياة، وفراقه سَمَّ الحَيَّات. الحاجة إلى الأخ
المعين، كالحاجة إلى الماء المعين. ربما كان التَّقَالِي، في التَّلَاقِي. رُبَّما أدَّت
المُجادلة، إلى المُجادلة. إذا أَلَمَّ أَلَمٌ، فآلمَاجلة بالمعالجة. مَنْ كَرُمَتْ خِصاله،
وَجَبَّ وِصاله، وَمَنْ كَثُرَ هُجْرُهُ، وَجَبَ هَجْرُهُ. عَرَفُ العُرفِ يَضُوعُ عند
الكرِيم، ويَضِيعُ عند اللَّئِيم. طوبى لمن كانت نفسه مُراحة، وعِلَّله مُراحة.
طوبى لمن أَمِنَ سِرِّبه، وصفا شربه. ويلٌ لمن كان بين عَزِّ النَّفسِ، وذَلِّ الحاجة.
ويلٌ لمن كان بين سَخَطِ الخالق، وشماتة المخلوق. كم مُعْسيرٍ في الثَّياب
الأخلاق، مُوسِرٍ في مكارم الأخلاق. لو كانت المشاجرة شَجَرًا، لم تُثمر إلاَّ
ضَجَرًا. مَنْ اعتقد الصَّلَاح، اقتعد الفلاح. مَنْ جَلَبَ دُرَّ الكلام، حَلَبَ دُرَّ
الكرام. من عاداه قَوْمُه، طارَ نَوْمُه، وطالَ يَوْمُه. الرَّجُلُ مَنْ تُثْنِي به الخناصر،
وتُثْنِي عليه السَّبابات، وتُعْضُّ من الغَيْظِ عليه الأباھيم. الملكُ مَنْ تَبَيَّضُ آثارُ
أياديه، وتسودُّ أيامُ أعاديهِ، وتُخْضِرُ مواضع سَيِّئِهِ، وتَحْمُرُ مواقع سَيِّئِهِ. إذا عَدَلَ
أَمَلِكُ فَقَدْ اعتدلَ أَلْجانف، وأَقْصَرَ أَلْخانف، وأَمِنَ أَلْخانف. مذاكرةُ أدباء
الإخوان، أَطيبُ من مُغازلة الغزلان، وأَمْتَعُ من حركات الرِّيح بين الرِّيحان.
الأنسُ في المجلس الخاص، لا في المحفل الغاصّ. التَّقْيُّ مَنْ عَزَفَ أغراض
هَمَّتْهُ عن أغراض الدُّنيا. إذا أَقْبَلَ جَدُّ المرءِ فالإقبال يُسْعِدُهُ، والأوطار تُساعِدُهُ،
وإذا أدْبَرَ فالأيلامُ تُعاديهِ، والنحوسُ تُراوحه وتُعاديهِ. أَحْسِنُوا مُجاوِرَةَ النِّعْمَةِ فَإِنَّها
سَرِيعَةُ النِّفَرَةِ، شديدةُ الطَّفَرَةِ. بعيدةُ السَّفَرَةِ. ما أدلَّ حُسْنُ السَّيرَةِ، عَلى طيب
السَّرِيرَةِ. الحازِمُ مَنْ تَزَوَّدَ لِمَا بِهِ، قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ لِمَا بِهِ. البُخْلُ بِالطَّعامِ، من
أَخلاق الطَّعامِ. لا يَطِيبُ حُضُورُ الخِوانِ، إلاَّ مع الإخْوان. الصَّدِيقُ لا يَحْظُرُ،
تقديم ما يَحْضُرُ. لا يَحْصُلُ بَرْدُ العَيْشِ إلاَّ بِحَرِّ التَّعَبِ. إذا أُسْفِرَ صُبْحُ الشَّيْبِ
فقد هوى نَجْمُ أهْوى. وهى حَبْلُ الصِّبا. مَنْ كان في المَوْتِ عَرِيقًا، كان في
يَمِّ الهَمِّ غَرِيقًا. مَنْ كان عليك عاتبا، كان لك عاتبا. مَنْ أَذالَ وَجْهَهُ، أَذَلَّ
نَفْسَهُ. بعضُ النَّاسِ كالغذاء النافع، وبعضهم كالسَّمِّ النّاقع. ثمرةُ رأي

الأديب المشير، أحلى من الأزي المشور. قوة الوسيلة جناح النجاح، ربّ كلام له حُسْنُ الوجوه الصّباح، وسحرُ الحَدَقِ الملاح. ربّ كلامٍ أملح من أطواق القماري، وأذكى من العود القماري. الصعب مع القضاء ذلول، والعزیز به ذلیل. الأمطار، تعوق عن الأوطار. والأوحال، تحول عن الوصال. الصُّبرُ أحجى، بذی الحِجى. مَنْ تبصّر، تبصّر. ليالي السُّرور غُر، وأيام الهموم غُبر. أخلّق بمن كان وجهه دَمِيماً أن يكون فعله دَمِيماً. وبمن كان وجهه وضياً، أن يكون فعله رَضِيّاً. ما مِن لحظة إلّا ومعها صنعٌ من الله خَفِيٍّ، ولُطْفٌ خَفِيٍّ. ما الخلاص، إلّا في الإخلاص. مَنْ آفَتَقَر إلى الله آسْتَفْنَى. صدقُ المناجاة، سببُ النجاة.

آخر كتاب الأمثال والحكم والمواعظ وما يَحْدُو حذوها من كُتُب سِحْرِ البلاغة وسِرِّ البراعة ما كُتِب لخزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي

فرغ من تسويده وتسطيره المفتقر إلى فضل الله وغُفرانه محمد بن أحمد بن الحسن السَّرْجَهاني في محروسة ماردين بالمدرسة الخاتونية الرَضِيّة تغمدها الله برحمته

لست بقين من شهر الله الأصمّ رجب سنة سبع وخمس مائة

فهرس كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

- ب كلمة الناشر.
 جـ ترجمة المؤلف.
 ٣ وصف النسخة وتصحيحها.
 ٤ راموز الصفحة الأخيرة.
 ٥ مقدمة المؤلف.
 ٧ كتاب ذكر الله تعالى.
 (ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتابه).
 مقدمات.
 غرر التحاميد.
 ٨ وصف الحمد.
 عادة الله جل ذكره.
 صنع الله ولطفه.
 ٩ ذكر الله تعالى في أثناء الكلام ذكر
 النبي محمد صلى الله عليه وسلم.
 ١٠ الصلاة عليه مع الإفصاح.
 ذكر اللال.
 ١١ ذكر القرآن.
 ١٣ كتاب الأزمنة والأمكنة.
 (وما يتصل بها ويشاكلها).
 في الربيع وإقباله.
 ١٤ في النسيم ووصف أثره.
 ١٤ في وصف الرياض.
 ١٥ في وصف البساتين.
 ١٥ في ذكر النرجس والورد والشقائق.
 في غناء الأطيوار.
 ١٦ في وصف أيام الربيع.
 مقدمة المطر.
 ١٦ في السحاب والمطر.
 ١٧ في وصف الماء وما يتصل به.
 في ذكر الصيف ووصف الحر.
 ١٨ ذكر الخريف.
 في الشتاء ووصف البرد والثلج
 والجمر.
 ١٩ في الإستظهار على البرد.
 ١٩ في نعت الأيام الشتوية.
 أبواب ذكر الليل والنهار
 ووصف أوقاتها واختلاف
 أحوالها وما يتصل بها
 في ذكر إقبال الليل وانتشار الظلمة
 وطلوع الكواكب.

- ٢٠ ذكر الليالي المظلمة.
 ٢٠ في ذكر الليالي الطليقة الطيبة المشكورة.
 في ضد ذلك وذكر طول الليل.
 ٢١ فيها يذكر من السهر لاعتراض الهموم والفكر.
 ٢١ ذكر النعاس والنوم.
 ٢٢ انتصاف الليل.
 تناهي الليل وتصمره.
 ٢٢ إقبال الصبح وانتشار النور.
 أفول النجوم.
 ٢٣ طلوع الشمس وانبساط الضوء.
 متوع النهار.
 ٢٣ انتصاف النهار.
 اصفرار الشمس وغروبها.
 ٢٤ ذكر ابتداء الليل إلى انتهائه.
 (أبواب الأمكنة والأبنية).
 في وصف البلاد.
 ٢٤ في ضد ذلك.
 ٢٥ في ذكر الوطن.
 في الحصون والقلاع.
 ٢٦ في القصور.
 في الدور السرية.
 ٢٦ في الدور المتداعية الخالية.
 ٢٩ كتاب أحوال الإنسان.
 (من لدن صغره وغائه إلى كبره وانتهائه).
 في ذكر الصبية الصغار.
 في حسن مخايل المولود.
 ٢٩ في ذكر الغلام الأمرد ووصف محاسنه.
 ٣١ في الصدغ والشارب والعذار.
 وصف خروج الحية وذمها.
 نعت محاسن الجوّاري.
 ٣٢ ذكر الشاب الغض الشباب.
 خلعة الشاب وتصايبه.
 ٣٣ في ذكر الشاب الرشيد وترشحه للمعالي.
 وَخُطُّ الشيب وانتشاره.
 ٣٤ في الإكتحال والإحتناك والأرعواء عن مجاهل الشباب.
 ٣٥ استحكام الشيب وبلوغ الشيخوخة في الهرم ومشاركة الفناء.
 ٣٧ كتاب الطعام والشراب.
 (وما ينضاف إليهما ويقترن بهما).
 في الفواكه والثمار.
 ذكر الجوع.
 ٣٨ وصف القدور.
 ٣٨ مقدمة الطعام.
 وصف الموائد.
 وصف الألوان من الأطعمة.
 ٣٩ في وصف ألوان من الحلواء.
 ذكر النهم الأكل.
 ٤٠ في وصف مجالس الأنس وآلات اللهو.
 ٤١ فيها يتصل به من الألفاظ.
 ٤١ في الأستزارة.
 في الكناية عن الشراب.
 وصف الشراب.
 ٤٢ في تأثيره في القوم.
 فقر وغرر تليق بهذا الباب.
 ذكر الغناء والمغني.

- ٤٣ في ذم المغني.
 في استهزاء الشراب.
 ٤٥ كتاب وصف النظم والنثر.
 (وأصحابها والائتماء وأدواتها).
 وصف حسن الخط.
 ٤٦ في سرعة الكتابة.
 وصف النثر بما يشتمل عليه من
 الألفاظ والمعاني.
 ٤٧ ذكر البلاغة والبلغاء.
 ٤٨ في سرعة الخط ونفاذ الطبع.
 زلاقة اللسان والفصاحة.
 ٤٩ ذكر الإطناب.
 وصف النثر والنظم معاً.
 ٥٠ وصف الشعر.
 ٥١ وصف الشعراء.
 في نعت الشعر السائر.
 ٥١ في ذكر شعر الأكابر والملوك.
 ٥٢ وصف الكتب البليغة الغزيرة.
 وحسن موقعها.
 ٥٢ تشبيهات هذه الكتب.
 ٥٣ وصف قصر الكتب.
 ٥٤ في ذم الخط والقلم.
 ٥٤ في ذم الكلام.
 ٥٥ في ذم الكاتب.
 ٥٥ في الشاعر والشعر.
 ٥٦ أوصاف أدوات الكتاب وآلات
 الكتاب.
 في نعت المداد.
 في نعت القلم.
- ٥٧ في نعت السكين.
 ٥٩ كتاب الممدوح والأثنية.
 (وما يجري مجراها ويأخذ مأخذها).
 المدح بشرف الأصل وكرم النسب.
 ما يختص من ذلك بأبناء النبوة.
 ٦٠ في المدح بجمع بين شرفي الأصل.
 والنفس وفضلي الإنتساب
 والإكتساب.
 المجد والشرف والعلو.
 ٦١ الجود والكرم.
 ٦٢ الجمال وحسن الصورة.
 البشر والبشاشة.
 ٦٢ العلم والأدب.
 ٦٣ حسن الخلق.
 الظرف واللباقة وحسن العشرة.
 ٦٤ طيب الخبر.
 حسن العهد وكرم الود.
 ٦٤ أصابة الرأي.
 ٦٥ التجربة والحنكة.
 ٦٦ في الهمة العالية.
 الشهامة والنفاذ والجد والجلادة.
 ٦٧ التقى والزهد.
 الكمال والأفراد عن النظراء.
 ٦٧ التفضيل والترجيح.
 ٦٨ ما يليق ببعض هذه المدائح من
 حكاية أفعال المحسنين وحسن آثار
 المنعمين والألفاظ التي تقع في
 الشكر ونشر البر.
 ذكر الإفضال والإنعام والإحسان

- والإصطناع.
- ٦٨ حسن آثار المنعم.
- ٦٩ وصف النعم.
- ٦٩ وصف الأيادي والمن.
- ٧٠ ذكر وفورها وكثرتها.
- ٧٠ التشريف والتنويه.
- ٧١ ذكر الشكر.
- ٧١ العجز عن الشكر لتكاثر الإنعام والبر.
- ٧٢ حسن الإفصاح عن الشكر والثناء.
- ٧٢ دلالة الحال على ما وراءها.
- أدعية تليق بهذه الأحوال بهذا الباب.
- ٧٥ كتاب المساويء والمقايح (وما يدانيها)
- اللؤم والخسة.
- في البخل.
- ٧٦ القبح والدمامة والحقارة.
- الثقل والبغض والبرد.
- ٧٧ البحر وترك التنظف.
- الجهل والخرق والسخف.
- ٧٨ الخسة مع الثروة والإقتصار من الإنعام والإفضال على التمتع والتجمل وجمع المال وترك التطول.
- القلة والذلة.
- ٧٩ خبث الطوية ومخالفة الباطن الظاهر.
- ما يختص من هذا الباب بالمرايين من الفقهاء والعدول والقضاة.
- ٨٠ الكذب والبهتان.
- خبث اللسان والفعل.
- ٨١ الإستهداف لسهام الغائبين.
- التيه والكبر.
- الحسد.
- ٨٢ دناءة النفس مع شرف الأبوة.
- النميمة.
- الجب.
- ٨٢ خلف الوعد وكثرة المظل.
- ٨٣ صعوبة الجانب.
- ٨٣ العجز.
- ٨٥ كتاب العيادة (وما يجانسها)
- ذكر التشكي والمرض.
- اشتداد العلة وسوء الظن بها.
- ٨٦ الإنزعاج لعارض العلة.
- تهوين أمر العارض بحسن الرجاء.
- ذكر المشاركة في العلة.
- ٨٧ الإهتمام للعلة ثم الإستبشار بزوالها.
- شكاة أهل الفضل والسؤدد.
- ٨٨ أدعية العيادة.
- تنسم الإقبال بعد اليأس.
- ذكر الإبلال وحمد الله عليه والدعاء عنده.
- ٨٩ الإستشفاء بكتب العيادة.
- ٩١ كتاب التهاني والتهادي (وما ينخرط في سلوكها ويأخذها مأخذها)
- ألفاظ التهئة بمولود.
- ٩٢ ما يختص منها بالملوك.
- الأدعية للمولود والوالد.
- ٩٣ ما يختص منها بالملوك والسادة.

- ذكر المولود العلوي .
- ذكر التوأمين .
- ٩٤ في التهنة بالبنات .
- ٩٥ ألفاظ التهنة بالإملاك وما يقترب منها من الأدعية .
- ألفاظ التهنة بالولايات .
- ٩٦ ما يختص منها بالوزراء .
- ٩٧ ما يختص منها بالقضاة .
- الأدعية التي في التهاني بالأعمال والولايات .
- ٩٨ ذكر الخلع والأحذية ووصفها في التهنة بالقدم .
- ٩٩ ألفاظ في التهنة بالحج وتفخيم أمر الحج وتعظيم المناسك والمشاعر وما يتصل بهما من الأدعية .
- ١٠٠ في ألفاظ التهنة بالإطلاق من الحبس التهنة بإقبال شهر رمضان وما يتصل بها من الأدعية .
- ١٠١ الأدعية في التهنة بالعيد .
- ما يختص منها بالأضحية .
- ١٠٢ التهنة بالنيروز وفصل الربيع .
- ١٠٣ التهنة بالمهرجان .
- إقامة رسم الهدية في النيروز والمهرجان وغيرهما من الأيام الغر .
- إهداء أهل الدفاتر وآلات الكتاب والأدب والعلوم .
- ١٠٥ كتاب التعازي (وما يليق بها)
- وصف الخبر الهائل المزعج .
- الكتابة عن موت الرؤساء والأعزة .
- ١٠٦ ذكر النعي بالفقد .
- نعي الملوك والأجلة وذكر سوء آثار المصائب فيهم .
- ١٠٧ ما يختص من ذلك بأبناء النبوة .
- ١٠٨ ذكر البكاء .
- ذكر الإستراحة بالبكاء والجزع .
- وصف عظم المصيبة وثقل وطأتها .
- ١٠٩ ذكر الإنخزال وكسوف البال والجزع والتسوجع والإكتساب لحادث المصائب .
- ١١٠ التأبين والندبة .
- ١١١ في أن الفدية لا تغني .
- ما يقع من كتب التعازي من وصف الدهر .
- ١١٢ ما يقع فيها من ذكر الدنيا وذمها الأمر بالصبر والنهي عن الجزع .
- ١١٣ ذكر الموت .
- ١١٤ في الرضاء بقضاء الله تعالى والتسليم لحكمه .
- في حمل قضاء الله على الأصلح لعباده .
- ١١٥ ذكر الأعمار والأجال .
- في التسلية ببقاء الباقي عن الماضي .
- ١١٦ فيما يجمع بين التعزية والتهنة .
- ١١٧ استظهار المشاركة والمساهمة .
- عظات التعزية .
- الأدعية للمتوفي .
- ١١٨ ما يختص منها بالملوك .

- ١١٩ ما يختص منها بالأشراف.
 في الدعاء للمعزى بالصبر والأجر.
 ١٢٠ سائر الأدعية للمعزى.
 ما يختص منها بالملوك.
 ١٢١ ما يختص منها بالأشراف.
 مخاطبة العلماء والزهاد في التعزية.
 ١٢٢ ذكر موتهم وتأيينهم.
 ذكر موت الأدباء والكتاب.
 ١٢٣ ذكر موت الأولاد الصغار والكبار.
 ما يختص من ذلك بأولاد الملوك.
 ١٢٤ ذكر احتضار الشبان.
 ١٢٥ في التعزية عن الأب.
 في التعازي عن الحرم.
 ١٢٧ كتاب الإخوانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر المودة.
 حسن المخالصة.
 ١٢٨ لطف الحال وتشبيهها بالقرابة.
 الإختصاص والإتحاد.
 ١٢٩ المنادمة والمؤانسة.
 التردد والإفصاح عن صدق المحبة
 والموالاتة.
 ١٣٠ العبودية والخدمة.
 ١٣١ المناسبة بالعلم والأدب والمذهب.
 وصف الشوق.
 ١٣٢ سوء آثار الفراق والإشتياق وما يتصل
 بذلك.
 ذكر الوداع.
 ١٣٣ تذكر أيام اللقاء وصفوها.
- الأدعية الإخوانية.
 ١٣٤ ألفاظ الجواب عن شكوى الشوق.
 إهداء السلام.
 ١٣٥ ذكر العتاب.
 شكوى الإعراض والجفاء وسوء
 العهد.
 ١٣٦ سائر ألفاظ العتاب والإستزارة.
 ١٣٧ وصف العتاب عند الجواب عنه.
 لبس الصديق على علاته والإغضاء
 عن هناته.
 وصف الغيظ والجرد.
 ١٣٨ الإعتذار والإستصفاح والإستعطاف.
 ذكر العذر الضعيف النافذ.
 ١٣٩ ذكر قبول المعذرة وزوال الوحشة
 والموحدة.
 ١٤١ كتاب السلطانيات
 (وما يأخذ مأخذها)
 ذكر الخلفاء.
 ذكر السلطان وطيب ثمرة من والاه.
 وسوء مغبة من ناواه.
 ١٤٢ العدل وحسن السيرة.
 حسن السياسة وتصريف أعنة
 المملكة.
 ١٤٣ بمن النقية.
 اتساع المملكة والإستظهار بالرجال
 وكثرة الأموال.
 ١٤٤ ذكر الملك المعظم النصر السعيد الجد
 الميمون الطالع.
 إصلاح المملكة وإحسان الآثار

١٥٦ احتشاد العدو.
 ذم جيش العدو.
 استهانة الأعداء واستحقارهم
 والتفاؤل عليهم.
 ١٥٧ قرب العدو من الهلاك.
 فيمن سعى بقدمه إلى مراق دمه.
 ١٥٨ ذكر انخزال الإعداء ووهلهم واستيلاء
 الرعب عليهم قبل المحاربة.
 ١٥٩ مسير الملك في جيوشه والتفؤل له.
 ١٦٠ وصف الجيش بالكثرة والشوكة
 والنصرة.
 وصف الأبطال والشجعان وأبناء
 الحروب.
 ١٦١ ذكر الأولياء والأعداء معاً
 ١٦٢ تعبئة الجيوش وترتيبها.
 تلاقي الجيشين وكشف الحرب
 عن ساقها
 اشتداد الحرب وحمي وطيسها.
 ١٦٣ أعمال الأسلحة.
 ١٦٤ حسن الغناء في الحرب والإيقاع
 بالأعداء وشدة النكاية فيهم.
 هبوب ريح النصر.
 ١٦٥ انجلاء المعركة عن القتل والجرحى
 والأسرى والهزمى.
 ١٦٦ ذكر القتل والقتلى.
 سوء أحوال المنكوبين والمحاط بهم.
 ١٦٧ الأسر والأسرى وتشهيدهم.
 هلاك الأعداء وفناؤهم.
 فيمن نجا برأسه وقد كاد يؤخذ.

وتطبيب الأخبار فيها.
 ١٤٥ ما يختص من ذلك بالوزراء وأرباب
 الدولة وأوليائها.
 ١٤٦ ذكر حضرة الملك وساحة السلطان
 ذكر الوصول إليها والخدمة بتقبيل
 الأرض واليد.
 ١٤٧ ما يقع في هذا الباب من ذكر العصاة
 والأعداء ووصف أحوالهم ونعت
 أفعالهم البطر وكفران النعمة
 والضميم والاستيلاء.
 ركوب الهوى وطاعة الأماني الكاذبة
 والآراء الفاسدة.
 ١٤٨ المدحاجة والمراوغة في تربص الدوائر
 تسويل الشيطان لمن يقرع باب
 العصيان.
 ١٤٩ ذكر الغي والبغي والتمرد وسائر ما
 يتعلق بخلال العصيان.
 ١٥٠ في التعرض للهلاك واستجلاب سوء
 العاقبة.
 في ذكر الظلم والظلمة وسوء آثارهم
 على العباد والبلاد.
 ١٥٢ ذكر المهرج وكثرة الفتنة.
 ١٥٣ التحذير والإنذار والإهابة إلى
 الرشاد.
 في العمى عن الرشاد والصمم عن
 المواعظ والإصرار على الضلالة.
 ١٥٤ إبراز صفحة المنابذة.
 استيجاب التكبر والمعاقبة.
 ١٥٥ الإبراق والإرعاد.

- ١٦٨ ذكر المنهزمين ووصف أحوالهم.
- ١٦٩ ذكر ركوب الأولياء أكتاف المنهزمين وقرب متناولهم على الهلاك.
- ١٧٠ ذكر الغنائم.
- ذكر موت العدو.
- ١٧١ سلامة الأولياء على الحرب.
- جلالة شأن الفتح وعظم موقعه وحسن آثاره.
- إشاعة خبر الفتح.
- ١٧٢ حسن حال البلدة المفتوحة والتخفيف عن رعيتها.
- الأدعية السلطانية عند الفتح والبشائر وغيرها.
- ١٧٣ الدعاء على أعداء الدولة.
- ١٧٤ استقرار الدار بالسلطان وما يتصل بذكر ذلك من الأدعية.
- ١٧٥ كتاب الشوارد والفوارد (وما يشبهها)
- هبوب ريح الإقبال.
- تبشير النجى والغنى.
- ١٧٦ حسن الحال ووفور المال.
- ذكر المال الصامت.
- تراجع الأمور وركود ريح النعمة.
- ١٧٧ إنحاء الخطوب والنوائب.
- سوء الحال واستحكام الحرقه.
- سوء أثر الفقر والضر.
- ١٧٨ وصف ثياب الفقر.
- وصف المتناهي في الفقر.
- ١٧٩ ذكر اليسر بعد العسر والإنتعاش من
- صرعة الدهر.
- وصف عيش الناعم المغبوط.
- ١٨٠ في ضد ذلك.
- السرور والإهتزاز.
- ١٨١ في ضد ذلك.
- ذكر الأمن.
- ١٨٢ في ضد ذلك.
- ذكر الطاعة بعد الإمتناع واللين بعد القسوة.
- الضياع وما يجري من الألفاظ في ذكرها ووصف أحوالها.
- ١٨٣ ذكر الفرس والبغلة والحصان.
- ١٨٤ وصف الأيام المشهودة والمشهورة التأيد.

١٨٥ كتاب الأمثال والحكم
(وما يحذو حذوها)

- ما أخرج من كلام الأمير شمس المعالي.
١٨٦ ما أخرج من كلام أبي القاسم علي بن محمد الإسكافي.
ما أخرج من كلام أبي الفضل بن العميد.
١٨٨ ما أخرج من كلام أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير.
ما أخرج من كلام الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد.
١٩١ ما أخرج من كلام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي.
١٩٢ ما أخرج من كلام أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف.
ما أخرج من كلام أبي الحسن علي بن القاسم القاساني.
١٩٣ ما أخرج من كلام أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي.
١٩٦ ما أخرج من كلام الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكاني.
١٩٧ ما أخرج من كلام بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمداني.
١٩٨ ما أخرج من كلام أبي الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالبيغاء.
١٩٩ ما أخرج من كلام أبي الفتح علي بن محمد البستي.
٢٠٠ ما أخرج من كلام أبي النصر عبد الجبار العُتبي.
٢٠١ ما أخرج من كلام أبي الحسين محمد بن الحسن الأهوازي.
ما أخرج من كلام المبهج لمؤلف هذا الكتاب.

